دولة ليبيا

جامعة الزاوية

إدارة الدراسة العليا و التدريب

قسم اللغة العربية و آدابها

((السياق اللغوي و أثره في دلالة النص عند خليفه حسين مصطفى رواية الارامل و الولي الاخير إنموذجا))

بحث مقدم استكمالا لمتطلبات درجة العالية (الماجستير) في تخصص اللغة.

إعداد الطالبة :- نسرين عبدالحميد رمضان السلوقي

المشرف :- د. جمعة العربي الفرجاني

2011 - 2010

قرار لجنة البحث للإجازة **العالية (/)** **الدقيقة ( )**

عملاً بقرار الأخ: أمين اللجنة الشعبية للجامعة رق(85)م لسنة(1379)هـ الصادر بتاريخ 25 - 6- 2011 ف قامت اللجنة المشكلة بمناقشة الرسالة المقدمة من الطالبة: **نسرين عبدالحميد رمضان السلوقي** لنيل درجة الإجازة العالية "الماجستير" **تخصص اللغة العربية، شعبة الدراسات اللغوية**

عنوانها: السياق اللغوي وأثره في دلالة النص عند خليفة حسين مصطفى رواية الأرامل والولي الخير أنموذجًا.

وتتكون اللجنة من الأساتذة : 1.د.جمعة العربي الفرجاني مشرفًا ومقررًا جامعة الزاوية
2. د. علي ابوالقاسم عون عضوًا جامعة الفاتح
3.د.. نعيمة سالم الزليطني عضوًا جامعة الزاوية

وبعد مناقشة الرسالة علنًا على تمام الساعة (العاشرة صباحًا) من يوم الأحد الموافق 2011/7/24 مسيحي بمبنى الإدارة العامة للدراسات العليا والتدريب، وتقويم محتواها العلمي والمنهج الذي اتبعته الباحثة والمصادر والمراجع التي استخدمتها في دراستها قررت اللجنة ما يلي :-

القـــرار

بعد إتمام الطالبة: **نسرين عبدالحميد رمضان السلوقي** لمتطلبات الدراسات العليا وامتحاناتها وبمناقشة الرسالة وتقويمها تقرر: (يتم التعليم بأحد المستطيلات فقط لتحديد نوع القرار)

1.إجازتها بدون تعديلات [ ]
2.إجازتها بتعديلات [ ] ويمنح الطالب فرصة للأخذ بالملاحظات خلال.....أشهر من تاريخ المناقشة)
3.عدم إجازتها [ ] ويمنح الطالب فرصة أخرى للمناقشة خلال.....أشهر)

أسماء أعضاء اللجنة :	التوقيع بتاريخ المناقشة	التوقيع بعد الأخذ بالملاحظات - التاريخ
1.د.جمعة العربي الفرجاني	التوقيع /	التوقيع / .....
2. د. علي ابوالقاسم عون	التوقيع /	التوقيع /.....
3.د. نعيمة سالم الزليطني	التوقيع /	التوقيع /.....

منسق التخصص
د. سالم علي بيدق
التوقيع.....

مدير مكتب الدراسات العليا بالكلية
د. نعيمة سالم الزليطني
التوقيع.....

مدير إدارة الدراسات العليا والتدريب
أ.د. علي السيد العموري
التوقيع.....
٢٠١١.٨.٤

إدارة الدراسات العليا
/ الشؤون الإدارية والمالية ..
منسق التخصص / الملف الشخصي للطالب
أ.ط. دخان 2011/7

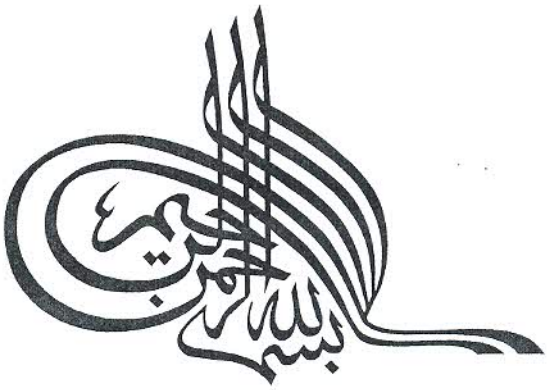

﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾

سُورة آل عمران: (7/3)

الإهداء

إلى والديّ العزيزين اللّذيْن تَعِبَا في سبيل تعليمي، وكان حلْمَهُما أن أكون من الباحثين عن ذرر العربيّة، وأن أكون من الساعين لتعلمها وتعليمها.

أهدي أول ثمرة كانا وراء غرسها.

وإلى إخوتي، وأخواتي.

إلى كل غيور عن لغة القرآن.

إلى جميع الأصدقاء أهدي هذا البحث المتواضع

الباحثـــة

شكـــر وتقديـــر

تنفيذاً لقول اللّه تعالى: ﴿وَلاَ تَنسَوُا الفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾[1]، وقول الرسول -ﷺ-: "لا يشكر اللّه من لا يشكر الناس"[2].

أسجل هذه الكلمات محاولة التعبير بها عن شكري، وتقديري بعد شكر اللّه تعالى وحمده على منّه، وكرمه لكلّ من ساعدني في إنجاز هذا البحث.

أتقدَّم بالشكر والتقدير للأستاذ المشرف (جمعة العربي الفرجاني) لتفضله بالإشراف وتكبده عناء القراءة لهذا البحث وتكرمّه بتوجيه النصح والإرشاد لتقويمه، وأشهد اللّه أنَّهُ ما بخل عليَّ في كل ذلكَ فله جزيل الشكر، وخالص التقدير.

الشُّكر أسديه أيضاً إلى عائلتي الكريمة بجميع أفرادها الَّذين كانوا خير زادٍ لي في هذا البحث والَّذين صدق فيهم قولهِ تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[3].

وأشكر جميع الأصدقاء الذين كانوا خير محفزٍ لي في هذا البحث، وإلى من ساعدني من قريب، أو بعيد فأسأل اللّه أن يوفق الجميع إلى ما فيه الخير، وأن يجعل كلَّ ذلك في موازين أعمالهم، وصلى اللّه على سيِّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم، والحمد للّه ربِّ العالمين.

الباحثـــة

---

(1) البقرة: 237/2.

(2) مسند أحمد، لأحمد بن حنبل: 211/5.

(3) الحشر: 9/59.

المقدمـــــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبيِّه المصطفى الأمين، خيـــر الخلق أجمعين، ومن تبعه، وسار على نهجه إلى يوم الدِّين.

وبعد:

فعلم الدّلالة علم مهم جدّاً اعتنى به القدماء من خلال مبـــاحثهم البلاغيَّـــة، وكتب المفسرين، فكان لعلماء العرب المسلمين إسهام كبير في ترسيخ هذا العلم.

ومن الظواهر المؤثِّرة في الكلام ظاهرة السِّياق، ونقصد بها السِّياق الدَّاخلي للكلام، أو توالي الألفاظ في التركيب اللُّغوي، أمَّا السِّياق الخارجي، فهو كـــل مـــا يحيط بالكلام من ظروف حاليّة، ومكانيّة، وزمانية، وثقافيّة، واجتماعية، ونفـــسية، وحركية وغيرها.

وقد تنبه لهذه الظاهرة العلماء المسلمين القـــدامى مـــن لغـــويين، ونحـــاة، وأصوليين، ومفسرين، وبلاغيين، وغيرهم.

وفي العصر الحديث اهتم اللُّغويون بظاهرة السِّياق، فكانت بـــدايات ذلـــك الاهتمام على يد اللُّغوي (دي سوسير) ثُمَّ على يـــد الإنجليـــزي (جـــون روبـــرت فيرث)، وقد تعرض بعض اللُّغويين المحدثين لهذه الظاهرة في مؤلفاتهم الدّلاليـــة، أو اللُّغوية بشكل عام، ولم يتجاوزوا فيها الجانب النظري من الظاهرة إلاَّ ما أورده في كتبهم:

1- علم اللُّغة مقدِّمة للقارئ العربي، للدكتور/ محمود السعران.

2- اللُّغة العربيَّة معناها ومبناها، للدكتور/ تمام حسان.

3- علم الدّلالة، للدكتور/ أحمد مختار.

وتعدُّ أهميّة السِّياق ودوره في إنتاج الدّلالة على مستوى الكـــلام المنطـــوق بحيث تظهر عناصر السِّياق المختلفة واقعاً حيّاً، وملموساً في حين يظهر في الكلام المكتوب وصفاً تجسدهُ الألفاظ، والجمل، وعلامات الترقيم، ولعلَّ وصف عناصـــر السِّياق يبدو في الأعمال الأدبيَّة أكثر أهميّة من غيرها، وخـــصوصاً فـــي العمـــل

القصصي، والروائي، حيث يحرص الكتّاب في مثل هذه الأنواع من الأجناس الأدبية على تصوير السِّياق الخارجي بكل جزئياته كي يضعوا القارئ في أقرب نقطة من الأحداث، والدَّلالات، فكان موضوع البحث، والدِّراسة (السِّياق اللُّغوي وأثرهُ في دلالة النصّ) عند خليفة حسين مصطفى، رواية الأرامل والولي الأخير إنموذجاً.

أهداف من وراء هذا العمل:

1- التعريف بأحد الأدباء الليبيين من خلال الرواية.

2- إثراء المكتبات العربيّة ببحوث لغوية تسهم في توسيع الموارد المعرفيّة للدراسات النَّصية الحديثة.

3- دراسة المظاهر السِّياقية، ودلالتها الأسلوبية الَّتي تزخر بها الرواية.

من أهم الأسباب الَّتي دفعتني لهذه الدِّراسة:

1- أهمية هذا الموضوع، في فهم الكلام، وتحديد دلالتِه.

2- نذرة الدِّراسات الحديثة في هذا المجال.

وقد واجهت عدَّة صعاب من بينها:

1- صعوبة الإلمام بأنواع السِّياق من خلال الرواية.

2- نذرة المصادر والمراجع الحديثة في هذا المجال.

وقد استعنت بمصادر عديدة قديمة، وحديثة، منها الكتاب لسيبويه، البيان والتبيين للجاحظ، الخصائص لابن جني، دلائل الإعجاز في علم المعاني للجرجاني، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري، دلالة الألفاظ إبراهيم أنيس، علم الدَّلالة لأحمد مختار.

واللُّغة العربيَّة معناها ومبناها لتمام حسان، واللُّغة والمعنى والسِّياق لجون لاينز، ودور الكلمة في اللُّغة لستيفن أولمان، وغيرها ممَّا لا يسمح المقام بذكرها.

أمَّا المنهج المتوخي في هذا العمل، فهو المنهج الوصفي التحليلي، وكان من أهم الدِّراسات السابقة، السِّياق وأثره في المعنى لإبراهيم الغويل، والسِّياق عند إبراهيم الكوني، رواية عشب الليل، لعمر موسى عبود.

ويبنى التصميم على ثلاثة فصول تسبقها مقدِّمة، وتمهيد، وتتلوها خاتمة.

أشرنا في المقدّمة إلى أهمية علم الدّلالة، وظاهرة السِّياق، والهدف من هذه الدِّراسة، وأسباب اختيار هذا الموضوع، ومنهجه، وأهم الصِّعَاب، وتصميمه، والتنويه ببعض المصادر والمراجع، وتحدثنا في التمهيد عن الأديب خليفة حسين مصطفى، ونتاجه الأدبي، والتعريف بالراوية، وأسلوب الكاتب.

تناولنا في الفصل الأوّل: الدّلالة والسِّياق:

واشتمل على مبحثين خُصِصَ المبحث الأول: لدراسة مفهوم الدّلالة لغة واصطلاحاً، والدّلالة عند القدماء والمحدثين.

أمَّا المبحث الثاني: لدراسة السِّياق لغةً واصطلاحاً، والسِّياق عند القدماء والمحدثين والعلاقة الَّتي تربط السِّياق بالنصّ.

واشتمل الفصل الثاني على عناصر السِّياق ودلالاتها النَّصية في رواية الأرامل والولي الأخير، وتضمن مبحثان، الأول مدخل نظري اشتمل على ملخص الرواية، وأهم عناصر السِّياق.

والمبحث الثاني: اشتمل على تطبيقات نصّية للسِّياق اللُّغوي، وسياق الحال، والسِّياق العاطفي، والسِّياق الثقافي الاجتماعي، والسِّياق الحركي الإيمائي، وكذلك اشتمل على تحليل لعلاقة الترابط بين عناصر السِّياق على مستوى النصّ.

وفي الفصل الثالث الَّذي اختص بمظاهر السِّياق في رواية الأرامل والولي الأخير، والَّتي توزعت على ثلاثة مباحث فخصص المبحث الأول: للحذف والتنغيم، والمبحث الثاني: للتكرار والتقديم، والمبحث الثالث للإحالة والغموض، وخُتِم البحث بسرد لأهم النتائج الَّتي توصل إليها الباحث، ثُمَّ انتهينا بالفهارس.

وبعد، فإنَّ هذا البحث لا يعدُّ إلاَّ محاولة متواضعة في حقل الدِّراسة الألسنية عموماً، والدّلالية التداولية بشكل خاص، ومحاولة لربط النظرية بالتطبيق، وما توفيقي إلاَّ باللَّهَ، والحمد لِلَّه ربِّ العالمين.

الباحثة

التمهيد

- أوَّلاً- خليفة حسين مصطفى.
- ثانياً- أسلوب الكاتب.
- ثالثاً- التَّعريف بالرواية.

أوّلاً- خليفة حسين مصطفى:

1- حياتــه:

ولد خليفة حسين مصطفى في الثامن والعشرين من شهر ديسمبر سنة ألــف وتسعمائه وأربع وأربعين (1944) من سكان مدينة طرابلس.

2- مؤهلاته العلمية:

وكان من مؤهلاته العلمية إجازة التدريس الخاصة سنة 1967[1] تلقى تعليمه الأول في طرابلس، ثُمَّ انتقل إلى بنغازي للدِّراسة الجامعية بقسم التــاريخ، وعمــل بمجال التدريس.

3- أعماله:

نشر أول نتاجه الأدبي بمجلة الإذاعة، ثُمَّ واصل النشر بمختلــف الــصحف والمجلات المحليّة، والعربيَّة من بينها:

أ- الأسبوع السِّياسي.

ب- مجلة الوحدة[2].

ج - مجلة البلاغ اللبنانيَّة.

وقد حضر عدة مؤتمرات، وندوات أدبيَّة في داخل الجماهيريــة وخارجهــا. وعمل محرراً صحفيَّاً لجريدة الأسبوع الثقافي، ومراسلاً لصحيفة الجهــاد بلنــدن، وأميناً لقسم كتاب الطفل بالدار الجماهيرية، وأمين التحرير المساعد لمجلة الــسنابل كما قدَّم للإذاعة عدّة برامج أدبيَّة منها: (أدبيات الثورة)، و(الأطفال والثقافة).

أجريت معه عدة مقابلات صحفيَّة، وإذاعية في كل من مجلة الكفاح العربي، وجريدة البيان، ومجلة المرأة، ومجلة الموقف العربي، وإذاعات الجماهيرية.

4- العضويات: عضو رابطة الأدباء والكتّاب بالجماهيرية[3].

---

(1) معجم القصاصين اللِّيبيِّين، لعبد الله سالم مليطان: 135/1.

(2) ينظر معجم الأدباء اللِّيبيِّين، لعبد الله سالم مليطان: 409/1.

(3) ينظر: المصدر السابق: 409/1-410. ينظر دليل المؤلفين العرب واللِّيبيِّن، ص: 124.

5- نتاجه الأدبي:

1- صخب الموتى، الدار الجماهيرية سنة 1975 (قصة قصيرة).

2- توقيعات على اللحم، الدار الجماهيرية، سنة 1975 (قصة قصيرة).

3- المطر وخيول الطين، الدار الجماهيرية سنة 1981 (رواية).

4- ذاكرة الكلمات، الدار الجماهيرية، سنة 1981 (مقالة نقدية).

5- خريطة الأحلام السعيدة، الدار الجماهيرية، سنة 1982 (قصة قصيرة).

6- حكايات الشارع الغربي، الدار الجماهيرية، سنة 1982 (قصة قصيرة).

7- عين الشَّمس، الدار الجماهيرية، سنة 1983 (رواية).

8- جرح الوردة، الدار الجماهيرية، سنة 1984 (رواية).

9- زمن القصة، الدار الجماهيرية، 1984 (رواية).

10-آراء في كتابات جديدة 1984 (مقالة).

11-القضيّة، الدار الجماهيرية، سنة 1985 (قصة قصيرة).

12-من حكايات الجنون العادي، سنة 1985 (قصة قصيرة)[1].

13-آخر الطريق، الدار الجماهيرية، سنة 1986 (رواية).

14-عرس الخريف، الدار الجماهيرية، سنة 1986 (رواية).

15-دراسات في الأدب 1986 (مقالة)[2].

16-خطط صاحب المقهى، الدار الجماهيرية، 1987 (مسرحية).

17-عشر قصص تاريخية للأطفال مركز جهاد الليبيين، سنة 1987 (قصص أطفال).

18-سلسلة قصص الأطفال، الدار الجماهيرية سنة 1990 (قصص).

19-الجريمة، الدار الجماهيرية، سنة 1993 (رواية).

---

(1) ينظر مجلة الفصول الأربعة، رابطة الكتاب والأدباء بالجماهيرية [ع17]، وينظر معجم الأدباء الليبيين، عبدالله سالم مليطان: 409/1.

(2) معجم الأدباء الليبيين،: 410/1، وينظر مختارات من الرواية المغاربية المعاصرة لأبي شوشه بن جمعة: 520/2.

20-الأرامل الولي الأخير، 1998 (رواية).

21-ليالى نجمة ج(1) 1999 (رواية).

22-ليالي نجمة ج(2) 1999 (رواية).

ثانياً- (أسلوب الكاتب):

"اهتم (خليفة حسين مصطفى) بالوصف المكاني ذلك أنَّ المكان في الرواية هي الواقعيَّة[1] له أهميَّة بالنسبة لسرد، فقد بالغ في الوصف والتفاصيل إلى حد يبدو معها العالم المادي ينوء بأشيائه، وأمكنته على الأبطال وعلى القُرَّاء أنفسهم، وهكذا الوصف يمضي مع المعنى في سياق واحد"[2].

وقد لاحظنا أن تجاه الكاتب اتجاه واقعي، "والزمن في الرواية من الركائز المهمة في كتابة النصّ الروائي فقد استطاع الكُتَّاب العرب والكتَّاب في ليبيا توظيف الزمن بكل نظرياته، وما يرتكز على هذه النظريات من تقنيات تعتمد على أشكالها وأنماطها المختلفة[3].

ونلاحظ أن الكاتب يميل في اتجاهاته إلى نجيب محفوظ حيث "اعتمد في أغلب روايته على ضمير الغائب، وهذا نجده عند نجيب محفوظ الذي لا يُظهر في أعماله القصصية ضمير المتكلم إلا نادراً"[4].

ثالثاً- التعريف بالراوية:

رواية (الأرامل والولي الأخير) الَّتي أنجزها الأديب (خليفة حسين مصطفى) خلال شهر أي النار سنة ألف وتسعمائة (1998/1) وثمانية وتسعون صدرت طبعتها الأولى عن دار الكتب الوطنية بنغازي، وكذلك دار الجماهيرية للنشر والتوزيع، وجاءت هذه الرِّواية في أربعمائة وخمسة عشر (415) صفحة مقاس

---

(1) الواقعية: هي واقعية شاملة تتناول الواقع، أو شريحة من الواقع، وتتناول حقيقة من الواقع لا حقيقة مطلقة، بل جزءاً من الحقيقة، وواقع الناس في المجتمع، ينظر مدارس النقد الأدبي الحديث لمحمد خفاجي، ص: 156.

(2) بنية النصّ السردي، من منظور النقد الأدبي، لحمد الحمداني، ص: 69.

(3) ينظر في معرفة النصّ ليُمني العيد، ص: 225 وما بعدها.

(4) قضايا السرد لنجيب محفوظ، ص: 206.

12.5سم/14 سم، كذلك تحتوي هذه الرواية على أربع وثلاثين مقطعاً، فالكاتب في هذه الرواية كما في رواية (ليالي نجمة) التي سبقتها استطاع أن يُحوّل السرد الروائي إلى لون من النثر الجميل الذي يشبه الشِّعر، فأضاف لغةً وبلاغة روائية ممَّا يدلُ على المثابرة، لقد خلق من هذا العمل الجديد (الأرامل والولي الأخير) كوناً تمتزج فيه الأسطورة بالواقع، والخيال، فجاء نسيجة على نحوٍ متميز له خصائص الأعمال الروائية الكبيرة، وله هذا التفرد، وهذا الأفق الرحيب من النضوج، والقدرة على حفز واهتمام القارئي، وعلى الرغم من هذا البذخ الشَّكلي في هذه الرواية، إلاَّ أنَّك تشعر أنَّهُ (بَذَخٌ) يخدم النصّ ويعمق دلالته الإنسانية ممَّا يدل على أنَّ الكاتب لم يهتم بجانب فني على حساب جانب آخر، فجمال الأسلوب اللُّغوي تلقائي، وغير متصنع[1].

(1) ينظر الأرامل والولي الأخير، كامل عرّاب، ص: 416.

الفصل الأول

الدَّلالة والسِّياق

- المبحث الأول - الدَّلالـــــــــة.
- المبحث الثاني - السِّيـــــــاق.

المبحث الأول

الدَّلالـــــة

- الدَّلالـــة لغـــة واصطلاحـــاً.
- الدَّلالة عند القدماء والمحدثين.
- الدَّلالة عنـــــد القدمـــاء.
- الدَّلالة عنـــد المحدثيـــن.

الدَّلاَلَةُ لُغَةً، واصطلاحاً:

الدلالة لُغَةً: يُقْصَدُ بِهَا الهِدَايَةُ، وَالإِرْشَادُ إِلَى الشَّيْءِ.

يُقَالُ: "الدَّلِيلُ: مَا يُستَدَلُّ بِهِ، والدَّلِيلُ: الدَّالُ، وَقَدْ دَلَّهُ عَلَى الطَرِيقِ دَلاَلَةً، وَدِلاَلَةً، ودَلُولَة، وَالْفَتْحُ أَعْلَى"[1].

"وَدلَّهُ عَلَيْهِ دَلاَلَةً، وَدَلُولَه فاندَلّ، سَدَّدَهُ إِلَيْهِ"[2]، وَمِن الشَّوَاهِد عَلَى أَنَّ الدَّلاَلَة تَعْنِي الْهِدَايَة، والإِرْشَاد قَوْلَهُ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[3].

وَعَلَى اعتبار أَنَّ اللَّفْظ يُهْدِي، ويُرْشِدْ إِلَى المعْنَى، فَقَدْ أُطْلِقَ لفظ الدَّلالة عَلَى العلاقة الَّتِي تَرْبُطُ اللَّفظ، وَالْمَعْنَى إذاً فإِنَّ لفظ الدَّلالة بالفتح هُوَ المقصود لِلْعَلاقَةِ بينَ اللَّفْظِ، وَالْمَعْنَى، وَلَيْسَ الدِّلاَلَةُ بالْكَسْرِ؛ لأَنَّ وزن (دِلالة) هَوَ (فِعَالة) ، وَهَذَا الوزن مِنْ أَوْزانِ المصَادِرِ الدَّالةِ عَلَى الْحِرَفِ، أَوْ الْمِهَن[4].

أمَّا الدَّلاَلَة اصطلاحاً:

"فَهِي كَوْنَ الشَّيْءِ بحالةٍ يلزم مِنَ الْعِلْمِ بِهِ العلمُ بشيءٍ آخر، وَالشَّيء الأَوَّلُ هُوَ الدَّال، والثَّانِي هُوَ المدلول"[5].

وَقَدْ حَدَّدَ ابن خلدون[6] الدَّلالة عَلَى مُسْتَوى اللَّفْظِ الْمُفْرِدِ، وَعَلَى مُسْتَوى التَّرْكِيب، فقال "يتعَيَّنُ النَّظَرُ في دَلاَلَةِ الأَلفاظ، وَذَلِكَ إِنَّ اسْتِفَادَة الْمَعَانِي عَلَى

---

(1) تاج اللُّغة وصحاح العربيَّة، للجوهري: 510/4، مادة (دَلَ لَ).

(2) القاموس المحيط، للفيروز آبادي: 1293، مادة (دَلَ لَ).

(3) الصَّف: 10/6.

(4) ينظر الطريف في علم التصريف، لعبد الله محمد الأسطى، ص: 203.

(5) التعريفات، للشريف الجرجاني، ص: 220.

(6) ابن خلدون "عبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن خلدون أبو زيد بن حجر، الفيلسوف المؤرخ العالم الاجتماعي، أصله من إشبيليه، اشتهر بالكتابة، له مصنفات من بينها (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب، والعجم والبربر في سبعة مجلدات أولها المقدِّمة، وهي تعد من أصول علم الاجتماع)، ينظر الأعلام للزركلي: 330/3.

الإطْلاَقِ مِنْ تَرَاكِيب الكَلاَمِ عَلَى الإطْلاَقِ يَتَوقف عَلَى معرفَةِ الـدَّلالاتِ الوضـعيَّة مفردة ومركبة"[1].

والدَّلاَلَة الوضعيَّة هِي: "دلالة الأَلْفَاظِ عَلَى الْمَعَاني الموضوعَةِ لَهَـا، نَحْـوَ: قَلَمٌ"[2].

وَيَرَى الدكتور عبد السلام المسدّي أَنَّ الدَّلالة هِي: "الْعَمليَّة الَّتي يَقْترن فيهـا الدَّال بالمدلول في أَذْهَاننَا"[3].

فَهِي بِذَلِكَ عمليَّة اتصال في الذِّهن، وَهُوَ الإنْجَازُ اللُّغَـوِي مُفْـرَداً كَـانَ، أَمْ مُرَكَباً، ومَنْطُوقاً كان، أَمْ مَكْتُوباً، وَبَيْنَ المدلول، وَهُوَ المتصَوّرُ الذِّهْني، أو المفهـوم الَّذي يُكَوّنهُ الدَّالُ لَدَينَا.

وَفي الدَّرس اللِّسَاني الحديث يَرَى علماء اللُّغة الْغَرْبِيُّون أَنَّهُ لا يوجد تعريـف محدَّد للدَّلالَة يمكنُ الاتفاقُ عَلَيْه في جَميع المدارس اللُّغوية؛ وَذَلِكَ بِـسَبَب اخـتلاف المفاهِيم، واختلاف الأسس الَّتي تَعْتمدُ عَلَيْهَا كُـل مَدرسـة، فَفـي الحـديث عَـنْ مُصَطلحَات (اللَّفْظ)، وَ(المدلول)، وَ(المعنَى) قَالَ أُولمان: "... فَلَيْسَ هُنَـاكَ تعريـف واحد لِمِثْل هَذه المصطلحات المعقَّدَة، يُمْكنُ قبُولُهُ عَلَى مـستوى عَـالَمي، وإنَّ كُـلَّ منهج مِنْ مَنَاهِجِ البحث يَخْتَارُ عَادَةً جَانباً واحداً مُعَيَّناً من المشكلة الَّتي يَتَصَدى لَهَا، ويَسْتَوي في الصَّحَة والقبول مَعَ المناهج الأُخرى الَّتي تُرَكَّز اهتمامها عَلَى جَوَانـب مختلفة مِنَ الْمُشْكلَة نَفْسَهَا"[4].

لِذَلِكَ فقد حَصَرَ صَـاحِبَا نظريَّـة (مَعْنَـى المعنَـى)، (The meaning of meaning) اللُّغَويان أوجدن، وريتشاردز اثنين وعشرين تعريفاً لمصطلح (الدَّلالة)، أو (المعنَى)[5].

---

(1) المقدّمة لابن خلدون، ص: 419.

(2) المعجم المفصّل في علوم اللُّغة، لمحمد التونجي، ص: 311.

(3) الأسلوبيَّة والأسلوب، لعبد السلام المسدّي، ص: 117.

(4) دور الكلمة في اللُّغة، أولمان، ترجمة: كمال بشر، ص: 80.

(5) المصدر السابق، ص: 76.

أَمَّا اللُّغوي الإِنْجليزي فيرث: فَإِنَّهُ لا يعدُّ أَي وجود لِلْمَعْنَى خَـارجَ الـسِّياق، وَيَقُول: "إِنَّ الوحدات الْحَقيقيَّة لِلُّغة لَيْسَت الأَصوات، وِلاَ طريقة الكتابة، أو المعاني، وَلَكِنَّهَا العلاقات الَّتِي تُمَثِّلُهَا هَذِهِ الأَصوات، والأَسَاليب، والْمَعَانِي... إِنَّهَا العلاقـات المتبادلة، أو المشتركة داخل السِّلسلة الكلاميَّة، والصِّيغ الصَّرْفيَّة، والنَّحْوية"[1].

أَمَّا ستيفن أُولْمَان: فقد جعل للمعنى "علاقة متبادلة بَيْنَ اللَّفْظِ، والمدلول علاقة تمكِنّ كُلُّ واحد منهُمَا مِنْ استدعاء الآخر"[2].

وَمِنْ ذَلِكَ ندرك أَنَّ العلماءَ الغربيِّين لَمْ يتفقُوا عَلَى تعريف محدد للدَّلالة؛ نظراً لاختلافِ الأسس الَّتي تقوم عليها نظريَّاتهم.

---

(1) Firth. J.R. papers in linguistics: 2/4.

(2) دور الكلمة في اللُّغة، لستيفين أولمان، ص: 79.

الدَّلالة عند الْقُدَمَاءِ وَالْمُحْدَثِينَ

أ- الدَّلاَلَة عِنْدَ القُدَماء :

1- الدلالة عند اليونانيين:

لاَ شكَ أَنَّ موضوع الدَّلالة، أو المعنى شَغَل الإنْسَان مُنْذُ الْقِدَمِ لعلاقته المباشرة بعمليَّة التَّوَاصُل اللُّغوي، بَلْ لأَنَّهُ غَايَتَهُ، فَقَدْ تعرَّض الفلاسفة اليُونَانيون مُنْذُ قديم الزَّمان في بحوثهم، ومناقشاتهم لموضوعات تُعدُّ مِنْ صَمِيمِ علم الدَّلالة"[1].

ومن أولئك الَّذينَ اهتموا بِقضيَّةِ (المعنى) أرسطو الَّذِي مَيَّزَ بَيْن ثَلاثةِ أمُور:

1- الأشياء في العالم الخارجي مثل: الماء.

2- التصورات أو المعاني مثل: الماء فيكون معنى الماء هو الحياة لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[2].

3- الأصوات أو الرموز: معنى ذلك أن الشيء الموجود في العالم الخارجي له معنى كذلك له صوت فيقال: خرير (الماء)[3].

وَقَدْ نَظَرَ أَفْلاَطون في قضيَّة (اللَّفظِ والمدلول)، فَرَأى "أَنَّ العلاقة بَيْنَهُمَا طبيعيَّة ذاتية، وَأَنَّ تِلْكَ العلاقة كَانَت واضحة مَعَ نَشْأَةِ اللُّغة، ثُمَّ أصبحت غير واضحة مع تطوَّر الأَلفاظ، وتعَدُّدِهَا الأمر الذَّي صَعَّبَ عمليَّة التَّفسير، والتَّعليل في حِين تَزَعَّمَ أَرسْطُو رَأْيًا مخالفاً في كون العلاقة بين اللَّفْظِ، والمدلول علاقة اصطلاحيَّة"[4].

2- عند الهنود:

وَقَدْ اهتمَّ الهنود بمباحث الدَّلالة منذ وقت مبكِّر، ونَاقَشُوا أهم قضايا الدَّلالة الَّتي يتولاَّها علم الدَّلالة الحديث، مثل:

أ – العلاقة بين اللفظ والمعنى.

---

(1) علم الدلالة، لأحمد مختار، ص: 17.

(2) الأنبياء: 30/21.

(3) ينظر علم الدلالة، لأحمد مختار، ص: 17.

(4) ينظر المصدر السابق، ص: 18.

ب- أقسام دلالات الألفاظ.

ج- أهمية السياق في إيضاح المعنى.

د- وجود الترادف، والمشترك اللفظي في اللغات.

هـ- دور القياس والمجاز في تغيير المعنى[1].

3- عند علماء العرب المسلمين:

وَقَدْ كان لِعُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ دَوْرٌ كبير في مجال دراسة المعنَى، والإِحاطةِ بجُزَيْئَاته، فكانت بداياتهم في تناول المعنَى مع بداية الحاجة إلى تفسير القرآن الكريم، فَدَرَسُوا معنى الغريب، والوجود، والنظائر في القرآن الكريم، وصَنَّفُوا المعاجم الموضوعيَّة، واللَّفْظيّة، وحَتَّى ضَبْطِ الْمَصْحَفِ الشَّرِيفِ بالشكْلِ يُعَدُّ في حَقِيقَتِه عَمَلاً دَلاَليّاً؛ لأَنَّ تَغييُر الضَّبط يُؤَدي إلى تَغْيِّير وَظِيفَةِ الكلمة، وبالتَّالي إلى تَغْيِّير المعنَى[2].

وَقَدْ تطوّرت الدِّراسة الدَّلالية عِنْد المسلمينَ معَ تطوّر العلوم المختلفة، فَعَنِيَ بهَا اللُّغَويون، والبلاغيّون، والأُصوليُّون، فاللُّغويون بدؤوا بتأليف الرسائل اللُّغوية الَّتي جَمَعتْ الألفاظ الَّتي تختص بموضوع واحد، كخلق الإنسان، والحيوان، والشّجر، والنَّبات، فكانت نواة الصّناعة المعجميَّة الَّتي توَّجت معجم (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي[3] (ت175هـ) ثُمَّ توالت أبحاثهم، فتناولوا عدَّة ظواهر دلاليّة كالمشترك اللَّفظي، والأضداد، والترادف، والاشتقاق، وغيرها من الظواهر الّتي تَضَمَّنَتْهَا مؤلفاتهم؛ كالخصائص لابن جني[4] (ت392هـ)، والصاحبي لابن

---

(1) ينظر علم الدلالة، لأحمد مختار، ص: 20-21.

(2) المصدر السابق، ص: 20.

(3) هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، من أئمة اللغة، وواضع علم العروض، أخذ بالموسيقى وكان عارفها، وهو أستاذ سيبويه، وصاحب (كتاب العين، ومعاني الحروف، وكتاب العروض)، ينظر معجم المؤلفين، لرضا كحالة: 314/4.

(4) هو عثمان ابن جني الموصلي، أبو الفتح من أئمة الأدب والنحو، وله شعر، ولد بالموصل، وتوفي ببغداد عن نحو 65 عاماً من أهم كتبه الخصائص، وله ثلاثة أجزاء في اللغة، واللُّمع في النحو، والتنبيه في شرح ديوان الحماسة، ينظر الأعلام للزركلي: 204/4.

فارس[1] (ت395هـ) وفقه اللُّغة للثعالبي (ت428هـ)، وغيرها من المصنَّفات الَّتي تناولت الدَّلالة بشكل أو بآخر.

فمن الظواهر الدَّلالية الَّتي تناولها ابن جني ظاهرة تغير المعنى بتغيُّر الوحدات الصوتية فيما سمَّاهُ (الاشتقاق الأكبر)، وفي هذا يقول: "أنْ تأْخذ أصلاً من الأصول الثّلاثية فتعقد عليه، وعلى تقاليبه السِّتة معنى واحداً تجتمع التراكيب وما يتصرّف من كل واحد منها عليه"[2]، ومن أمثلته في ذلك تقليب الأصل الثلاثي (سَلَمَ)،(س م ل) إلى (س ل م)، (م س ل)، (م ل س)، (ل م س)، (ل س م)، ويرى أَنَّ المعنى الجامع لها المشتمل عليها هو معنَى الإصحاب والملاينة[3]، وقد أشار ابن جني إلى ثلاثة أنواع للدَّلالة هي: الدَّلالة اللّفظية، والدَّلالة الصناعيّة والدَّلالة المعنوية "فأقواهن الدّلالة اللَّفظية، ثُمَّ تليها الصِّناعية ثُمَّ تليها المعنوية"[4]، ويُمثِّلُ لذلك بالفعل (قَامَ)، الَّذي يدُلُّ لفظهُ على مصدرهِ أي على القيام، وهذهِ دلالة لفظيَّة، ويدُّل بناؤه؛ أي صيغته ووزنَهُ على زمانهِ، وهذه دلالة صناعيَّة ويدل معناهُ بوصفهِ فعلاً لا اسماً، ولا حرفاً على فاعلهِ وهذهِ دلالة معنويَّة، وَأقوى هذهِ الدَّلالات عند ابن جني هي الدَّلالة الصَّناعيَّة ذلك: "أَنَّهَا وَإِنْ لَمْ تكُنْ لَفْظاً فَإِنَّهَا صورة يَحْمِلُهَا اللَّفظ، ويخرج عليها ويستقر على المثال المعتزم بها، فلَّمَا كانت كذلكَ لَحِقتْ بحكمَة وصيرت مجرى اللَّفْظ المنطوق بِهِ.

فدخَلاَ بذلكَ في باب المعلوم بالمشاهدة، وأمَّا المعنَى، فإنَّمَا دَلالاتَهُ لاَحِقَةً بعلومِ الاستدلال، وليست في حيِّز الضروريات، ألاَ تَرَى حينَ تسمع الفعل (ضَرَبَ) قَدْ عرفت حَدَثَهُ وزَمانَهُ، ثُمَّ تَنْتظِر فيما بعد، فتقول: هَذَا فِعلٌ، وَلاَ بُدَّ لَهُ من فَاعل، فَنَبْحَثُ حِينَئذٍ إِلىَ أَنْ تَعْلَمَ الفاعِل مَنْ هُوَ وَمَا حَالَهُ من موضع إلى آخر لاَ من

---

(1) هو أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسنين من أئمة اللغة والأدب، ومن تصانيفه (مقاييس اللغة، والمجمل، والصاحبي في علوم اللغة، والإتباع والمزاوجة)، ينظر: الأعلام للزركلي: 193/1.

(2) الخصائص، لابن جني: 134/2.

(3) ينظر المصدر السابق: 137/2.

(4) المصدر نفسه: 98/3.

مسموع (ضَرَبَ)[1]، وَقَدْ تَنَاوَلَ ابن جنّي الظاهرة الدّلالية، والعلاقة بَيْنَ اللّفظ والمعنى في عدة فصول من كتابه الخصائص.

وَقَدْ اهتم النُّحَاة بالدّلالَة خدمةً لكتاب الله وإجلاء للمعاني الّتي تضمّنتها آيَاته.

والدّلالة الكليّة، حَيْثُ تَلْتَقي مَعَ الدّلالات الصّوتيّة، والصرفيّة، والْمُعْجَميّة، وَالسّياقية؛ لتحقيق ذَلكَ.

والدّلالة النّحْوية تَبْدُو، ومن خلال العلاقات النّحْوية الّتي تْربطُ الألفاظ دَاخل الجُمَل، وكَذَلكَ الجُمَل فيمّا بينهَا بحَيْثُ لَوْ اختلّ النّظَام النّحْوي في الكلامِ لَفَقَدَ دَلالَتَهُ، وَغَابَتْ مَعَانيه، وَقَدْ تَنَبَّه النُّحاةُ إلى ذَلكَ في وَقْتٍ مُبكّرٍ، فَهَذَا أَبو الأَسود الدُّؤَلي[2] (ت69هـ) وَضَعَ مُصنفاً في قَواعد الْعَرَبيَّة؛ لمُوَاجَهَة ظاهرة اللّحْن في اللُّغَة الّتي تَفَشَّت بَيْنَ الناطقينَ بالْعَرَبيَّة منَ الأَعَاجم، وَمَا لذَلكَ منْ أَثَرٍ ضَار في الدّلالَة اللُّغَويَة عَلَى مُسْتَوى الاسْتعْمَال، وَفي مستوى فَهْمِ كتَاب الله.

وَكَان كتاب سيبَوَيْه[3] (ت180هـ) يَضُمُ النّحْوَ، والصّرْفَ، والْكتَابَة، وَعُلُوماً أخرى كَالبلاَغَة، والنّقْد، والْمَنطق، والدّلالة، فَقَدْ تَنَاوَلَ عَلاَقَة اللّفظ بالْمَعْنَى في عدَّة أبواب، بَلْ في أَغْلَب أَبْوَاب الكتاب منْ ذَلكَ مَثلاً: باب بعنوان: (بَابُ اللّفْظ لْلمَعَاني) يَقُولُ فيه: "اعْلَمْ أَنَّ منْ كَلاَمهم اختلاف اللّفْظَيْنِ لاخْتلاَف الْمَعْنَيَيْنِ، واختلافُ اللّفظَيْنِ، والمعنَى واحد، واتفاقُ اللّفظيْنِ واخْتلافُ الْمَعْنَيْينِ"[4].

وَبَابٌ آخر بعنوان: (بَابُ ما يكونُ في اللّفْظ منَ الأغراض) يقول فيه: "اعلم أَنَّهُم ممَّا يَحْذفون الْكَلم وَإنْ كَانَ أَصْلُهُ في الكلامِ غَيْرُ ذَلكَ، وَيَحْذفُونَ، ويُعَوِّضُونَ

---

(1) الخصائص، لابن جني: 98/3.

(2) هو ظالم بن عمر بن ظالم، وقيل ابن سفيان، بن عمر بن حلس بن نفاثة بن عدي بن الدؤل، أول من أسس النحو، وهو أول من نقط المصحف، ينظر بغية الوعاة للسيوطي: 21/2.

(3) هو أبو البشر بن عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي، الملقب بسيبويه إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو، فلزم الخليل بن أحمد، وصنّف كتابه المسمى الكتاب في النحو، ولم يضع بعده ولا قبله، وسيبويه بالفارسي رائحة التفاح، ينظر الأعلام للزركلي: 81/5.

(4) الكتاب، لسيبويه: 24/1.

وَيَسْتَغْنُونَ بالشَّيْءِ عَنِ الشَّيْءِ الَّذِي أَصْلُهُ فِي كَلاَمِهِم أَنْ يَسْتَعْمِل حَتَّى يَصِيرَ سَاقِطاً"[1].

وَتَتَوَالَى الأَبواب في هَذَا الصَّدَد في كِتَاب سِيبَوَيْه، فَنَجِدُ "بَاباً في وقوع الأَسْمَاءِ ظروفاً، وتصحيح اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى"[2]، وَهَذَا "بَابُ استعمال الْفِعْل في اللَّفْظِ لاَ في الْمَعْنَى لاتِّساعهم في الكلام، وَالإيجَاز، والاختصار"[3]، وَلَم يَكُنْ سيبويه وحدهُ الَّذِي ربط بَيْنَ النَّحْو، والدَّلاَلَة، بَلْ إِنَّ الدَّرْسَ النَّحْوي سَوَاءً قَبْلَ سيبويه، أَمْ بَعْدَهُ لَمْ يَغْفَلْ عَنْ الْمَعْنَى باعتباره غاية الكلام.

وهَذا الكسَائي[4] (ت189هـ) يَحَاورُ أَبَا يوسف القاضي الفقيه؛ لأَنَّهُ انتقَصَ منْ قِيمَة النَّحْو، فأَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُ أَهَمِيَّة النَّحْو، وَأَثَرَهُ في الدَّلالة، فقال لَهُ: "مَاذَا تَقُولُ في رَجُلٍ قَالَ لِرَجُل: أَنَا قَاتِلُ غُلاَمِكَ (بالإضافة)، وَقَالَ آخر: أَنَا قَاتِلٌ غُلاَمَك (بالتنوين) أَيُّهُمَا كُنْتَ تَأْخُذُ بِهِ؟ قَالَ (القاضي) أخذْهُمَا جَمِيعاً، فقال لَهُ الرَّشيد أَخْطأْتَ"[5].

ثُمَّ سَأَلَ عَنْ علَّة ذَلِكَ فَقَالَ: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قال: وَالَّذِي يُؤْخَذُ بِقَتْل الغُلاَمِ هُوَ الَّذِي قَالَ: أَنَا قَاتِلُ غُلاَمِكَ (بالإضافة)؛ لأَنَّهُ فعْلٌ ماضٍ، أَمَّا الَّذِي قَالَ: أَنَا قَاتِلُ غُلاَمَك (بالتنوين) فَلاَ يُؤْخَذُ بِه؛ لأَنَّهُ مُسْتَقبَلٌ لَمْ يَقعْ بعد[6].

والدَّلالة النَّحْوية هِيَ الَّتي تَسْتَمِدُ منْ سِيَاق الجُملة، ونظَامِهَا، وَالْعَلاَقَة القَائمة بَيْنَ كلماتِهَا.

---

(1) الكتاب، لسيبويه: 24/1، 25.

(2) المصدر السابق: 216/1.

(3) المصدر نفسه: 211/1.

(4) هو علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي بالولاء الكوفي، أبو الحسن الكسائي، إمام في اللغة والنحو والقراءة له تصانيف عدة منها: (معاني القرآن، المصادر، الحروف، القراءات، النوادر، والمختصر في النحو)، ينظر الأعلام للزركلي: 283/4.

(5) معجم الأدباء، لياقوت الحموي: 177/13.

(6) ينظر المصدر السابق: 177/13.

وَيُعدُّ ابن فارس (ت395هـ) مِنْ رُوَّادِ البَحْثِ الدَّلالي، فَقَدْ صَنَّفَ مُعْجَماً سَمَّاهُ (مَقاييسَ اللُّغة) الَّذي يَعْتَمِد فِيهِ عَلَى تَقْلِيبِ المادةِ اللُّغَويةِ للأَلْفاظِ، ويرجع معانيها في صورها المتعدِّدة إلى معنى أساسي، أو مركزي تشترك فيه، وَفي كِتابِهِ (الصَّاحِبي في فقه اللُّغة)، تَعرَّضَ لِمُصْطَلَح المعنَى وَعَقَدَ فيه باباً سَمَّاهُ (باب معاني أَلْفَاظ الْعِبَارَات الَّتِي يعبّر بها عن الأشياء"، فقال: "مَرْجِعُهَا إلى ثلاثة: وهي المعنى، والتفسير، والتأويل، وَهِي وَإِنْ اختلفت فإنَّ المقاصدَ بِهَا متقاربة..."[1].

فالمعنى، والتَّفسير، والتَّأويل ثلاثة مصطلحات مُتَرَادفة عِنْدَ ابن فارس، وهَذَا يَقْتَضِي أنَّ المعنَى عِنْدَهُ تَفسير لِشَيْء، أَوْ تَأْويل لَهُ، وَهُوَ يُفَسِّر المعنَى بالقَصْد، أوْ المُرَادِ "يُقال عنيت بالكلام كذا، أي قصدت وعمدت...، وَقَالَ قَومٌ: اشتقاقُ المعنَى مِنَ الإِظْهارِ، يقال: عَنَت القِرْبَة إذا لَمْ تَحْفُظْ الماء، بَل أظهرتْهُ"[2].

وَقَدْ كان لِعُلَمَاءِ الكلامِ المسلمينَ اهتمام كبير بالدَّلالة؛ ذَلِكَ أَنَّ كثيراً مِنْ قضَايَا عِلْمِ الكلام الأساسيَّة قَدْ اصطدمتْ بِدَلالَةِ اللَّفْظِ، وَدَلالَةِ النصِّ، وَقَدْ رَبَطُوا بَيْنَ الأَلْفَاظِ ووقْعِهَا في النَّفْسِ، فَابْنُ سِينَا[3] (ت427 هـ) يحدِّدُ معنى دَلالَة اللَّفْظ بَأَنْ يُكون إذَا ارْتَسَمَ في الْخَيَالِ مسموع وارتسم في النَّفس معنَى، فتَعْرِفُ النَّفْسَ هَذَا المسموع لهذا المفهوم، فكُلَّمَا أَوْرَدَهُ الْحِسُ عَلَى النَّفْسِ التَفَتَ إِلَى معناه"[4]، وقَدْ أشَاروا إِلَى قَضيَّة دَلالِيَّة مهمّة، وهَي اشتراكُ البشر في قوةِ الإدراك، واختلافهمَ في الرَّمُوزِ والأَلفاظ مَعَ أَنَّ الأَشْيَاءَ، أو المدلولات في العالم واحدة، وفي هَذَا يَقُول، ابنُ سينا: "وَأَمَّا دَلالة ما في النَّفس عَلَى الأُمُورِ فدلالة طبيعيّة لا تختلف لاَ الدَّال، وَلاَ الْمَدْلُول عَلَيْهِ، كَمَا في الدَّلالةِ بَيْنَ اللَّفْظِ وَالْأَثَرِ النفساني، فإنَّ المدلول عليه، وإنْ كان غير مختلف فإن

---

(1) الصاحبي في فقه اللُّغة، لابن فارس، ص: 198-199.

(2) المصدر السابق، ص: 198.

(3) هو أبو علي الحسن بن عبد الله بن سينا، فيلسوف وطبيب مسلم يلقب بالشيخ الرئيس، ولد في أفتنه قرب بخاري، ودرس العلوم الشرعية، والفلك، والرياضة، والفلسفة، من تصانيفه (شفاء العبارة، شفاء الخطابة)، ينظر الموسوعة العربية الميسرة: 19/1.

(4) الشفاء العبارة، ابن سينا، ص: 4.

الدَّال مختلف، ولا كما في الدلالة بين اللَّفظ والكتابة، فإن الـدَّال، والمـدلول عَلَيْـهِ جميعاً قد يختلفان"[1].

وَهَذَا مَا ذَهَبَ إليه الإمام الغزالي[2] (ت505هـ) بقوله: "الوجود في الأَعْيان، وَالأَذْهَان لا يختلف بالبلاد، والأُمَم، بِخلاَف الأَلْفَاظ، والكتابَة، فَإِنَّهُمَا دَالَتَانِ بالوضْع، والإصطلاح"[3]، وقَدْ حَدَّد المتكلِّمون دَلاَلَة اللَّفْظ عَلَى الْمَعْنَى ثَلاثَة أَوْجُه:

الوجه الأَوَّل: "الدَّلالة من حَيْثُ المطابقة، كالاسم الموضوع بإزاء الـشيء، وذَلِـكَ كدلالة لَفْظَ (الحائط) عَلَى (الحائط)...".

الوجه الثَّاني: "أَنْ تكون بطريقة التَضمُّن، وذَلِكَ كدلالة لفظ (البيت) عَلَى (الحـائط) وَدَلالة لفظ (الإنسان) عَلَى (الحيوان) ودلالة كل وصـف أخـص عَلَـى الوصف الأَعم الجوهري".

الوجه الثَّالِـث: "الدَّلالة بطريقة الالتزام، والاستتباع، كدلالة لفـظ (الـسقف) عَلَـى (الحائط) فإنَّهُ مُستَتْبَعٌ لَهُ استتباع الرفيق اللازم الخارج من ذاته..."[4].

وَكان عُلَمَاءُ الكلامِ بتحديدهم لمصطلحات "المطابقة، والتضمّن، والالتزام في الدّلالة يعملون عَلَى إرْسَاءِ منهج لدراسَة المعنى، وكانوا يهدفون مـن خـلال هـذا التحديد، والحصر، والضَّبط إلى وضع قوانين كليَّة في عِلْـمِ المعنَـى"[5]، وبـذلكَ أَخْضَعُوا البحث الدَّلالي إلى التَّحليل العقلي لتحديد معالمِه، ولتوظيفه فـي أبحـاثهم ومناظراتهم.

---

(1) الشفاء العبارة، ابن سينا، ص: 5.

(2) هو أبو حامد الغزالي فقيه ومتكلم، فيلسوف صوفي ومصلح ديني واجتماعي، وصاحب رسالة روحية، ولد بطوس، درس علم الفقه، وعلوم الفلاسفة، وعلم الكلام، ينظر الموسوعة العربية الميسرة: 254/1.

(3) معيار العلم لأبي حامد الغزالي، ص: 75.

(4) ينظر المصدر السابق، ص: 72.

(5) منهج البحث اللُّغوي بين التراث وعلم اللُّغة الحديث، لعلي زوين، ص: 172.

وَفي هَذَا نَقَلَ السُّيوطي[1] (ت911هـ) عن الرَّازي ومن تَبِعَهُ "أَنَّ لَيْسَ الغرض من الوضع إفادة المعاني المفردة، بل الغرض إفادة المركبّات، والنسب بين المفردات كالفاعليَّة، والمفعوليَّة وغيرهَا"[2]؛ ذَلِكَ أَنَّ النَّحْوَ إعَرابٌ "والإعرابُ هُوَ الفارقُ بيْنَ المتكافئة في اللَّفظ، إذن فمركز اهتمام النحاة يقع داخل الإشكالية الَّتي نحن بصددها إشكاليَّة اللَّفظ، والمعنَى"[3].

وخلاصة القول إنَّ علماء اللُّغة تكمن آراؤُهُم في الآتي:

1- ربَطُوا بينَ النَّحْوِ، والدَّلالة فجعلوا العلامة الإعرابيَّة دالة على المعنى.

2- تقسيم ابن جني للدَّلالة عَلَى ثلاثة أنواع، دلالة لفظيَّة، ودلالة صناعيّة، ودَّلالةَ معنويَّة.

3- جَعْلِهُم نظام التقليبات، أَو ما يسمى (بالاشتقاق الأكبر)، وهو تقليب المادة اللُّغوية للألفاظ الَّتي ترجع إلى معنى أساسي مركزي.

4- كذلكَ ذهب علماء المسلمين إلى اشتراك البشر في قوة الإدراك، واختلافهم في الرموز، أي جعلوا التعرف على الدَّال والمدلول من جانب حسي كمَّا وضَّحَها (ابن سينا، وأبو حامد الغزالي)، وَقَدْ عنيَّ البلاغيُّون، والنُّقاد بدراسة المعنَى؛ فَنَظَروا (في اللَّفْظِ وَعَلاَقتِه بالمعنى، ونظروا في التركيب وأدائه للمعنى، وذَلِكَ مِنْ حَيْثُ الحقيقة، والمجاز، والأَساليب الخبريَّة، والإنشَائيّة، واهْتَمُّوا بِظَاهرة التَّأْويل، أو الكشف عَنْ المعنَى العميق، "فَالتَّأْويل يعمل عَلَى تحديد العلاقة بيْنَ اللَّفْظِ، ومعنَاهُ الباطن، أَوْ معناه البعيد... وإعمال التَّأْويل في التَّوَصل إِلَى بَاطِنِ اللَّفْظِ إِعْمَالاً صحيحاً يُحَقِّقُ وُضُوحاً لِلرُؤْيَةِ في جَانبِ الدَّلاَلَة"[4].

---

(1) هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضري السيوطي جلال الدين، إمام وحافظ، مؤرخ، أديب، له نحو 600 مصنف، منها كتاب الكسر، والرسالة الصغيرة، ومن كتبه (الإتقان في علوم القرآن، والألفية في النحو واسمها الفريدة، وجمع الجوامع)، ينظر الأعلام للزركلي: 301/3.

(2) المزهر في علوم اللُّغة وأنواعها، للسيوطي: 41/1.

(3) بُنيَّة العقل العربي، لمحمد الجابري، ص: 44.

(4) ظاهرة التَّأْويل وَصِلَتُهَا باللُّغة، د. السيِّد أحمد عبد الغفَّار، ص: 155.

وَقَدْ وَضَعُوا مصطلحات عِدَّة لِدِرَاسَة المعنَى، وتَحْلِيلِه عَلَى مُسْتَوَيات النصِّ المختلفة، منها: الاشتراك، التضمين، الاقتضاب، الحشو، الإطناب، الحذف، الاستعطاف، التَّشبيه، الاستعارة، المطابقة، المقابلة، الكناية، وغيرهَا، واختلفوا في بعض تسمياتِهَا وأَضَافُوا إليها أُخْرَى[1]، وَقَدْ تَنَبَّهَ الجاحظ[2] (ت255هـ)، أنَّ لِلدَّلاَلَةِ أَنْوَاعاً، حَصرها في خمسة أشياء هِي:

1- اللَّفْظ: هُوَ الكلام المنطوق.

2- الإشَارَة: هِيَ الحركَةُ بالْيَد، أَوْ بغيرهَا مِمَّا يَدُّل عَلَى معنى.

3- الْعَقد: هو الحساب دون اللفظ والخط.

4- الخط: وَهُوَ الكلامُ المكتوب[3].

5- النَّصبة: هي "الحال الدَّالة بغير عبارة ناطقة بغير يد، ولا طرف وهي ظاهرة في خلق السموات والأرض، وكل صامت، وناطق"[4]

فَلَعَلَّهُ أَوَّلُ مَنْ تَنَبَّهَ عَلَى أَهميَّة الإشارة، والعلامة في إِيصَالِ المعنَى، وَأَنَّ الدَّلاَلَة لاَ تَقْتَصِر عَلَى اللَّفْظ فَقَطْ، أَوْ اللُّغة بِمَعْنَاهَا التَّقليدي، وَقَدْ مَيَّزَ الجاحظ اللَّفظ عَلَى المعنَى، وَأَعْلَى مِنْ شَأْنِه عَنْدَمَا قال: "المعاني مطروحة عَلَى الطَّرِيقِ يعرفُهَا العَجَمِيُّ، والبدويُّ، والعَرَبِيُّ، والقَرَوِيُّ، والمدنيُّ، وإِنَّمَا الشَّأْنُ في إقامَة الوزنِ، وتَخَيُّرِ اللَّفْظِ، وسهولةِ المخرج وكثرةِ الماء، وَفي صِحَّة الطَّبْع، وَجودَة السبْك"[5]، وَقَدْ وَقَفَ مَعَ هَذَا الرَّأي كثير مِمَّن جاؤُوا بَعْدَهُ، ونذكرُ مِنْهُمْ أَبَا هِلال العسكري[6]

---

(1) ينظر: كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري، ص: 75.

(2) هو عمرو بن بحر بن محبوب الكناني المعروف بالجاحظ أبو عثمان، أديب مشارك في أنواع من العلوم من تصانيفه (الحيوان، البيان والتبيين، الطبائع، سلوة الخريف بمناظرة الربيع والخريف)، ينظر: معجم المؤلفين، لرضا كحالة: 7/8.

(3) ينظر: البيان والتبيِّين، للجاحظ: 1/76-81.

(4) مواد البيان، لعلي بن خلف الكاتب، ص: 197.

(5) كتاب الحيوان، للجاحظ: 3/131.

(6) هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، صاحب الصناعتين، كان موصوفاً بالعلم والفقه، والغالب عليه الأدب والشعر، من مصنفاته، جمهرة الأمثال، شرح الحماسة، التلخيص في اللغة وغيرها، ينظر: بغية الوعاة للسيوطي: 1/487.

(ت395هـ) الذَّي يُكَرِّرُ مَا قَالَهُ الجاحظ: "وَلَيْسَ الشَّأْنُ فِي إِيرَادِ المعنَى؛ لأَنَّ المعاني يعْرِفُهَا العربي، والعجمي، وَالقَرَوي، والمدني، وَإِنَّمَا هُوَ في جَوْدَةِ اللَّفْظِ وَصَفَائِهِ، وحُسْنِهِ، وَبَهَائِهِ، ونزَاهَتِهِ، ونَقَائِهِ، وَكُثْرَةِ طَلاَوَتِهِ، مَعَ صِحَّةِ السَّبْكِ والتَّرْكِيبِ.

وَالْخُلُو من أود النظم في النَّظْمِ، والتَّأْليف، ولَيْسَ يَطْلُبُ مِنَ الْمَعْنَى إِلاَّ أَنْ يَكُون صَوَاباً، ولا يَقْنَع مِنَ اللَّفْظِ بذلِكَ حَتَّى يَكُونَ عَلَى مَا وَصَفْنَاهُ مِنْ نُعُوتِهِ الَّتِي تَقَدَّمتْ"[1].

وَقَدْ حَاوَلَ ابن رشيق[2] (ت456هـ) تَجَاوُز هذه الثنائية، وَبيان دورُ كلٌّ عنصر في الأَداء، فَقَدْ خَصَّصَ بَاباً في كِتابِهِ العمدة لِمَسْأَلَةِ اللَّفْظ، والمعنَى، وَقَرَّرَ فيه مُنْذُ البداية أَنَّ "اللَّفظ جسمٌ، وَرُوحُه المعْنَى، وارْتِبَاطَهُ بِهِ، كَارْتِبَاطِ الرُّوحِ بالجسمِ يَضْعَفُ بِضَعْفِهِ، وَيَقْوَى بِقُوَّتِهِ"[3]، مُؤَكِداً بِأَنَّكَ "لاَ تَجِدُ مَعْنَى يَخْتَلُّ إِلاَّ مِنْ جِهَةِ اللَّفْظ، وَجَرْيِهِ عَلَى غَيْرِ الْوَاجِبِ"[4].

وَحَدَّد عبد القاهر الجرجاني[5] (ت471هـ) العلاقة الَّتي تربط بينَ العنصرين الذَّي عُنِيَ بِدِرَاسَةِ الْمَعْنَى، وَأَقامَ عَلَيْهَا نَظَرِيتَهُ المتميِّزة في النَّظْمِ، الَّتي يَرَى مِنْ خلالِهَا أَنَّ الأَلفاظ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أهميتهَا، فَهِي لاَ تُفِيدُ مَعْنَى في حَالتها المفردة؛ لأَنَّ الدَّلاَلة تنتجُ عَنْ ضَمِّ الأَلفاظ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَسَبيل ذَلِكَ تَوخيّ مَعْنَى النَّحْوِ، وَأحكامِهِ فَلاَ "نَظْمَ في الكلِم وَلاَ ترتيب حَتَّى يعلق بَعْضُهَا ببعض، ويبني بعضها عَلَى

---

(1) كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري، ص: 57-58.

(2) ابن رشيق: صاحب العمدة في الشعر وهو أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، كان شاعراً، ونحوياً، ولغوياً وأديباً، ينظر بغية الوعاة، للسيوطي: 475/1.

(3) العمدة، لابن رشيق القيرواني: 200/1.

(4) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(5) هو عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني أبو بكر، واضع أصول البلاغة كان من أئمة اللغة من أهل جرجان، من كتبه أسرار البلاغة، دلائل الإعجاز، والجمل في النحو، ينظر الأعلام للزركلي: 48/4-49.

بعض، وتجعل هَذه بِسَبب مِنْ تِلكَ"[1]، وَغَاية ذَلِكَ أَداء المعاني المترابطة، والْمُتَنَاسِقَة الَّتِي تَجِدْ طَرِيقَهَا إِلَى الْعَقْل.

إِنَّ الغرض مِنْ نَظْمِ الكلم "لَيْسَ إِنْ تَوَالَتْ أَلْفَاظُهَا فِي النُّطقِ، بَلْ إِنْ تناسقت دلالتها وتلاقت معانيهَا عَلَى الوجه الَّذي اقتضاهُ العقل"[2]، والدَّلالة عند عبد القاهر الجرجاني عَلَى ضربين:

1- دلالة مباشرة: وهِي الَّتي تشير إليها الأَلفاظ دون غيرها.

2- دلالة غير مباشرة: وهي الَّتي يتوصل إليها من خلال الدَّلالة الأُولى، ويكون مدارها الكناية، والاستعارة، والتَّمثيل[3].

وَقَدْ بيَّنَ ذَلِكَ بقوله: "الْمَعْنَى، ومَعْنَى الْمَعْنَى:

1- وَيَعْنِي بالْمعْنَى الْمَفْهُومِ مِنْ ظَاهِرِ اللَّفْظِ، والَّذي تَصِل إِلَيْهِ بغير واسطة.

2- ومعنَى المعنَى يقصد أَنْ تَعْقُلَ مِنَ اللَّفْظِ مَعْنَى، ثُمَّ يَفْضِي بِكَ ذَلِكَ المعنَى إِلَى مَعْنَى آخر"[4].

وكان عبد القاهر من أنصار المدرسة المعنويّة على الرَّغْمِ مِنْ عنايتِهِ باللَّفظ، والأَلفاظ في رَأْيِهِ تتفاضَل بقدر دلالتها عَلَى المعنَى، وقَدْ أَقَامَ نظريتَهُ عَلَى ظاهرة المعنَى، وَأَنْ "تَتَالَي الأَلفاظ في تراكيب مختلفة لِلدَّلاَلَةِ على المعاني المتفاوتة مِنْ حَيْثُ الوضوح والعمق، والتَّأْثير في النفوس، والزِّيَادة والنقصان، والنفي، والإثبات...الخ، والأَغْرَاضِ الَّتي يَرَى أَنَّهَا تُعَبِّر عن المفهوم الجوهري لِلُّغة، وَمَدَى الاسْتِفَادَة مِنْهَا"[5].

وهو ينظر في المعنَى مِنْ خلال التَّرْكيب باعتباره كلاًّ مُتَمَاسِكاً لا باعتباره وحدات مجزأة تحمل معاني مفردة، وفي هذا المعنى يقول: "وَلَيْتَ شِعْرِي، كيف يتصور وقوع قصد منكَ إلى مَعْنَى مِنْ دُون أَنْ تُرِيدَ تَعْلِيقَهَا، بمعنَى كلمة أُخرى؟.

---

(1) دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني، ص: 55.

(2) المصدر السابق، ص: 49-50.

(3) ينظر المصدر نفسه، ص: 262.

(4) المصدر نفسه، ص: 262.

(5) منهج البحث اللغوي، لعلي زوين، ص: 162.

ومعنَى (القصد إلى مَعَانِي الْكَلِم) أَنْ تُعْلِمَ السَّامِع بِهَا شيئاً لاَ يَعْلَمَهُ، ومعلوم أَنَّكَ أَيُّهَا المتكلّم لَسْتَ تقصد أَنْ تُعْلِمَ السَّامع معاني الكلِم المفردة الَّتِي تكلِّمه بِهَا"[1]، كَمَا أَسْهَم الزمخشري[2] (ت538هـ) بمعجمه أساس البلاغة في الدِّراسة الدَّلالية، فأوضح من خلالِه ظاهرة خروج اللَّفظ عن معناه الأساسي، أَوْ المركزي إلى المعاني المجازيَّة، ثُمَّ اتّسعت الدِّراسة الدَّلالية فيما يخص العلاقة بين اللَّفظ، والمعنى من خلال تعدُّد محاولات اللُّغويين في تأليف المعاجم اللُّغوية[3].

وَقَدْ أَوْلَى حازم القرطاجني[4] (ت684هـ) الناقد الفذّ، للمعنى أهمية بالغة في كتابِه (منهاج البلغاء وسراج الأدباء)؛ "لأنَّ مدار النَّظرية النَّقدية عندَهُ يعتمد أساساً عَلَى المعاني وتحليلها وأقسامها، وصحتها، وغموضها، ووضوحها، وَمَواقِعُها مِنَ النُّفوسِ"[5]، فالمعاني عندهُ هي "الصورة الحاصلة في الأَذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان"[6]، وعلى هذا فَقَدْ رَبَطَ بينَ ثلاثَة عناصر لِلْمَعْنَى هي:

1- الشَّيء: ويتمثل في المدّلول، أو الموجود خارج الذِّهن.

2- الصُّورة: وهي تُمثِّل الشيء الخارجي، أو المدلول في الذِّهن.

3- الذِّهن: وهو العنصُر الَّذِي يربط بين الشيء، والصورة لينتج المعنى الَّذِي يمثلهُ اللَّفظ.

وَفي ذلكَ يقول حازم القرطاجني: "فكل شيء له وجودٌ خارج الذِّهن، فإنَّهُ إذا أُدرِكَ حصلت له صورة في الذِهن تطابق لما أدرك منه، فإذا عبَّر عن تلكَ الصورة الذهنيّة الحاصلة عن الإدراك أقام اللَّفظ المعبِّر بِهِ هَيْأَة تلكَ الصُّورة الذهنيّة في أفهام

---

(1) دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني، ص: 412.

(2) هو محمود بن عمر بن أحمد الخوارزمي الزمخشري جار الله أبو القاسم، من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والأدب، ولد في زمخشر، وسافر إلى مكة، فجاور بها زمناً، فلقب بجار الله، من كتبه (أساس البلاغة، الكشاف في تفسير القرآن)، ينظر الأعلام للزركلي: 178/7.

(3) ينظر أساس البلاغة، للزمخشري، ص: 8.

(4) هو حازم بن محمد بن حسن بن محمد بن خلف بن حازم الأنصاري القرطاجني، عالم في البلاغة والأدب واللغة، من آثاره منهاج البلغاء في علمي البلاغة والبيان، ينظر معجم المؤلفين، لرضا كحالة: 177/3.

(5) منهج البحث اللُّغوي، لعلي زوين، ص: 145.

(6) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، لحازم القرطاجني، ص: 18.

السامعين، وأذهانهم؛ فصار للمعنى وجود آخر من جهة دلالة الألفاظ، فإذا احتج إلى وضع رسوم مِنَ الخط تدُّل على الأَلفاظ لِمَنْ لَمْ يَتَهَيَأْ لَهُ سَمْعُهَا مِنَ المتلفظ بها صارت رسوم الخط تقيم في الأَفهام هَيَأة الأَلفاظ، فتقوم بها في الأذهان صورة المعاني، فيكون لَهَا أيضاً وجود من جهة دلالة الخط على الألفاظ الدَّالة عليها..."[1].

ولعلَّ الشكل الآتي يظهر العلاقة الثلاثيّة بين الشَّيء، والذِّهن، والصُّورة، ويتَّضح من الشَّكل أَنَّهُ لا توجد علاقة مباشرة بين الشيء، والصورة.

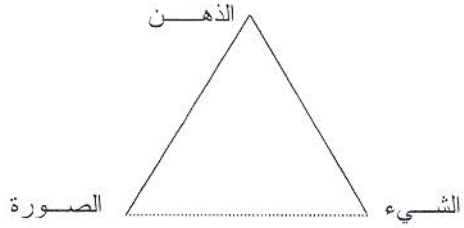

فالعلاقة بينهما يَعْقُدُها الذِّهن بواسطة اللَّفظ، وكان حازم القرطاجني، وهو يحلِّلُ هذه العلاقة بين هذه العناصر، قَدْ سبق علماء اللُّغة المحدثين في فكرة المثلث الدَّلالي من أمثال دي سوسير، وأوجدن، بما يقرب من سبعة قرون على الرغم من وجود بعض الاختلافات، وقَدْ "قَسَّمَ أنواع الدَّلالات عَلَى المعاني من حيث وضوحها وغموضِهَا عَلَى ثَلاثَة أضرب:

1- دلالة إيضاح.

2- دلالة إبهام.

3- دلالة إيضاح، وإبهام معاً"[2].

فَتَنَاوَلَ بِذَلِكَ ظاهرة دلالية لَهَا أهميتُهَا هي ظاهرة الوضوح، والغموض في الدَّلالة، و"جَعَلَ وجوه الإغماض في المعاني راجعه إلى ثلاثة أمور: منها ما يرجع

---

(1) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، لحازم القرطاجني، ص: 19.

(2) منهج البحث اللُّغوي، لعلي زوين، ص: 148.

إلى المعاني نفْسَهَا، ومنها ما يرجع إلى الألفاظ، والعبارات، ومنها ما يرجع إلى الألفاظ، والمعاني معاً"[1] .

وقد تناول حازم القرطاجني ظاهرة دلالية أخرى هي الآثار النفسيَّة للمعاني، أو العلاقة بين المعنى، والنَّفس الإنسانيّة، إلى غير ذلكَ من الظواهر المتعلِّقة بالمعنى، والَّتي يَضيقُ المقامُ لتناولها.

وخلاصة القول إنَّ علماء البلاغة تكمن آراؤهم في الآتي:

1- اهتم علماء البلاغة بدراسة علم الدَّلالة فنظروا في اللَّفظ، وعلاقته بالمعنى، وفي التركيب وأدائِه للمعنى من حيث الحقيقة، والمجاز، والأساليب الخبريَّة، والإنشائية.

2- وضعوا نظرياتهم على هذه العلاقة، ومن أهمِّها نظريَّة النَّظم (لعبد القاهر الجرجاني).

3- لاحظَوا أنَّ الألفاظ لا تفيد معنى في حالتها المفردة؛ لأنَّ الدَّلالة تنتج عن ضمِّ الألفاظ بعضها لبعض.

4- ربطوا بين ثلاثة عناصر للمعنى، الصورة، الشيء، الذِّهن وضعوا هذه العلاقة في شكل مثلث سمي (بالمثلث الدَّلالي) حيث سبقوا فيه علماء اللُّغة المحدثين لهذه الفكرة.

أمَّا علماء أصول الفقه، فقد وَجَدُوا في دراسة المعنى أهمية بالغة لِمَا هُمْ في صَدَدِه مِنْ مباحث فقهيَّة، فَبَادَرُوا بتحديد الدَّلالة، ودراستها عَلَى مستوى اللَّفظ، كما هُوَ عَلَى مستوى النصّ، فَخَصَصُوا في وقتٍ مبكِّر جزءاً مِنْ جُهُودِهم لهذا الغرض"، وَرُبَّمَا كانَ الأصوليون المسلمون في هذِه الحقبة المبكِّرة من دراسة اللُّغة أكثر تنبُّهاً، وأَنْفَذَ إدراكاً لمشكلة المعنى، وأثرها في فهم المضمون، وتحديد المستوى الفكري الَّذِي يدل عليه"[2].

---

(1) منهج البحث اللُّغوي، لعلي زوين، ص: 148.

(2) دراسات في القرآن، للسيد أحمد خليل، ص: 47.

واهتّم الأصوليون بقصد الخطاب لما له من أهمية في توجيه الدّلالة، ولذلكَ وجّهوا عنايتهم إلى معرفة قَصْدِ المتكلّم، والهدف من تلكَ الإرادة فيما ذهب إليهِ الأصوليون وَهُوَ تحقيق أهداف الشّريعة ومَا ترمي إليه من الحفاظ على الدّين، والنّفس، والمال، والعقل، والنّسل"[1]، ولَمْ يَكُنْ اهتمام الأصوليّن باللّفظ في حالة الإفراد إلاّ بِقدر ما يسهم في الوصول إلى معنى النصّ، فكان جُلّ اهتمامهم منصبّاً عَلَىَ دلالة النصّ، وكان استمدادهم للمعاني يَتِمُّ مِنْ وجَهين:

1- "إمّا بالحصول على المعنى المطلق (الّذي لم يقيّد بقيد خارجي) عن طريق الألفاظ، والعبارات المطلقة، وهنا تظهر الدّلالة الأصلية للفظ.

2- وإمّا بالوصول للمعنى عن طريق الألفاظ، والعبارات المقيّدة، وهنا تظهر الدّلالة التّابعة"[2].

وَقَدْ أولوا أهميّة القصد الدّيني، "فلمعرفة قصد الخطاب دَخْلٌ كَبِيرٌ في توجيه الدّلالة، ومحاولة تحديدها مهما اختلفت صورة اللفظ"[3].

ومن القضايا المرتبطة بالأحكام الأصولية الّتي تناولها الأصوليون ضمن المسائل الفقهيّة اللّغوية قضية (المشترك اللّفظي)، ذكر الأصوليون أنّ لفظ (الصلاة) في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾[4]، من المشترك اللّفظي، فدلالة الصلاة من اللّه تعالى الرحمة، ومن الملائكة الدعاء، والاستغفار، وهما معنيان مختلفان، وقد أريد بلفظ واحد[5].

والدّلالة عند الأصوليين عَلَى ثلاثة أنواع:

1- دلالة مطابقة: وهي دلالة اللّفظ عَلَى تَمَامِ معناه الّذي وُضِعَ لَهُ، كدلالة لفظ قولِهِ تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾ و﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ على إيجاب الصلاة، وإيجاب الزّكاة.

---

(1) التصور اللّغوي عند علماء أصول الفقه، للسيد أحمد عبد الغفار، ص: 115.

(2) المصدر السابق، ص: 112.

(3) المصدر نفسه، ص: 113.

(4) الأحزاب: 56/33.

(5) ينظر الوجيز في علم الدّلالة، لعلي مزبان، ص: 15.

2- دلالة تضمين: وهي دلالة اللَّفظ على جزء معناه الَّذي وُضِعَ لَهُ كدلالة لفظ البيت عَلَى سقفه.

3- ودلالة التزام: وهي دلالة اللفظ عَلَى لازم معناه الَّذي وضع لَـهُ، أَوْ أَنْ تكـونَ اللَّفظ لَهُ معنَى، وذلِكَ أنَّ المعنى له لازم من خارج كدلالة لفظ أقيمـوا الـصَّلاَة فُهُو الدَّال على إيجاب الصلاة وإقامتها، فهو فعل أمر كون الصلاة مـشروعة، وتعدَّ دلالة المطابقة هي الأصل في الوضع؛ لأَن الواضع إنَمَا وُضِع اللَّفظ لتمام المعنى[1].

تلك نظرة موجزة عن الدرس الدَّلالي عند علماء أصول الفقه الَّذِي يعد مـن المرتكزات الأساسية لمباحثهم في هذا العلم.

وخلاصة آراء علماء الأصول والفقه تكمن في الآتي:

1- الاهتمام بعلم الدَّلالة على مستوى اللفظ، وعلى مستوى النَصّ.

2- اهتمامهم ببعض القضايا اللُّغوية المرتبطة بالأحكام الأصولية مثـل، المـشترك اللَّفظي، الأضداد.

3- تقسيمهم للدلالة إلى ثلاثة أنواع: (دلالة المطابقة، دلالة التضمين، دلالة التزام).

---

(1) ينظر نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، لفخر الدِّين الرَّازِي، ص: 87-89.

ثانياً- الدَّلالة عند المحدثين:

عَلَى الرَّغم مِنْ أَنَّ الدَّلالة تناولها القدماء مِنَ المسلمين، واليونانيين، والهنود، فَإِنَّ دراسة الدَّلالة كونَهَا عِلْماً محدَّداً، وَمُسْتقِلاً، وغير متداخل مع العلوم الأخرى يُعدُّ من التطورات الحديثة في الدِّراسات اللُّغوية وإحدى نتائجها المهمَّة.

لَقَدْ كَانَ أَوَّلُ ظهور لعلم الدَّلالة عَلَى يد اللُّغوي الفرنسي (ميشل برايل) (Michel Breal) من خلال بحثه الذَي كَتَبَهُ بعنوان (مقالة في السمانتيك) سنة 1897م، فكان أوّل مَنْ استخدم مصطلح (Semantics)، وفي أوائل القرن التاسع عشر أخرج العالم اللُّغوي السويدي (أودلف نورين Adolf Noreen) (1854-1925) دراسة بعنوان (لُغَتُنَا) خَصَّصَ جزءاً منها لدراسة المعنى مستخدماً مصطلح (semology)[1].

ثُمَّ ظهر (كريستوفر نيروب Kristoffer Nyrop)، ثُمَّ (ستيفن أولمان S.uilmain) في بداية الثلاثينيات من القرن العشرين الَّتي تَعُدُّ أَغْنَى فترة، في تاريخ علم الدَّلالة[2]، ثُمَّ أَخْرَجَ اللُّغَويان (ريتشاردز، وأوجدن Richards and ogden) عَمَلَهُمَا المهم في علم المعنى بعنوان: (مَعْنَى المعنَى The meaning of meaning) عام 1932، الَّذي عَرَضا فيهِ مشكلة المعنى مِنْ جوانبها المختلفة، وحاولا أن يضعَا من خلالِهِ نظرية للعلامات، والرموز[3]، وذهب هذان العالمان إلى الاعتقاد بَأَنَّ علم الدَّلالة لا يدخل فقط في مجال عناية علماء اللُّغة، فَهُو يتضمن جانباً من جوانب اهتمام علم النفس الَّذي يدور حول ما يجري في ذهن الإنسان حينما يتواصل مع العالم المحيط بِهِ، كَمَا يتضَمّن جانباً من جوانب اهتمام الفَلْسَفَة، وعلم المنطق كمعرفة العلاقات الَّتي تربط الدَّلالات المعنوية بالواقع، ومعرفة وظائف هذه الدَّلالات، ومدى نَقْلِهَا للمعارف الإنسانيَّة، ويتضمّن أخيراً جانباً كبيراً من جوانب اهتمام علماء اللُّغة يَتَمَحْوَرُ حول معرفة الأنظمة الدَّلالية لِلُّغات في العالم، وما يطرأ

---

(1) ينظر علم الدّلالة، لأحمد مختار، ص: 22-23.

(2) ينظر علم الدّلالة دراسة وتطبيقاً، لنور الهدى لوشن، ص: 15-16.

(3) ينظر علم الدلالة، لأحمد مختار، ص: 23.

عليها من تغيّر وتحول خلال السِّنين[1]، ويحدّد أوجدن وريتشاردز المعنى على وفق العلاقة الثلاثية بين مكونات المعنى وهي: الرمز، أو الكتلة المنطوقة، والفكرة، والشَّيء نفسه، ومثّلا لذلك بالشِّكل الآتي والَّذي يعرف بمثلث المعنى[2].

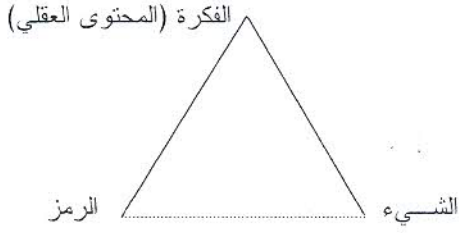

أمَّا اللُّغوي السويسري فرديناند دي سوسير، وهو رائد الاتجاه البنيوي في دراسة اللُّغة، فقد شبَّه اللَّفظ والمعنى بجسم الإنسان الَّذي يتكون من أوكسجين، وهيدروجين، وهو بذلك يمثّل للصلة بين اللفظ، والمعنى، وشبّه الدَّال، والمدلول بوجهي ورقة النَّقد، والدَّلالة بالقيمة الَّتي تمثِّلُها هذه الورقة النقديَّة[3].

وفي الولايات المتحدة الأمريكيّة كان بلومفيد من روّاد المدرسة السُّلوكيّة قَدْ عَرَضَ وُجْهَةَ نَظَرِه في تطبيق القواعد السلوكيّة على اللُّغة في كتابه (اللُّغة Language) الَّذي نَشَرَهُ عام 1933م[4]، ثُمَّ ظهَرَ الاتجاه التوليدي الَّذي أَعَادَ للمعنى مكانتهُ في الدِّراسات اللُّغوية الحديثة بأمريكا[5].

وقَدْ بَدَأ تشومسكي (Chomsky) مؤسس المدرسة التوليدية أعماله بالتنكّر للمعنى، ولكن ما لبث أَنْ أَعَادَ إِلَيْهِ الاعتبار عندما أحسَّ بأَنَّهُ لا يمكن الوصول إلى نظرية متكاملة تَشْمَلُ جوانب اللُّغة المتعددة من دون معنَى[6].

ثُمَّ أَخَذَتْ الدِّراسات الدَّلاليّة في التطور فَبَرزَ في هَذَا المجال عِدَّةُ أعلام، مِنْ أَشهرهم (ستفين أولمان S.ullman) الَّذي أَثْرَى الدِّراسات الدَّلالية بِعِدَّة مؤلفات

---

(1) ينظر إشارة اللغة ودلالة الكلام، لموريس أبو ناظر، ص: 24.

(2) ينظر المصدر السابق، ص: 24.

(3) ينظر علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، لأحمد نعيم الكراعين، ص: 90.

(4) ينظر وصف اللغة العربية دلالياً، لمحمد محمد يونس، ص: 96.

(5) ينظر علم الدلالة، لنور الهدى لوشن، ص: 16.

(6) ينظر إشارة اللُّغة ودلالة الكلام، لموريس أبو ناظر، ص: 29.

منها: (أسس علم المعنى، وعلم المعنى، والمعنى والأسلوب، ودور الكلمة في اللُّغة)، واللُّغوي (جون لاينز J. lyons) الَّذي أصدر بدورهِ عِدَّة كتب منها: (علم الدَّلالة التركيبي) سنة 1964م، (وعلم الدَّلالة) سنة 1977م، واللغة والمعنى والسِّياق)، و(اللُّغة وعلم اللُّغة) وغيرها.

أَمَّا الدِّراسات الدَّلالية العربيَّة الحديثة فإنَّهَا ما زالت قليلة ومتعثرة، وقَدْ اتّبعَ اللُّغويون العرب سبيلين اثنين في الدِّراسات الدَّلالية هُمَا:

1- ترجمة الدِّراسات الغربيَّة الحديثة إلى العربية.

2- التَّأْليف في علم الدَّلالة سَوَاءً بمؤلفات مستقلَّة، أو ضمنَ مؤلفات علم اللُّغة، فَعَلى سبيل المثال نذكر من الكتب المترجمة ما يلي:

- علم الدَّلالة (لبيروغيرو) ترجمة أنطوان زيد.
- علم الدَّلالة (لِبَالْمَر) ترجمة مجيد الماشطة.
- دور الكلمة في اللُّغة (ستيفن أولمان) ترجمة كمال بشر.

ومن المؤلفين في علم الدَّلالة نذكر منهم:

1- د. محمود السعران في كتابه (علم اللغة مقدِّمة للقارئ العربي).

2- عبد السلام المسدّي في كتابه (الأسلوبيَّة والأسلوب).

3- د. حلمي خليل في كتابه (العربيّة والغموض).

4- د. تمام حسان، وهؤلاء خصصوا جوانب في مؤلفاتهم لدراسة الدَّلالة.

أَمَّا الذين أَفردُوا مؤلفات خاصة بعلم الدَّلالة، فنجد:

1- إبراهيم أنيس في كتابِهِ (دلالة الألفاظ).

2- أحمد مختار في كتابهِ (علم الدَّلالة)، وغيرهم.

وهذه بعض آرائهم في المعنى؛ فالدكتور إبراهيم أنيس يحصر الدَّلالة في أربعة أنواع:

أوَّلاً- الدَّلالة الصوتيّة: هي الَّتي تُسْتَمَدُ مِنْ طَبِيعَةِ الأَصْوات.

ثانياً- الدَّلالة الصرفيّة: وَهي الَّتي تُسْتَمَدُ عن طريق الصِّيغ وبنيتهَا.

ثالثاً- الدَّلالة النَّحْوية: ويتمثَّل فيما يجتّمه نظام الجملة العربيّة، أو هندستها تركيباً خاصاً، إذ لو اختلّ لأصبح من العسير أن يفهم المراد منها.

رابعاً- الدَّلالة المعجميَّة: وهي معنى الكلمة الأساسي المستقل عَمَّا يُمْكِن أَنْ تُوحِيهِ أصوات هذه الكلمة، أَوْ صيغتها مِنْ دَلاَلاَتٍ زائدة عَلَى ذلك المعنى[1]

وَقَدْ عَمِل الدكتور تمام حسّان عَلى تشقيق المعنى على ثلاث:

1- "المعنى الوظيفي: وهو وَظيفة الجزء التحليلي في النظام، أو في السِّيَاق بسواء.

2- المعنى المعجمي للكلمة.

3- المعنى الاجتماعي، أو معنى المقام"[2].

أَمَّا الدكتور أحمد مختار فَيَرَى أنَّ لِلدَّلالة أنواعاً خمسة:

1- المعنى الأساسيَ أو الأَوَّلِي، أو المركزي: ويسمى أحياناً المعنَى التَّصَوُّري، أو المفهومي، أو الإدراكي، وهذا المعنى هو العامل الرَّئيس للاتّصال اللُّغوي.

2- المعنى الإضافي، أو العرضي، أو الثَّانوي، أو التَّضميني.

3- المعنى الأسلوبي: وهو ذلِكَ النوع من المعنَى الَّذي تحملهُ قطعة من اللُّغة بالنسبة إِلَى الظُّروف الاجتماعية لمستعملها، والمنطقة الجغرافيّة الَّتي ينتمي إليها.

4- المعنى النَّفسي: وهو معنى ذاتي فردي يختص بالفرد، ولذلكَ فهو معنى مقيَّد بالنسبة إِلَى المتحدِّث الواحد، ولا يتميزُ بالعموميَة.

5- المعنى الإيحائي: وهذا يتعلق بكلمات ذات مقدرة خاصة على الإيحاء نظراً لشفافيتها[3].

من خلال هذا العرض السّريع لتاريخ الدَّلالة عند القدماء، وعند المحدثين، نخلص إِلَى أَنَّ اهتمام العلماء بالدَّلالة، والمعنى، ودراستها لم يتبلورَ بشكل محدّد ومقصود إلاَّ مع بدايات القرن العشرين، على الرَّغم من محاولات القدماء الَّتي كانت أَغلبها على شكل جزئيات من علوم أخرى كالمنطق، وعلم الأصول وغيرها.

---

(1) ينظر دلالة الألفاظ، لإبراهيم أنيس، ص: 46-47-48.

(2) اللُّغة العربيّة معناها ومبناها، لتمام حسان، ص: 28.

(3) ينظر علم الدلالة، لأحمد مختار، ص: 37-38-39.

ودَلالَة الكلام تتأثَّر إِلَى حَدٍّ كبير بالموقف الَّذي ينتج فيهِ بكُلِّ ما يحملهُ ذَلِكَ الموقف من عناصر اجتماعية، ونفسيّة ومناخيَّة، وغيرها فيما يطلق عليه بـ(السِّيَاق) أو سياق الكلام، فما السِّياق؟

المبحث الثاني

السِّياق

- تمهيـــــــــد.
- السِّيَـــاق لغـــة واصطلاحـــاً.
- السِّيـاق عنـد القدماء والمحدثين.
- السِّياق عنـــــد القدمـــاء.
- السِّياق عنـــــد المحدثيـــن.
- السِّيـــــاق والنـــــصّ.

السيـــاق

تمهيد: (نظرية السِّياق)

عرفت مدرسة لندن بما يسمى بالمنهج الـسِّياقي Contxet ualapprooch، أو المنهج العملي Operational approoch، وكان زعيم هذا الاتجاه فيرث الـذي وضع تأكيداً كبيراً على الوظيفة الاجتماعية للغة[1].

ومعنى الكلمة عند أصحاب هذه النظريَّة هو استعمالها في اللُّغة، أو الطريقـة الَّتي تستعملها، أو الدور الذي تقوم به، ولهذا يصرح فيرث بأن المعنى لا ينكشف إلاَّ من خلال تسييِّق الوحدة اللُّغوية أي وضعها في سياقات مختلفة[2].

ويقول أصحاب هذه النظرية في شرح وجهة نظرهم "معظم الوحدات الدّلالية مجاورة لوحدات أخرى، وأنَّ معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها، أو تحديـدها إلاَّ بملاحظة الوحدات الأخرى الَّتي تقع مجاورة لها"[3].

ومن أجل تركيزها على السِّياقات اللُّغوية الَّتي ترد فيها الكلمة، وأهمية البحث عن ارتباطات الكلمة بالكلمات الأخرى، نفوا أن يكون الطريق إلى المعنى هو رؤية المُشار إليه، أو وصفه، أو تعريفه، وعلى هذا فدراسة معاني الكلمات تتطلب تحليلاً للسياقات والمواقف التي ترد فيها، وقد اقترح آمر Ammer تقسيماً لسياق في أربع شعب:

1- السِّياق اللُّغوي.

2- سياق الموقف.

3- السِّياق العاطفي.

4- السِّياق الثقافي[4].

---

(1) ينظر علم اللُّغة الاجتماعي، لهدسون، ص: 88-92.

(2) ينظر علم اللغة، لغازي مختار، ص: 212.

(3) علم الدلالة، لأحمد مختار، ص: 68-77.

(4) ينظر المصدر السابق، ص: 78.

السيّاق لغةً واصطلاحاً:

لَقَدْ أَصْبَحَتْ كلمة (سِيَاق Context) مُصْطَلَحاً مُتَداولاً بشكلٍ واسعٍ في الدِّراسات اللُّغوية الحديثة، وَبخاصةٍ الدَّلاليَّة منها، وَذَلِكَ لأَهَميته ودوره البارز في تكامل عمليّة التَّواصل اللُّغوي، وتحقيق الهدف منه (أي السِّياق)، وهو إيصال المعنى وإدراكه.

السِّياق لُغَةً:

وَرَدَ بمعنى التَّتَابُع؛ جَاءَ في اللِّسَان "سَاق الإبل يَسُوقُهَا سَوْقاً، وسِيَاقاً... وَقَدْ انْسَاقَتْ، وَتَسَاوَقَتْ الإِبِلُ تَسَاوُقاً إِذَا تَتَابَعَتْ..."[1]، ويُقَالُ سَاقَ الْحَدِيثُ؛ بِمَعْنَى (سَرَدَهُ وسَلْسَلَهُ)[2].

السِّياق اصطلاحاً:

فهُو "بيئةُ الكلامِ، ومحيطه، وقرائنه"[3]، وَذَلِكَ مِمَّا يَدْخُلُ فِي تكوين الدَّلالة، أو المعنَى، "وكثيراً ما يُغيِّر المحيط الَّذي تُوجدُ فيه العبارة منَ المعنَى الَّذي يبدو واضحاً من العبارة ذاتِهَا، أو يوسِّعه، أَوْ يُعَدِّلُهُ"[4]، وَقَدْ عَرَّفَ (سبنس Spence) السِّيَاق بِأَنَّهُ: "وضع الكلمة داخل الجملة، أَوْ الحدث الَّذي تُعَبِّر عَنْهُ الكلمة داخل الجملة، مرتبطة بِمَا قَبْلَهَا، وَمَا بعْدَهَا، كَمَا أَنَّهُ في حالة الكلام يتمثَّل في العلاقة القائمة بين المتكلِّم، والحالة، أَوْ المقام الَّذي يتكلَّم فيه، وتكوينه الثَّقافي"[5].

ذَلِكَ إِنَّ اللُّغة سلوك اجتماعي يرتبط إِلَى حَدٍ كبير بثقافة المجتمع، وخبراته، وأعرافه، وتاريخه، حيث إنَّ أي تواصل لُغَوي بَيْنَ أبنَاءِ اللُّغة الواحدة يَعْتَمِدُ عَلَى النظام اللُّغَوي الواحد للغتهم بمستوياته الصَّوتية، والصرفيّة، والنَّحْوية، والمعجميَّة، مَعَ مَا يُصَاحِبَهُ مِنْ ظُرُوفٍ حاليَّة، وثَقَافيَّة، ونفسيَّة، وعوامل اجتماعية وتاريخيّة،

---

(1) لسان العرب، لابن منظور: 2153/3 مادة (س و ق).

(2) المعجم الوسيط، لإبراهيم أنيس وآخرون: 482/11 مادة (س و ق).

(3) معجم المصطلحات الأدبية، لإبراهيم فتحي، ص: 201.

(4) المصدر السابق، ص: 202.

(5) علم الدَّلالة، لكراعين، ص: 100.

وحركات وإيماءات جسدية، فَذَلِكَ هُوَ السِّياق بمعنَاهُ الواسع، لِذَلِكَ فَإِنَّ السِّياق يتضمَّن جانبين: إحدَاهُمَا يَتَعَلَّقُ بالتركيب اللُّغوي مكتوباً كان أَمْ منطوقا.

والآخر يتعلَّق بالظروف المصاحبة لِلْحَدَثِ اللُّغوي ممَّا لَيْسَ من اللُّغة.

وَعَلَى هَذَا فيمكننا القول: إِنَّ هُنَاكَ (سياق المقال)، و(سياق المقام)، أَوْ (سياق الحال) الَّذي هُوَ "مجموعة من العناصر غير اللُّغوية تُحيطُ بظروف القول، وتساعد على فهم زمانِه، ومكانِه وتُنبئُ عَنْ هَوِيَةِ قائِلِه، وثقافته، والجو العام، أَو الخاص الَّذي قِيلَ فيه"[1].

وَقَدْ اختلف الدَّارسون في استعمال مصطلح (السِّياق): فمنهم من استعمله للدَّلالة على المقام. ومنهم من استعملهُ للدَّلاَلَةِ عَلَى المقال.

ومنهم مَنْ قَصَدَ بِهِ المقام، والمقال معاً، الأمر الَّذي يَدْخُلُ في باب اختلاف المصطلح الَّذي يرتَّب اختلاف المفاهيم والوقوع في اللَّبس، وَتَفَادِياً لِذلِكَ..

فسأَعْتَمِدُ في هذه الدِّراسة عَلى مصطلح (سياق المقال)، أو (سياق النصّ) للدَّلالة على الحدث اللُّغوي، أو النصّ اللُّغوي كانَ منطوقاً، أَوْ مكتوباً، وعَلَى مصطلح (سياق المقام)، أَوْ (سياق الحال) لِلدَّلاَلَةِ عَلَى الظُّرُوفِ المختلفة المصاحبة للحدث اللُّغوي، أَوْ لإِنْتَاج النصّ اللُّغوي، أَمَّا مُصْطلح (السِّياق) مِنْ دُونِ إضافة فسيكون لِلدَّلاَلَةِ عَلَى سياق المقام، وسياق المقال معاً.

---

(1) إشارة اللّغة ودلالة الكلام، لموريس أبو ناظر، ص: 57.

السياق عند القدماء والمحدثين

أوّلاً- السِّياق عند القدماء:

لَقَدْ عنِيَ العلماء المسلمون بالسياق، وأَوْلَوهُ أهمية كبرى إدراكاً مِنْهُم لـدَورِهِ في الكَشْفِ عَنْ الدَّلالَة، وَإبَانَةِ القَصْدِ، وَقَدْ سَبَقَهُم إلَى ذَلِكَ الهنـود، وأَشـارُوا إلـى أهميته في إيضاح المعنى[1].

وقَدْ اهْتَمَّ اللُّغَويون (بالسِّياق) مِنْهُم سيبويه الَّذي أَشَارَ لَهُ في عدَّة مواضع من كِتَابِه، وبيّن أَثَرهُ في دَلالَة القول، فَمِنْ ذَلِكَ "... يَقُولَ الرَّجُل: أَتَـاني رَجـلٌ، يريـد واحداً في العدد لا اثنين، فَيُقال: ما أتاك رَجُلٌ، أي أَتَاكَ أكثر من ذلـك، أَوْ يقـول: أَتَاني رجل لا امرأة، فَيُقال: مَا أَتَاكَ رَجُلٌ، أي امرأة أَتَتْكَ، ويقول: أَتَاني اليوم رَجُلٌ، أي في قُوَّتِه وَنَفَاذِه، فتقول: مَا أَتَاكَ رجل، أي أَتَاك الضُّعفاء، فإذا قَالَ: مَا أتاك أحدٌ صارَ نَفْياً (عَاماً) لهذا كُلّه فإنَّمَا مجراهُ في الكلام هذا..."[2]، فقد أَشَارَ سيبويه فيمـا سبق إلى دور السِّياق في تحديد أكثر من معنى للقول المنفي بـ(ما).

ومنهم العالم الفذّ ابن جني، الَّذي استطاعَ أَنْ يرصُدَ السِّياق فـي أكثـر مـن مظهر، وَلَمْ يَقِفْ عِنْدَ السِّياق اللُّغوي بَلْ تَنَبَّه لسياق الموقف، وَهي ظاهرة (المقـام)، أَوْ (سِيَاق الحال) وَمثَّلَ لَهُ في أَكثر من موضع، في كتابِـهِ (الخـصائص)، وكَـذَلِكَ السِّياق الثَّقافي، أَوْ الاجتماعي، والسِّياق الحركي، والإيمائي، والصَّوتي، وَهُوَ بَـذَلِكَ قد تنبّه في وقت مبكِّر لأَهم الظواهر اللُّغوية الَّتي تَعُدُّ مِنْ صَمِيمِ الدِّراساتِ اللُّغويـة الحديثة، فقد مثَّل للسياق الثَّقافي، أو الاجتمـاعي بقولـه: "... وبعـد، فالحمـالون، والحمَّاميُّون، والسَّاسة، والوقَّادون، ومن يليهم، ويتعدّ منهم، يستوضحون من مشاهد الأحوال مالا يحصّله أبو عمر من شعر الفرزدق إذا أخبـر عنـه، ولـم يحـضرْهُ ينشده"[3].

---

(1) ينظر البحث اللُّغوي عند الهنود، لأحمد مختار: 99 وما بعدها.

(2) الكتاب، لسيبويه: 55/1.

(3) الخصائص، لابن جني: 246/1.

فَهذهِ الطبقة الاجتماعية المتدنّية يمكنها أن تُفْهم مِنْ شِعْرِ الفرزدق أكثر ممَّا يفهمه أبو عمر بن العلاء النَّحْوي المعروف (ت154هـ)، وذلك لمعرفتهم بالأحوال، والمناسبة، ومشاهدتهم للفرزدق، وهو يلقي الشِّعر، وغير ذلك من عناصر المقام، وفي جانب سياقي آخر يتعلق بتقاسيم الوجه، وعلاماته في الكلام يقول: "أفلا ترى إلى اعتباره بمشاهدة الوجود، وجعلها دليلاً على ما في النفوس؟"[1].

وتأكيداً لهذا الجانب يقول أبو عمر بن العلاء: "وقال لي بعض مشايخنا رَحِمهُ الله- أنا لا أحسن أنْ أُكَلِّم النَّاسَ في الظَّلمة"[2]، وفيما ينقل من أقوال وحكايات، وأخبار، وأثر ذلكَ في الدَّلالة.

يقول ابن جنّي: "وليست كلَّ حكاية تُروى لنا، ولا كل خبر ينقل إلينا يشفع بهِ شرح الأحوال التابعة له المقترنة -كانت- به نعم، ولو نقلت إلينا لم نُفذ بسماعها ما كنَّا نُفيده لو حضرنَاها[3]، وقد مثَّل لذلكَ بقولِه:

تقول: وَصكَّت وجَههَا بيمينِا أَبْعِلي هذا بالرحى المتقاعِسُ![4]

فلو قال حاكيها عنها: أبعلي هذا بالرحى المتقاعس- من غير أَنْ يُذْكَر صَكّ الوجه- لأَعلمنا بذلكَ أَنَّها كانت متعجبّة منكرة، ولكنَّهُ لَمَّا حَكَى الْحَالُ فقال: (وصكّت وجهها) عُلِمْ بذلك قوة إنكارها، وتَعَاظُمِ الصُّورَة لها، هذا مع أَنَّكَ سامع لحكاية الحال غَيْرُ مشاهد لَهَا، ولو شاهدتهَا لكنت بها أَعرف، ولعظَم الحال في نفس تِلْكَ المرأة أَبين"[5]، فابن جني بلا شك استطاع بفكرهِ الثاقب أن يحدّد معالم إحدى أهم الظواهر اللُّغوية، أو الدَّلالية منذ ما يزيد على ألف عام، والأمثلة والآراء في دور السِّياق متعددة في كتابه الخصائص.

---

(1) الخصائص، لابن جني: 248/1.

(2) المصدر السابق: 248/1.

(3) المصدر نفسه: 247/1.

(4) الشاعر هو نعيم بن الحارث بن يزيد السعدي، البيت من الكامل، ينظر الخصائص: 246/1.

(5) الخصائص، لابن جني: 246/1-247.

لِذَلِكَ فاللُّغويون المسلمون، وفي مقدّمتهم ابن جنّي كانوا على بيِّنة بأهميَّة السِّياق للمعنى، وَيُعَدُّ ابن جنّي رائداً في دراسة ظاهرة السِّياق سواءً على مستوى النصّ، أو على مستوى الأحوال، والعوامل المصاحبة لأَداء النصّ، لذلك ذَهبَ بعض المعاصرين إلى القول بأَنَّ: "الأصالة في سياق الحال إنَّمَا هي لابن جنّي"[1].

وخلاصة القول إنَّ علماء اللُّغة تكمن آراؤُهم في الآتي:

1- أشار إلى السِّياق في العديد من كتبهم مِن بينهم سيبويه الذي أشَار إلى ذلك بفكرتي (المقال- المقام).

2- جعلوا (المقال) هو السِّياق الدَّاخلي للنصّ، و(المقام) هو السِّياق الخارجي للنصّ نفسه.

3- وكذلك أشاروا إلى السِّياق، وأَثره في دلالة القول.

4- استطاع ابن جنّي أن يرصد السِّياق في أكثر من مظهر، ولم يقفْ عند السياق اللُّغوي، بل تَنَبَّه إلى سياق الموقف، وهي ظاهرة (المقام).

وَقَدْ توَصَّل البلاغيُّون إلى فكرة السِّياق مُنْذُ ما يقربُ مِنْ ألف سنة حينما قدَّموا فكرتي (المقال)، و(المقام)، ولا يبعد معنى الفكرة الأولى عَنْ مدلول السِّياق الدَّاخلي للنصّ، في حين أَنَّ معنَى الفكرة الثانية هو السِّياق الخارجي، أو (سياق الحال)، وعلى الرَّغم مِنْ أَنَّهُم لَمْ يدرسُوا السِّياق والمعنى دراسة محددة، ومقصودة فإنَّهُم استطاعوا أن يحيطوا بفكرة السِّياق من خلال عبارتين "تعتبران من نتائج المغامرات الفكرية في دراسة اللُّغة في الغرب المعاصر"[2]، هُمَا: "لكل مقام مقال" و"لكل كلمة مع صاحبتها مقام".

وَمِنْ البلاغيِّين الذِّين أولوا أهمية لدور السياق في المعنى عبد القاهر الجرجاني، حيث تُعدّ نظريته في نظم القول وما يتصل به من ترتيب وتناسق، وتعليق من أهم الدِّراسات المبكّرة في ظاهرة السِّياق اللُّغوي، فقد ربط بين التركيب والدّلالة بقولِه: "إنَّ النَّظم يكون في معنى الكلم دون ألفاظها، وَأَنَّ نَظْمَهَا توخّي معنى

---

(1) علم الدّلالة، للكراعين، ص: 101.

(2) اللُّغة العربية معناها ومبناها، لتمام حسان، ص: 21.

النَّحْو فيها"[1]، وقد أَوْضَحَ إنَّ دلالات الألفاظ لا تظهر إلاَّ منْ خلال التركيب أي: من خلال السِّياق اللُّغوي، "وأَنَّ الألفاظ لا تتفاضل من حَيْثُ هي ألفاظ مجرَّدة، ولا من حَيْثُ هي كلم مفردة، وأَنَّ الفضيلة، وخلافها في ملاءمة مَعْنَى اللَّفظة لمعنَى الَّتي تليهَا، وما أشبه ذَلكَ، مما لا تعلّق له بصريح اللَّفظ"[2].

وَيؤكد أَنَّ الوقوف على قصد المتكلّم، أو منتج النصّ يكون من خلال الدَّلالة الأولى للألفاظ وهي دلالتها الموضوعة لها في اللُّغة، والَّتي يتوصّل بها إلى الدَّلالة الثَّانية، وذلكَ غاية النَّظم، وفي ذلك يقول: "إن قولك (المعنَى)، وَ(معنَى المعنَى) فإنَّك تعني به المفهوم من ظاهر اللَّفظ، وما تصل إليه بغير واسطة (ومَعْنَى الْمَعْنَى) أن تعقل من اللَّفظ معنى، ثُمَّ يفضي لكَ ذلكَ المعنَى إلى معنى آخر"[3]، وإنَّ ذلك يقتضي وجود معرفة مشتركة بين المنتج، والمتلقي للسِّياق المقالي، والسِّياق المقامي؛ أي وجود مرجعيَّة ثقافيَّة، ولُغوية مشتركة "تتعلّق بالخلفيّة الثَّقافيّة، والسِّياقات اللُّغوية وغير اللُّغوية، وأنواع المقامات والأحوال، وغير ذلك من عناصر جوهرية في نظرية النَّظم عند عبد القاهر، إذْ أنَّهَا تتظافر مع العناصر اللُّغوية لإدراك الغاية من الكلام، أَوْ قصد المتكلّم، أَوْ ما أطلق عليه (معنى المعنى)"[4].

ومن علماء النَّقد والبلاغة الَّذين تَنَبَّهُوا لظاهرة السِّياق حازم القرطاجنّي، الَّذي يرى أَنَّ المعنّى إمَّا أَنْ يكونَ وصفاً لحال الشيء، وإمَّا أَنْ يكونَ وصفاً لحال القائل، وتترتَّب عليهما معانٍ أُخرى، وَكَأَنَّهُ يشير إلى عناصر السِّياق في أَداءِ المعنَى والَّذي يعدّ مركز علم الدَّلالة، يقول حازم القرطاجني: "...فقد تبيَّن بهذَا أَنَّ المعاني صنفان: وصف أحوال الأشياء الَّتي فيها القول، ووصف أحوال القائلين، أو المقول على ألسنتهم، وَأَنَّ هَذِه المعاني تلتزم معاني أخرى تكون متعلِّقة بها وملتبسة بِهَا، وهي كيفيَّات مَآخذ المعاني، ومواقعها من الوجود، أَوْ الغرض، أَوْ غير ذلِكَ، ونسب

---

(1) دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني، ص: 415.

(2) المصدر السابق، ص: 46.

(3) المصدر نفسه، ص: 263.

(4) دراسات لغوية وتطبيقية في العلاقة بين البُنْية والدّلالة، لسعيد بحيري، ص: 193.

بعضها إلى بعض، ومعطيات تجديداتها، وتقديراتها، ومعطيات الأحكام، والاعتقادات، ومعطيات كيفيات المخاطبة..."[1].

وقَدْ قسَّم حازم القرطاجني الاعتبارات الَّتي يقوم عليها المعنى، ويتأثرُ بِهَا على أربعة معايير هي:

1- النظر إلى ما للمعنى عليه في نفسه، ويعني بِهَا المعنى الأول، أو العناصر الدلالية المباشرة.

2- النظر إلى ما يقترن به من الكلام وتكون له علاقة، أي العناصر الثانوية في تركيب المعنى.

3- النظر إلى حال الشيء الَّذي تعلَّق به.

4- النظر إلى الغرض الّذي يكون الكلام مقولاً فيه، وهذان العنصران يعني بهما عنصر المقام في تحليل المعنى[2].

وخلاصة القول إنَّ علماء البلاغة تمكنُ أراؤهم في الآتي:

1- ربطهم بين التركيب والدَّلالة، ولقد لاحظنَا ذلك من خلال قول عبد القاهر الجرجاني في نظرية النَّظم.

2- إنَّ المعنَى لا يظهر إلاَّ من خلال السِّياق اللُّغوي، أَوْ غير اللُّغوي داخل ثقافات اجتماعية لها عناصر جوهرية في نظرية النظم.

3- إنَّ المعنَى عندهم، إمَّا وصفاً لحال الشيء، أَوْ وَصْفاً لحال القائل، مثل كلمة (الفرح) فتكون وصفاً لحال الفرح كوجود موسيقى، أو وصفاً لحال القائل بها كونه مسروراً.

ولَمْ يغفِلْ علماء أصول الفقه، وعلماء التفسير أهميّة المقام في إدراك المعنَى، واستخراج الأحكام من القرآن أَنْ يُرَاعِ الآتي:

1- ألاَّ يغفل عن بعضه في تفسير بعض.

2- ألاَّ يغفل عن السنّة النبويَّة الشريفة في تفسيره.

---

(1) منهاج البلغاء، لحازم القرطاجني، ص: 14.

(2) ينظر منهج البحث اللُّغوي، لعلي زوين، ص: 147-148.

3- أن يعرف أسباب النزول.

4- أن يعرف النُّظم الاجتماعية عند العرب[1].

وذلكَ ممَّا يدخل في (السِّياق المقامي)، أو (سياق الحال)؛ ففي ربطهم لمعني الآيات القرآنية بأسباب نزولها، وبالنَّظر في سنة الرسول -ﷺ- وسعيهم للإحاطة بثقافة الْعَرَبِ، ونُظُمِهِم الاجتماعيَّة آنذاك، هو من دون شك اعتبار لخطورة المقام في استخراج الأحكام فَضْلاً عَلَى "أنَّ كلامهم عن الحقيقة، والمجاز، والخصوص، والعموم يدُّل على إدراكهم إدراكاً واعياً لدلالة السِّياق"[2].

وقَدْ بيَّنَ ابن القيّم الجوزية[3] (ت751هـ) أثر السِّياق في الدَّلالة بقولِهِ "السِّياق يرشد إِلَى تبيين الجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدمِ احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوّع الدَّلالة، وهذا من أعظم القرائن الدَّالة على مراد المتكلِّم، فمن أهمله غلط في نظرهِ، وغَالط في مناظرتِهِ، فانظر إلى قَوْلِهِ تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الكَرِيمُ﴾[4].

كيف تجد سياقهُ يدُّل على أَنَّهُ الذَّليل الحقير"[5]، فدلالة النصّ عند الأصوليين تعتمد أساساً على ضرورة تبيّن السِّياق المقامي، وتأكيداً لذلك يقول الدكتور محمد أديب صالح: "والنصّ هو الَّذي يكون معناه الأصلي من السِّياق"[6]، وقد عَنيَ المفسّرون، والفقهاء بأسباب نزول الآيات القرآنية وتحرّوا الدَّقة في معرفتها والوقوف على ملابساتها لِيقِينِهم بأهميتها في إدراك المعاني المقصودة؛ فهذا الشاطبي[7] (ت790هـ) يقرّر بأنَّهُ "إذا فات نقل بعض القرائن الدّالة، فإن فهم الكلام

---

(1) ينظر اللُّغة العربيَّة معناها ومبناها، لتمام حسان، ص: 348.

(2) علم الدّلالة، للكراعين، ص: 101.

(3) هو الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، توفي 751هـ، ومن مصنفاته بدائع الفوائد، أحكام أهل الذمة وغيرها، ينظر أحكام أهل الذمة، ص: 3.

(4) الدُّخان: 49/44.

(5) بدائع الفوائد، لابن القيم الجوزية، ص: 269-270.

(6) تفسير النصوص في الفقه الإسلامي، محمد أديب صالح: 142/1.

(7) هو أبو إسحاق بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، المعروف بالشاطبي، ومن مصنفاته، الشاطبي ومقاصد الشريعة، كتاب الاعتصام، فتاوى الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، ينظر: مقاصد الشريعة لحمادي العبيدي، ص: 5.

جملة، وفهم أي شيء منه، ومعرفة الأسباب رافعة لكل مُشْكِل في هذا النَّمط، فهي مِنَ المهمَّات في فهم الكتاب بلا بدٍّ، ومعنى مَعْرِفَةُ السَّبب معنى معرفة مقتضى الحال"[1]، فمقتضى الحال، أو سياق الحال وما يتضمَّنهُ من قرائن خارجة عن القول كحال المتكلّم، وحال المخاطب، والمخاطبين، وغيرها من الظروف المحيطة تمثِّل جانباً أساسياً في فهم المعنى، وَوُضُوحِهِ عِنْدَ علماء أصول الفقه، والفقهاء، وعلماء التفسير المسلمين وَقَدْ أكدَّ السُّيُوطي، بقولِهِ: "ومن فوائده الوقوف عَلَى المعنَى، أَوْ إزالة الإشكال"[2].

وخلاصة القول:

1- إَنَّ علماء الأصول والفقه اهتموا بدراسة السِّياق في استخراج أحكام القرآن، وقد وضعوا شروطاً كما عرضناها فيما سبق[3].

2- ربطوا بين دراسة القرآن، وأسباب النزول، وتفسيره، وبين العوامل الاجتماعية الَّتي كان يعيشها العرب آنذاك.

3- بيَّنوا أَنَّ السِّياق يرشد إلى تبيِّين الجمل، وتعيِّين المحتمل.

4- دراسة النصّ القرآني عند الأصوليين تعتمد أساساً على سياق الحال.

---

(1) الموافقات في أصول الشريعة، للشاطبي: 258/3.

(2) لبَاب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، ص: 7.

(3) ينظر شروط استخراج الأحكام من القرآن، ص: 46-48.

ثالثاً- السِّياق عند المحدثين:

مِنَ الظَّواهر اللُّغوية الَّتي حظيت بعناية واسعة عِنْدَ علماء الغرب ظاهرة (السِّياق)، فقد تناولوها ضمن دراساتهم اللُّغوية، وَأفْرَدُوا لَهَا المؤلفات، بل وضعوا نظرية تفسِّر هذه الظاهرة: (النَّظَرِيَّة السِّياقية) (The conttextud theoy)، وكان رائد الاتجاه اللُّغوي الإنجليزي (جون روبرت فيرث J.R. Firth)، كَمَا التحق به عدد من اللُّغويين أمثال:

1- هالدي (Halliday).

2- وإنتوش (Mc. Intosh).

3- سنيكلير (Sinclair).

4- لاينز (Lyans)[1].

وتعطي هذه النَظرية أهميَّة أساسية للسِّياق بمعناه الواسع، وقَدْ تَأَثَّر فيرث بالعالم الأنثربولوجي البولندي (برونسلا ومالينوفسكي)، وكذلك بعالم الاجتماع (دوركايم)، ومالينوفسكي أوَّل من استعمل مصطلح (سياق الحال Context situation)، ثُمَّ استعمله فيرث في دراسته اللُّغوية[2]، وكان مالينوفسكي يقول: "اللُّغة بالفعل، والمعنى بالاستعمال"؛ أي أَنَّ اللُّغة لا تعدّ لغة إلاَّ بعد تحوّلها إلى حدث كلامي، وأنَّ معانيها لا تظهر إلاَّ مع الاستعمال، أو مع السِّياق[3].

وذَلِكَ نتيجة للصعوبة الَّتي لقيها مالينوفسكي في دراسته للغات بعض المجتمعات البدائية، وعدم تمكّنه من فهم كثير من الألفاظ إلاَّ من خلال السِّياق، لذلك فقد رأى فيرث أَنَّ فكرة السِّياق هذه يمكن أن تتخذ أساساً لدراسة المعنى بشكل تجريدي عام، فوضَع بذلكَ قواعد نظريتهُ السِّياقية، وصرّح "بأَنَّ المعنّى لا ينكشف إلاَّ من خلال تَسْيِّيق الوحدة اللُّغوية؛ أي وَضْعُها في سياقات مختلفة"[4]، وجعل دَلالة

---

(1) ينظر علم الدلالة، لأحمد مختار، ص: 68.

(2) ينظر علم اللغة مقدمة لقارئي العربي، لمحمود السعران، ص: 310.

(3) ينظر علم الدَّلالة، للكراعين، ص: 102.

(4) علم الدَّلالة، لأحمد مختار، ص: 68.

الحدث اللُّغوي في مستوياتِهِ الصَّوتية، والصَّرفية، والنَّحْوية، والمعجميَّة، والَّذي يلتقي مع سياق الحال لكشف المعنىٰ، وقدْ بيَّن فيرث "أنَّ السِّياق يحمل في ثَنَاياهُ جزءاً من ثقافة المتكلمين وصورة من بيئاتهم الاجتماعية"[1].

أمَّا ستيفن أولمان أحد روَّاد المدرسة السِّياقية، فالسِّياق عنده عبارة عن "النَّظم اللَّفظي للكلمة، وموقعها من ذلك النَّظم بأوسع معاني هذه العبارة"[2].

وَيَذْهَبُ إلى أبعد مِنْ ذلكَ في تحديدِهِ لمفهوم السِّياق الدَّاخلي، أو سياق النّص الَّذي يراهُ في النصّ بكاملِهِ بَلْ، وفي الكتاب كلِّه، ويضيف إلى ذلك أهمية (سياق الحال)؛ لذلك فالسِّياق كما يراهُ أولمان: "ينبغي أن لا يشمل الكلمات، والجمل الحقيقيّة السابقة واللاحقة فحسب، بل والقطعة كُلَّهَا، والكتاب كُلُّهُ، كما ينبغي أن يشمل بوجه من الوجوه –كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات، والعناصر غير اللُّغوية المتعلّقة بالمقام الَّذي تنطق فيه الكلمة"[3]، وباعتباره من مناصري النَّظرية السِّياقية فهو يرى "أنَّ نظرية السِّياق إذا طُبِّقت بحكمة تُمَثِّلُ حجر الأساس في علم المعنَى، وقد قادت بالفعل إلى الحصول على مجموعة من النتائج الباهرة في هذا الشأن، إنَّهَا مثلاً أحدثت ثورة في طرق التَّحليل الأدبي"[4].

ومن اللّغويين الغربيِّن الَّذين أولوُا أهمية للسِّياق في كشف المعنى (جون لاينز) الَّذي يقول: "إنَّ السلوكَ اللُّغوي إنَّمَا هُوَ فعالية معتمدة علَى الثَّقافة"[5]، أي: عَلَى المعارف، والخبرات المشتركة بين مستعملي اللُّغة الواحدة، ويؤكد أيضاً بأَنَّهُ: "لا يمكنا أَنْ نحدّد أي قضيّة يجري التَّعبير عنها دونَ معرفة السِّياق الَّذي تنطق فيه الجملة"[6].

---

(1) علم الدَّلالة، للكراعين، ص: 102.

(2) دور الكلمة في اللُّغة، لاستيفن أولمان، ص: 68.

(3) المصدر السابق، ص: 68.

(4) المصدر نفسه، ص: 73.

(5) اللغة والمعنى والسِّياق، جون لاينز، ص: 240.

(6) المصدر السابق، ص: 225.

السِّياق والنصّ:

يجدر بنا قبل الخوض في العلاقة بين النصّ، والسِّياق أَنْ نحدِّدَ معنى النصّ لُغةً واصطلاحاً.

النصّ لغةً: مأخوذ مِنْ: رَفْعِكَ الشيء، نصَّ الحديثُ ينُصُّهُ نصّاً، رَفَعَهُ، وكلُّ مَا ظَهَرَ نُصَّ، والنَصُّ أَقْصَى الشَّيء، وغَايَتَهُ...، ونَصُّ الشيء: مُنْتَهاهُ، ويَعْني الاستقصاء، وَمِنْهُ نصَّ الرَّجُلُ نصّاً إذا سأَلَهُ عَنْ شيءٍ يستقصى كل ما عندهُ، وَمِنْ معانيهِ، الإظهار، والنصّ عند الفقهاء (نَصُّ القرآن، ونصُّ السُّنة) أي ما دلّ ظاهر لفظهما عليه من الأحكامِ، وتلتقي كل تلك المعاني في معنى الارتفاع، أو إظهار الشيء لإبانتِهِ، أو أقصى الشيء[1].

النصّ اصطلاحاً: قَرِيبٌ مِنَ المعاني السابقة، و"يطلق على ما يظْهِرُ المعنى به؛ أي الشَّكل الصَّوتي المسموع من الكلام، أو الشكل المرئي منه عندما يترجم إلى المكتوب"[2]، وأكثر تحديداً، فالنصّ: "هو الكلام الَّذي يُعَبّر عن أَمرٍ مِن الأمور، وقد يكون شفهياً، أو خطاباً، أَوْ جزءاً من خطاب، أَو بياناً لأمرٍ ما، وقدْ يكون مكتوباً يبحث في قضيّة من قضايا المعرفة البشريّة"[3]، ويتصل معنى النصّ في دلالتِهِ المعجميَّة بمعنى النَّسيج، وبذَلِكَ عرَّفوا النصّ بأَنَّهُ "نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض، هذه الخيوط تجمع عناصرهُ المختلفة، والمتباعدة في كلّ واحد"[4]، ويؤكد علماء النصّ على أهمية خاصيَّة (الترابط) في بناء النصّ؛ إذْ "يَقْتَضِي الترابط من الإجراءات ما يكون بِهِ ظاهر النصّ مبنيّاً بعضه على بعض دلاليّاً، وَمِنْ ثُمَّ يكون النصّ مسبوكاً محبوكاً"[5].

---

(1) ينظر لسان العرب، لابن منظور: 163/14، مادة (نَ صَ صَ).

(2) نسيج النص، للأزهر الزناد، ص: 12.

(3) بحث في دراسة النصّ، لعبد الجبار المطلب، مجلة كلية الدعوة، ص: 538-539.

(4) نسيج النص، للأزهر الزناد، ص: 12.

(5) علم النصّ، أسسه المعرفيَّة وتَجَلِّيَاتِهِ النقدية، مجلة عالم الفكر، لجميل عبد المجيد حسين، [ع أكتوبر]، المجلد [32]، 2003م، ص: 145.

فالسبك هو التَّرابط على مستويات التحليلات الصّوتية، والصّرفية، والنَّحْوية، أمَّا الحبك فهو الترابط المفهومي، والمنطقي بين مكونَّات النصّ في الجانب الدَّلالي، وعلى ذلكَ "فالنصوص مدوّنة كانت، أَوْ محكيّة يتم تركيبها عن قصد من مؤلفها عَلَى هَيْأَةِ وحداتٍ كاملة متميِّزة ذات بدايات، ونهايات محدَّدة"[1]، إلاَّ أَنَّ ذَلِكَ لا نَتَقَيَّدُ بِهِ في الغالب؛ حيث "إنَّ معظم النصوص الَّتي نطلقها في استخدامنَا اليومي للُّغة ليست منظمة في نصوص متكاملة حسب هذه الطريقة"[2].

وَفي تِلْكَ الحالات يعمل (سياق الحال) على تزويدنا بالعناصر اللُّغوية الَّتي لَمْ تَرِد بالنصّ، فيظهر النصّ بذلكَ مترابطاً، ومتماسكاً، على الرَّغم ممَّا بِهِ من حذف، أو اختزال، "هكذا فإنَّ السِّياق هو مصدر ثراء القولة، فهو الَّذي يعوّض النقَّص الكمّي فيها من جهة، وهو الَّذي يعطيها القدرة على التَّعبير عَنْ غَرَض المتكلّم من جهة أُخرى"[3].

لِذَلِكَ فإنَّ منتج الخطاب يحرص دائماً على أَنْ يكونَ خطابَهُ مرتبطاً تمَاماً بالمقام، انطلاقاً من أَنَّ "النصّ، والسِّياق يُتَمم أحدهُما الآخر"[4]، فالمقام يعمل على إبراز دلالات النصّ التَّصْرِيحيَّة، والإيمائية بتظافر عناصرهُ مع العناصر اللُّغوية في النصّ.

والسِّياق الروائي على مستوى التركيب؛ ينتظم في سلسلة مِنَ السِّياقات النصِّية الَّتي تشكّل مخزوناً معرفيّاً لِلْمُتَلَقِي، يُسْهِمُ في إدراكِ دلالات نصوص الرواية بالتظافر مع السِّياقات المقاميَّة، لِذَا فإنَّ "أي جملة غير الجملة الأولى من مقطع خطابي تتأثّر في فَهْمِنَا لها بالضَّرُورة بالنصّ السَّابق لَهَا"[5].

ففَهْمُ الْقَارِئُ لِدَلالات النصّ يعتمد بشكل كبير على فهم النصوص السابقة لَهُ، وَأَحْياناً يُخْفِقُ القَارِئي في بلوغ دَلالَةِ النصّ نتيجة لقصوره في استيعاب دلالات

---

(1) اللغة والمعنى والسياق، لجون لاينز، ص: 221.

(2) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(3) وصف اللُّغة العربية دلالياً، لمحمد محمد يونس، ص: 276.

(4) اللُّغة والمعنى والسِّياق، لجون لاينز، ص: 221.

(5) تحليل الخطاب، للبراون، ت: محمد الزليطني، ص: 57.

النصوص المتقدِّمة؛ الأمر الَّذي قَدْ جعله في حالة منَ الحيرة، وسوء الفهم، كَمَا قَدْ تَبْدُو لَهُ الدَّلالة سطحيَّة، وساذجة بالنسبة إلى مستوى النصّ الأدبي الَّذي هو بصَدَدِه، ومن ذلك أنَّ "فقرات في كثير من الروائع الأدبيَّة، تبدو بذاتها قاسية، أو بذيئة، ولكنَّها ذات معانٍ مختلفة إذا أخذت في سياقاتِهَا"[1].

إنَّ حرصَ الرَّوائي، أَوْ القاص على إبراز عناصر المقام من خلال النصّ، وما يضيفهُ إلَى ذلكَ من رؤى فلسفيَّة، وفكريّة، وثَقَافيّة، من شأنِه أَنْ يضَعَ المتلقّي أَمام زخم دلاليّ لنصّ واحدٍ، فَقَدْ "فتح القول بانفتاح النصّ بالكشف عن تعدّد دلالاتِه، وتعدّد قراءتِه، وَلَيْسَ على امتلاكِه دلالة واحدة يختزنُهَا"[2].

فيمكن للمتلقّي حينئذ أَنْ يقرأَ النصّ بحيث يرصد لَهُ أكثر من دلالة، وهذا ما حداهم إلى القول: "إنَّ القراءةَ إعادةُ إنتاج النصّ"[3].

من هذا العرض السريع لعلاقة السِّياق بالنصّ لتحديد الدّلالة نستطيع أن نلمس ذلكَ الدَّور المهمّ الَّذي يلعبَهُ السِّياق في منحِ النصّ حيويّته الدَّلاليّة، وَلَكِنْ ما أنواع السِّياق على مستوى التحليل؟، وما أثر كل نوع في النصّ ودلالاتِه؟ ذلك ما سنتناوله بشيء من التفصيل، والتطبيق فيما سيأتي من هذه الدِّراسة.

---

(1) معجم المصطلحات الأدبية، لإبراهيم فتحي، ص: 202.

(2) من النصّ إلى النصّ المترابط، مجلة عالم الفكر، لسعيد يقطين، [ع2]، 1996م، ص: 78.

(3) المصدر السابق، ص: 78.

الفصل الثاني

عناصر السِّياق ودلالته النصية في رواية

(الأرامل والولي الأخير)

- المبحث الأول – مدخـــــــــل نظـــــــــري.
- المبحث الثاني – تطبيقات سياقية ودلالية على رواية (الأرامل والولي الأخير).

المبحث الأول

مدخل نظري

- ملخـــص الرِّوايـــة.
- عناصـــر السِّيـــاق.

1- ملخص الرواية:

يجدرُ بِنا قبل الشُّروع في دراسة الرِّواية من الجانب السِّياقي أَن نُقَدِّم ملخصاً للرَّواية؛ ليسهم في فهم القارئ النُّصوص التي ستخضع للدراسة، والتّحليل فنقول: إنَّ رواية الأرامل والولي الأخير الَّتي أنجزها الأديب الليبي (خليفة حسين مصطفى) تتحدَّثُ عن واقع المجتمع الليبي في العهد التركي من جميع النَّواحي السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية.

تمثلت في هذه الرواية عدة شخصيات كان من أبرزها، وأكثرها حضوراً.

1- شخصيَّة يوسف القهوجي.
2- مسعود الشَّحاذ، وهو أقرب أصدقائه.
3- أحمد الخبَّاز.
4- المفتي عبد الشافي.
5- عزيزة خطيبة القهوجي.
6- قدرية، أم عزيزة.

احتوت الرواية على أربع وثلاثين مقطعاً، فتحدث الكاتب في المقطع الأول، والثاني عن واقع الحياة داخل هذه المدينة، وقد كان يوسف القهوجي يتيماً في كلِّ شيء سواءاً في أحلامه، أو أوهَامِه، فقد قال له: مسعود الشحاذ "لقد حلمت أنَّك ستُصبِحُ والياً على البلاد"[1].

في هذه الأثناء ظهرت شخصيَّة قائد الحرس الَّذي يجمع الضرائب من جميع أهل المدينة، ولكن هذه المرة جاء للقبض على يوسف القهوجي، فقال له: "هل أنت المدعو يوسف القهوجي قال: نَعم أنا"[2].

بعد ذلك ذهب مسعود الشحاذ لينقل الخبر إلى عزيزة، فقال لها: "عظَّم الله أجرك يا عزيزة فإنَّ يوسف كان رجل طيِّب"[3].

---

(1) ينظر الأرامل والولي الأخير، رواية خليفة حسين مصطفى، ص: 18-19.
(2) المصدر السابق، ص: 20-21.
(3) المصدر نفسه، ص: 27.

أمَّا من المقطع الثَّالث إلى المقطع الثَّامن فقد كانت الرواية تتحدث عن احتفالية تنصيب الوالي الجديد على البلاد، والهيأة التي يكون فيها، فقد أَعْلَنَ المنادي الرسمي عند بَدْءِ الاحتفالات الرسميَّة بتنصيب الوالي الجديد خلال موكب فرح زاهر، فقدْ تَمَّ تنصيب يوسف القهوجي والياً على البلاد، وقام المفتي إلى ترديد قسم الوفاء للباشا يوسف القهوجي لقد وقع الاختيار عليه بالإجماع الأمة لكي يحكم طرابلس المحروسة تسَلَم كرسي الحكم، وبدأ في تسمية حراسه ومساعديه[1]، "فقد أقسم على المصحف على أنَّهُ لن يُفرطَ في شيء، ولن يغدر بأحد"[2]

"ثُمَّ رَجع قائد الحرس إلى القلعة، ومعه أحمد الخباز، والفقيه عبد الشافي، ومسعود الشحاذ مقيدي الأيدي بالحبال"[3]، وهنا أصبح مسعود الوزير الأول في الدولة فَذَهب إلى عزيزة، وقال لها: إنَّهُ جاء برسالة من الوالي وهو يرغب في تحديد موعد زواجه منك يا عزيزة في أقرب وقت ممكن[4].

وفي المقطع التاسع، والعاشر بدأت المحاورات بين يوسف القهوجي، ومسعود الشحاذ، حيث خاب رجاء مسعود الشحاذ في يوسف، ورجع يتسول في شوارع، وحواري المدينة باسم الوالي وتحت علمه[5]، ولكن اللَّحظة الَّتي كان ينتظرها فقد باءت بالفشل، وهي عدم موافقة عزيزة بالزواج منه، فقد كررت العبارة غير موافقة!![6].

وفي هذه الأثناء "توفيَّ أحد المقربين لَهُ أحمد الخباز، فأمر بتشعيِّيه إلى مثواه الأخير في موكب جنائزي فخم[7]، ثُمَّ انغمس في شؤون دولته إلى أن انضمت قرنفله لَهُ.

---

(1) ينظر الأرامل والولي الأخير: لخليفة حسين مصطفى، ص: 43-44-45-46.

(2) المصدر السابق، ص: 47.

(3) المصدر نفسه، ص: 57.

(4) ينظر المصدر نفسه، ص: 76.

(5) ينظر المصدر نفسه، ص: 103-124.

(6) المصدر نفسه، ص: 126.

(7) المصدر نفسه، ص: 129.

ومن المقطع الحادي عشر إلى الخامس عشر ظهرت شخصيات جديدة في الرواية من بينها قرنفلة وهي تنحدر من أصول يونانية تعلمت فن الموسيقى، والغناء، وعاشت في القلعة منذ كان عمرها سبعة عشر عاماً، فقد قرَّر يوسف القهوجي الزوَّاج منها[1].

في هذه الفترة بدأ مسعود الشَّحاذ يخطِّطُ بأن يتولَ كرسي الحكم دون إراقة دم صديقه، إلاَّ أنَّ قائد الحرس ذهب إلى الوالي وقال: ما يُخطِّطُهُ مسعود، فقال الباشا: "حَتَّى أنت يا مسعود الشَّحَاذ"؟![2].

فوضعهُ في السِّجن، ثُمَّ ذهب للبحث عن مصدر رزقٍ لهذه البلاد، فلم يجد سوى البحر بعد ذلك رأى كيف تدهورت حالة مسعود، فأمر بإطلاق سراحِه[3].

ومن ضمن الأحداث داخل الرواية، فقد تَدَرَّجت بين الفرح والحزن، فكان أول فرحٍ للوالي، هو وصول ولي العهد الجديد، وكان أول حزن لَهَ أنَّ مسعود الشحاذ الَّذي تَظاهر بالمرض يُرَتِّب لزواج من عزيزة[4].

ومن المقطع السادس عشر إلى المقطع العشرين ظهور نبأ السفينة الأمريكية من قبل أمير البحر، والاستيلاء عليها لم يعرف الوالي كيف يُعبر عن ابتهاجه بهذا الانتصار بغير أن يقول: "الله أكبر – الله أكبر"[5].

وفي هذه اللَّحظَات تزوج الباشا من امرأة أخرى تدعى (تركيَّة)[6]، ثُمَّ انشغل بأمُور الأسطول البحري، وأخذ الضَّرائب بينه، وبين الأمريكان الذين توعدوا، ولَم يوفوا بالوعد، نجح يوسف القهوجي في إدارة هذه المعركة، والخروج من الموت، ثُمَّ أَخذ الأهالي يتناقلون خبر نجاة الوالي، ثمَّ أعلن المنادي الرسمي بصوت طروب عن

---

(1) ينظر الأرامل والولي الأخير، لخليفة حسين مصطفى، ص: 136-142.

(2) المصدر السابق، ص: 149.

(3) ينظر المصدر نفسه، ص: 168.

(4) ينظر المصدر نفسه، ص: 171-179.

(5) المصدر نفسه، ص: 189.

(6) ينظر المصدر نفسه، ص: 203.

توقيع هذه الاتفاقية، ولكن لم تتمْ هذهِ الفرحة إلى أن جاءتْهُ أوّل طعنةٍ غادرة أحس بِهَا، وهي موت ولي العهد ابن قرنفلة[1].

وفي المقطع الواحد والعشرين إلى الثالث والثّلاثين توالت فيه الأحداث بين الفرح، والحزن، والحروب، والصراع بين مسعود الشحاذ الّذي يرافقه الشيخ المسعودي والقهوجي، فقد أراد مسعود الانتقام فقتل ولي العهد، وفي هذه الأثناء رُزِق الوالي بالأمير عبد القادر، والأميرة ذوقيَّة، وظهور شخصية جديدة في هذا المقطع، وهي الأميرة جواهر ابنة الوالي السابق[2].

وفي نهاية الرواية يصور لنا الكاتب لكل فرح نهاية، فكانت نهاية هذا الفرح الزاهر مقتل الأمير عبد القادر، والأميرة ذوقية، وهذه النّكبة الثّالثة للوالي، وقد فقد حتّى عزيزة التي أصبحت كالحجر لا تتكلم، فقد انتهى كل شيء، وعاد القهوجي يتيماً كما كان حتّى من أحلامِهِ، وأوهامِهِ القديمة[3].

---

(1) ينظر الأرامل والولي الأخير، ص: 237-247.

(2) ينظر المصدر السابق، ص: 249-403.

(3) ينظر المصدر نفسه، ص: 405-414.

2- عناصر السِّياق:

حاول بعض اللُّغويين المحدثين وضع عناصر السِّياق قصد تحليل هذه الظاهرة البنائيَّة، وبيان معالمها، ثُمَّ توظيفها لدراسة النُّصوصِ اللُّغوية منطوقة كانت، أو مكتوبة، ودراسة دلالاتها على مستوى اللَّفظ، وعلى مستوى التَّركيب، ومن أولئك اللُّغويين (فيرث) الذي حصرَ السِّياق في قسمين، هُمَا:

1- السِّياق اللغوي (Linguistic Context)، ويتمثل في العلاقات الصَّوتيّة، والصَّرفيّة، والنَّحْوية، والدَّلالية.

2- سياق الحال (Context of Situation)، ويُمَثِّله العالم الخارجي بِمَا لَهُ صلة بالحدث اللُّغوي، ويتمثَّلُ في الظروف الاجتماعية، والبيئية، والنفسيَّة، والثَّقافية للمتكلّمين، والمشتركين في الكلام[1].

وقد حدّدهُ آخرون في أربعة عناصر، هي:

1- السِّياق اللُّغوي (Linguistic Context).

2- السِّياق العاطفي (Emotional Context).

3- السِّياق الثَّقافي (Cultural Context).

4- سياق الموقف (Situational Context)[2].

أوَّلاً- السِّياق اللُّغوي يتعلّقُ بنظام اللُّغة، وترتيب ألفاظها في الإنجاز اللُّغوي، فَمثَلاً الفعل (ضَرَبَ) لَهُ دلالةٌ مألوفة، أَو أساسية مثل: ضَرَبَ مُحَمدٌ زَيْداً، ولَكِنْ السِّياق يمكن أَن يحدِّد دلالات أخرى كقولنَا:

1- ضَرَبَتْ الدَّولةُ عُمْلةً، أَيْ سَكَّتْ.

2- ضَرَبَ الْجَيْشُ خَيْمَةً، أَي أَقَامهَا.

3- ضَرَبَ القومُ في الأرض، أي مَشَى، وتَنَقَّلَ.

4- ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً، أي وَصَفَ وبَيَّنَ، أو أوْرَدَ.

5- ضَرَبَ الزَّيْتُ بالعسل، أي خَلَطَهُ.

---

(1) ينظر العربيَّة وعلم اللُّغة البنيوي، لحلمي خليل، ص: 135.

(2) ينظر علم الدَّلالة، لأحمد مختار، ص: 96.

6- ضَرَبَ الدَّهْرُ بيننَا، أي بعدَّ....[1].

وهكذا في أغلب ألفاظ اللُّغة.

ثانياً- السِّياق العاطفي، فيتعلق بدرجة الانفعال في الحدث التواصلي، والأثر الَّذي يحدثهُ الكلام لدى المشاركين في الموقف الكلامي، وكذلكَ تبعاً لخبراتهم، وتجاربهم مع الألفاظ واستخدامها، والتراكيب، واستعمالاتها، فالكلمة من خلال التركيب اللُّغوي يَكْتَنِفُهَا[2]، "جوّ عاطفي يحيط بها، ويَنْفُذُ فيهَا، ويعطيها ألواناً مؤقتة على حسب استعمالها"[3]؛ لأنَّ الحدث اللُّغوي في حالة السرور يختلف عن حالة الحزن، وفي حالة الانفعال عن حالة الهدوء، وهكذا لِكُلّ حالة شعوريَّة سياق عاطفي يبرز في أثناء الإنتاج اللُّغوي يُؤثر في الدَّلالة ويتأثر بِهَا، فحينما نرى ظهور السَّحاب، فإنَّ دلالة هذا التركيب رمزٌ مماثل يؤدي هذه الرِّسالة: "السماء على وَشَكِ أن تمطر"[4]، هذه الحالة من الجو تختلف من شخص لآخر تبعاً لخبراتهم وتجاربهم، وكذلك الكلمات مثل: ديمقراطية، حرية، عدالة، تختلف باختلاف الانتماءات السِّياسيّة عند الاستعمال، فلكل كلمة من هذه الكلمات لها دلالة اجتماعية تختلف من مجتمع لآخر[5].

ثالثاً- سياق الموقف، أو الحال "فيعني الموقف الخارجي الَّذي تقع فيه الكلمة، مثل استعمال كلمة (يَرْحَمُ) في مقام تشميت العاطس: (يرحمك الله) البدء بالفعل وفي مقام التَّرحُم بعد الموت: (اللهُ يرحمَهُ) البدء بالاسم"[6]، والموقف الخارجي يشمل كل الظروف الماديّة، والمعنويّة المحيطة بالحدث اللُّغوي، وكذلك العلاقات الزَّمانيَّة، والمكانيَّة المصاحبة لَهُ، وكل ذَلِكَ يؤثر في دلالة النصّ،

---

(1) ينظر مختار الصحاح، للرازي، ص: 378-379.

(2) ينظر اللُّغة لجورج فندريس، ص: 38 وما بعدها.

(3) المصدر السابق: 235، وينظر في علم اللغة، لغازي مختار، ص: 50.

(4) علم اللُّغة مقدمة للقارئ العربي، لمحمود سعران، ص: 54.

(5) ينظر دلالة الألفاظ، لإبراهيم أنيس، ص: 48-49-50.

(6) علم الدَّلالة، لأحمد مختار، ص: 71.

فقولنا (حَسَناً) يمكن أَن يُؤَدّي دلالة الرِّضا، أو عدم الرِّضَا، أَو الغضب إلى غيرها من الدّلالات وفقاً لسياقِ الموقف المصاحب لَهَا[1].

وهكذا فالأستاذ فيرث "يرى أنَّ الوصول إلى معنى أيِ نصّ لغوي يستلزم:

1- أن يحلل النصّ اللُّغوي على المستويات اللُّغوية المختلفة (الصوتية والمعجميّةَّ، والنظميَّة).

2- أن يبين (سياق الحال): شخصية المتكلِّم، شخصية السامع، جميع الظروف المحيطة بالكلام.

3- أن يبين نوع الوظيفة الكلاميَّة.

4- أن يذكر الأثر الَّذي يتركه الكلام"[2].

فوصف سياق الموقف، أو السِّياق المقامي في النصوص المكتوبة كلّما توقف إدراك الدَّلالة عليه "وكلَّما كان وصف المقام أكثر تفصيلاً كان المعنى الدَّلالي الَّذي نريد الوصول إليه أكثر وضوحاً"[3].

وفي النصوص الأدبيَّة، وخصوصاً القصصيَّة، والروائية منها، فإنَّ كل ما يمضي منها عند القراءة يُسهم في التراكم السِّياقي العام للنصّ، وهكذا بدورهِ يُعين على كشف الدّلالات الّتي تحملها الأجزاء المتوالية من النصّ، في كل خطوة من خطوات الحدث اللُّغوي، حَتَّى يتِّم فَهمهُ، ويتحقق الهدف منهُ[4].

رابعاً- السِّياق الثَّقافي:

فيقصد به المخزون الثَّقافي للمشاركين في عمليّة التواصل اللُّغوي، وانتماءاتهم الاجتماعية، والسِّياسية، والدينيَّة، والمهنيَّة، وغيرهَا[5]؛ لأن هذه العوامل كلَّها من صنع المجتمع، ولذلك فإنَّ السِّياق "يقتضي تحديد المحيط الثَّقافي، أَو

---

(1) ينظر علم اللُّغة مقدمة للقارئ العربي، لمحمود السعران، ص: 252.

(2) المصدر السابق، ص: 253.

(3) اللُّغة العربية معناها ومبناها، لتمام حسان، ص: 346.

(4) ينظر دلالة الألفاظ، لإبراهيم أنيس، ص: 51.

(5) ينظر في علم اللغة، لغازي مختار، ص: 229.

الاجتماعي الَّذي يمكن أن تُستَخدَمَ فيه الكلمة"[1]، وكذلك التراكيب، حيث تتأثّر الدّلالة تبعاً لذلك؛ فكلمة (النَّجاح) لها معنى عند الطالب، ومعنى آخر عند رجل الأعمال، ومعنى عند الطبيب الجرّاح، ومعنى عند السِّياسي...الخ[2].

خامساً- السِّيَاق الحركي الإيمائي:

لم يَحْظَ السِّياق الحركي بالخصوصية الَّتي حَظِيَتْ بِهَا العناصر الأخرى عند اللُّغويين، ونقصد بها الحركات الجسمية باليد، أو الرأس، والإيماءات بملامح الوجه والعينين، والشَّفتين، والأصوات كالأنين، والتأفّف والتأوّه، وغيرها كصوت البكاء، والضحك[3].

وقد أشار إلى ذلك القدماء في حديثهم عن الإشارة، واللّفظ فقالوا: "وفي الإشارة بالطرف، والحاجب وغير ذلك من الجوارح مرفق كبير، ومعونة حاضرة، في أمور يسترها بعض النَّاس عن بعض، ويخفونها من الجليس، وغير الجليس..."[4].

وقد تنبّه رواة الحديث الشريف على هذه الظاهرة السِّياقيّة، وأهميتها في إيضاح دلالة متن الحديث، فحرصوا على وصفها مقترنة بالمتن، ومن ذلكَ قولهم: "وكان متكئاً فجلسَ"[5]، وقولهم: "وهو يبرق وجههُ من السّرور"[6].

تلك هي عناصر السِّياق كما يراها أصحاب النظرية السِّياقية، إلاَّ أَنَّهُ "لا يمكننا الفصل بين هذه العناصر؛ لأنَّها مجتمعة تعطي معنى الموقف، والسِّياق مهما كانت أنواعهُ"[7].

---

(1) علم الدلالة، أحمد مختار، ص: 71.

(2) المصدر السابق، ص: 71.

(3) ينظر اللُّغة العربيَّة معناها ومبناها، لتمام حسان: 353، وينظر في علم اللغة، لغازي مختار، ص: 51.

(4) البيان والتبيِّن، للجاحظ: 78/1.

(5) مسند أحمد، لأحمد بن حنبل: 152/1-385-431-435.

(6) صحيح مسلم، بشرح النووي: 96/17.

(7) علم الدلالة دراسة وتطبيق، لنور الهدى لوشن، ص: 100.

وهذه الدِّراسة سَتَعْتَمِدُ في تحليل الظـاهرة الـسِّياقيّة عنـد (خليفـة حـسين مصطفى) من خلال السِّياقات الآتية: السِّياق اللُّغوي، والسِّياق العـاطفي، والـسِّياق الثقافي، وسياق الحال، والسياق الحركي الإيمائي، ويجدر بنا أَنْ نؤكـد أَنَّ تفـاوت عناصر السِّياق في الأهمية بالنسبة إلى دلالة النصّ، وأهميتُها تتحدّد تبعـاً للحاجـة إليها وتبعاً لعلاقتها بالدِّلالة المقصودة[1].

(1) ينظر علم الدلالة دراسة وتطبيق، لنور الهدى لوشن، ص: 141.

المبحث الثاني

تطبيقات سياقيّة ودلاليّة على رواية

(الأرامل والولي الأخير)

- السِّيـــــاق اللُّغـــوي.
- سيـــــاق الموقـــف.
- السِّياق الثَّقافي الاجتماعـــي.
- السِّيـــــاق العاطفـــي.
- السِّيـاق الحركي الإيمائـــي.
- نظافـــــر السِّياقـــات.

أوّلاً- السِّياق اللُّغوي:

إنَّ نظام الألفاظ، والقوالب اللُّغوية، والجمل، وترتيبُها، وفقاً للنَّظام اللُّغوي السائد قصد الإبلاغ، والتَّواصل بين مستعملي اللُّغة الواحدة هو ما نعني به السِّياق اللُّغوي[1].

وهو الذي يمنح الكلمة، والجملة، أو جزء من الجملة دلالتها الأوليّة، ومن ثَمَّ دلالتها الثَّانوية، وليس للكلمة عند الاستعمال إلاَّ معناً واحداً مقصوداً[2].

"وإنَّنَا حينما نقول أنَّ لإحدى الكلمات أكثر من معنى في وقت واحد نكون ضحايَا الانخداع إلى حد ما؛ إذْ لا يطفو في الشُعور من المعاني المختلفة الَّتي تدلّ عليها إحدى الكلمات إلاَّ المعنَى الَّذي يعنيه سياق النص"[3].

ويؤثر السِّياق اللُّغوي في دلالة النصّ سواءاً على مستوى الجملة، أو جزءاً منها، أو على مستوى القوالب اللُّغوية الثابتة؛ لأنَّ "جمل النصّ القائمة بذاتها، وبقايا الجمل، والتَّعابير الثَّابتة كلُّهَا تعدُّ نصّاً بالنِّسبة لسياق وحداتها الكلاميَّة بغضّ النَّظر عن استخداماتها ضمن امتدادات أوسع من النصّ أم لا"[4].

ولا يؤدي السِّياق اللُّغوي وظيفتَهُ في تحديد الدّلالة إلاَّ أن يكون الكلام، أو النصّ منجزاً وفقاً لنظام اللُّغة بِمَعْنَى أنْ يكون النصّ مترابطاً نَحْوِيّاً، ودلاليّاً، أي مسبوكاً محبوكاً[5]، والَّذي يهُمُنَّا هو عنصر السبك، أو ظاهر النصّ لعلاقته المباشرة بالسِّياق اللُّغوي؛ لأنَّ السبك "يعني الأحداث اللُّغوية الَّتي نَنْطقُ بِهَا، أو نسمعها في تعاقبها الزَّمني، وهذه الأحداث ينتظم بعضها مع بعض تبعاً للمباني النَّحْوية"[6].

---

(1) ينظر منهج البحث اللُّغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، لعلي زوين، ص: 95.

(2) ينظر مختار الصحاح للرازي، ترتيب: محمود خاطر، ص: 378-379.

(3) اللغة، لجورج فندريس، ص: 228.

(4) اللُّغة والمعنى والسِّياق، لجون لاينز، ص: 221.

(5) ينظر في علم اللغة، لغازي مختار، ص: 212.

(6) مقالة نحو أجرومية النصّ الشعري، لسعيد مصلوح مجلة الفصول الأربعة، ع [1-2]، المجلد [10]، ص: 154-165.

ويرى الدكتور سعد مصلوح السّبك بأنَّهُ "يختص بالوسائل الَّتي تتحقق فيها خاصية الاستمرارية في ظاهر النصّ"[1].

والسَّبك باعتباره أحد عوامل [الترابط النّصي][2]، تقوم عليه فعالية السِّياق اللُّغوي، فإنَّهُ يتحقق بعدَّة مظاهر لُغوية هي:

التكرار، والمصاحبة المعجميَّة، والإحالة، والحذف، والرَّبط، وغيرها...[3].

وسنعرض بالتحليل الأمثلة لهذه المظاهر من الرِّواية إلاَّ أنَّنا نكتفي بمثال واحد لكل منها، ونرجئ التفصيل لذلك في الفصل الثالث الَّذي خصصناهُ لمظاهر السِّياق في النصّ.

1- المصاحبة المعجميَّة:

"هِي ورود مفردات معاً على نحوٍ مطّرد مثل: الليل والنهار، والشَّمس، والقمر، القوس، والسَّهم"[4].

ويعرف اللِّسَانِيُّون المصاحبة المعجمية بأنها "فرع من فروع الاشتراك، بمعنى أن تختلف دلالتا اللَّفظ المشترك اختلافاً يبلغ الغاية، حَتَّى تكون إحداهما نقيض الأخرى"[5].

ومن ذلك في الرواية نجد مصاحبة بين [الإنس، والجن]: "هناك الوالي وأتباعَهُ من شياطين الإنس والجن..."[6].

وفي: "نعم، لا" مصاحبه معجمية في قولِهِ: "أجب بنعم، أَو لا، هل أنت المدعو يوسف القهوجي"[7].

---

(1) نحو النصّ بين الأصالة والحداثة، لأحمد محمد عبد الراضي، ص: 101.

(2) المصدر السابق: 117.

(3) ينظر علم النصّ مجلة عالم الفكر، ع [2]، مجلة [32]، لجميل عبد المجيد حسين، ص: 146-147.

(4) المصدر السابق، [ع2]، ص: 146.

(5) في علم اللُّغة، لغازي مختار، ص: 218.

(6) الأرامل والولي الأخير، لخليفة حسين مصطفى، ص: 8.

(7) المصدر السابق، ص: 20.

وفي الشتاء، والصيف، مصاحبه معجمية في قوله: "...فإذا كان القهوجي قد أصبح باشا فإنَّ كل شيء يمكن توقعه كأن يهطل المطر في الصيف فيُغرِق المدينة، وتنفتح الزهور في الشِّتاء..."[1].

وقد ورد في الرِّواية عدة مصاحبات معجميّة بين [فوق وتحت][2]، و[النَّمُو والانفتاح][3]، و[أم وأب][4]، و[الرحيل والبقاء][5]، و[البحر والصحراء][6]، و[البِّر والإحسان][7]، و[الوالي الجديد وأسلافه][8]، و[يومه الأول ويومهِ الأخير][9]، و[جنح الظلام، ووَضْحِ النَّهار][10]، و[أبيض وأحمر][11].

2- التكرار:

"هو إعادة فعل الشيء، أو الإتيان بِهِ، وهو من مادة (كرر)[12].

وهو التكرار الفعلي للعبارات ويمكن للعناصر المعادة أن تكون هي بنفسها[13]، وَهُوَ من وسائل (السَّبك)[14].

ومثاله في الرواية تكرار لفظ [الحجاب] في المقطع الأول "... يوم أن أعطته عزيزة الحجاب وعندما يئس من العثور على الحجاب غادر حجرتَهُ لتبقى كما هي

---

(1) الأرامل والولي الأخير، لخليفة حسين مصطفى، ص: 67.

(2) المصدر السابق، ص: 15، وينظر، ص: 17-63-73-99.

(3) المصدر السابق، ص: 10.

(4) المصدر نفسه، ص: 19.

(5) المصدر نفسه، ص: 19.

(6) المصدر نفسه، ص: 20، وينظر، ص: 78-82-114.

(7) المصدر نفسه، ص: 13.

(8) المصدر نفسه، ص: 67، وينظر، ص: 72.

(9) المصدر نفسه، ص: 107.

(10) المصدر نفسه، ص: 111.

(11) المصدر نفسه، ص: 103.

(12) لسان العرب، لابن منظور مادة [ك رر].

(13) نحو النصّ بين الأصالة والحداثة، أحمد عبد الراضي، ص: 102.

(14) النصّ والخطاب والإجراء لـ(بوجراند)، ت: تمام حسَّان، ص: 301-302.

مغلقة في حماية الحجاب المفقود..."[1]، أمَّا التكرار في التركيب يكون هكذا "... ينهض واقفاً على قدميه..."[2]، "نهض واقفاً على ركبتيه..."[3]، وهذا التكرار أسهم في الربط النصي باعتباره مظهراً سِيَاقيّاً.

3- الحذف:

"يعني أنَّهُ أية معلومة قليلة الأهميّة وليست جوهرية يمكن أن تحذف"[4].

فالحذف يُرْجِع حسن العبارة في كثير من التراكيب إلى ما يعمد إليه المتكلم من حذف لا يغمض به المعنى، ولا يلتوي وراء القصد، وإنَّما تشتد به العبارة، ويقوى حبكها، ويتكاثر إيحاؤوها[5]، والحذف هو "استبعاد العبارات السَّطحية الَّتي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذَّهن، أو أن يعدل بواسطة العبارات النَّاقصة"[6]، ومن أمثلته في الرواية حذف المبتدأ في قولِهِ "مجنونة- مجنونة، مجنونةٌ ...!! بهذا صرخ قائد الحرس وغادر جناح الأرامل"[7]، والتقدير اسم الإشارة [هذه مجنونة] من خلال السياق الموقف.

4- الإحالة:

"ويعني بالإحالة أَنَّهَا تطلق على قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر، أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء من النصّ"[8].

كذلِكَ الإحالة هي: العلاقة القائمة بين عنصر لغوي يطلق عليه (عنصر العلاقة)، وضمائر يطلق عليها "صيغ إحالة، وتقوم المكونات الاسمية بوظيفة عناصر العلاقة، أو المفسر، أو العائد إليه، ويمكن أن يسمى أيضاً عنصر إشارة"[9].

---

(1) ينظر الأرامل والولي الأخير، لخليفة حسين مصطفى، ص: 9-10.

(2) المصدر السابق، ص: 65.

(3) المصدر نفسه، ص: 119.

(4) بلاغة الخطاب وعلم النص، لصلاح فضل، ص: 257.

(5) ينظر دلالات التركيب، لمحمد حسنين أبو موسى، ص: 123.

(6) نحو النصّ بين الأصالة والحداثة، لأحمد عبد الراضي، ص: 107.

(7) الأرامل والولي الأخير، رواية خليفة حسين مصطفى، ص: 271.

(8) نحو النص، لأحمد عبد الراضي، ص: 129.

(9) ينظر دراسات لغوية وتطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، لسعيد حسن بحيري، ص: 82.

إذا الإحالة مظهر سياقي يعمل أساساً كرابط بين عناصر السياق اللُّغوي، وسياق الحال "الّذي يشمل أنواع النشاط اللُّغوي جميعاً كلاماً وكتابه"[1].

ومن أمثلة الإحالة في الرواية قوله: "... وقد يكون ذلكَ في غمضة عين، وهكذا بإشارة من إصبعه استدعى إليه قائد الحرس..."[2].

وقولِه: "... هزَّ رأسه بما يعني تَفَهُمَهُ لهذه المسألة..."[3]، نلاحظ في هذا النصّ عدة إحالات اعتمدت على أسماء الإشارة: هذا – هذه – ذلكَ[4].

الضمائر المتصلة: الهاء في [إصبعهِ– إليه– رأسه– تفهمهُ][5]، الضمير المستتر الغائب تقديرهُ [هُوَ][6]، ضمير الشأن.

5- الربط:

وهذا المظهر يعمل بالاعتماد على ألفاظ، وأدوات تفيد معانٍ عدَّة منها:

أ- معنى مطلق الجمع مثل: واو العطف[7].

ب- التَّخيِّر: مثل: أَو، إمَّا[8].

ج- الاستدراك مثل: لَكِنَّ، مع ذلكَ، رغم هذا[9].

د- التبعيّة والتفريغ مثل: لأَنَّ، بناءًا على ... وغيرها[10].

---

(1) علم اللُّغة مقدّمة للقارئ العربي، لمحمود السعران، ص: 252.

(2) الأرامل والولي الأخير، رواية خليفة حسين مصطفى، ص: 46.

(3) المصدر السابق، ص: 47.

(4) ينظر معاني النحو، لفاضل صالح السَّامرائي: 1/84-90-99، وينظر شرح ابن عقيل، لمحيي الدين عبد الحميد: 131/1.

(5) المصدر السابق: 59/1، وينظر المصدر السابق: 89/1.

(6) المصدر نفسه: 55/1، ينظر المصدر السابق: 95/1.

(7) ينظر معاني النحو، لفاضل السامرائي: 244/1.

(8) التطبيق النحوي، لعبده الراجحي، ص: 386.

(9) معاني النحو، لفاضل السامرائي: 285/1.

(10) ينظر نحو النص، لأحمد عبد الراضي، ص: 131.

ومثال ذلك في الرواية كما يلي:

"... روت لَهُ كيف أنها هي التي سممت الأميرة جواهر بالاتفاق مع المفتي عبد الشافي في غيابه، ولكن ذلك لم يكن بدافع الغيرة كما قد يظن، أَوْ لأَنَّ قلبها أسود كما يشاع؛ وإنَّما ولأَنَّ الأميرة كانت كالشمس الَّتي لا تَشرق في جناحهن..."[1].

أدوات الربط داخل النص: [مع- لكن- أَوْ- لأن- و- كا...][2].

(1) الأرامل والولي الأخير، رواية خليفة حسين مصطفى، ص: 393.

(2) ينظر علم النص مجلة عالم الفكر [ع2]، ص: 147.

6- التراكيب المولّدة:

"وهي الَّتي تختلف دلالتها باختلاف الإضافة، فالتعابير المضافة تمثل عنصراً سياقيّاً لُغوياً يؤدي مهمة تعيّن الدّلالة؛ لأنَّ السياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها"[1].

فمثلاً نجد لفظ [سليل] بأكثر من دلالة تبعاً للإضافة فنجدهُ (سليل الظلمات)، و(سليل الجنّ)، ونجدهُ في حالة التأنيث (سليلة النبلاء)، و(سليلة السحرة)، وهما بمعنى الولد والبنت تختلف دلالتها باختلاف الإضافة[2].

وهذه التعابير نجدها سمة ظاهرة في الرواية، ومن صورها أيضاً: (طريق الموت)[3]، (مقاليد السلطة)[4]، و(قائد الحرس)[5]، و(إعلان الحرب)[6]، و(فندق العابرين)[7].

---

(1) اللُّغة، لجورج فندريس، ص: 231.

(2) ينظر لسان العرب لابن منظور: 657/4 (مادة سلل).

(3) الأرامل والولي الأخير، رواية خليفة حسين مصطفى، ص: 43.

(4) المصدر السابق، ص: 44، وينظر، ص: 46.

(5) المصدر نفسه، ص: 170.

(6) المصدر نفسه، ص: 45.

(7) المصدر نفسه، ص: 55، وينظر، ص: 82-148.

أثر السِّياق اللُّغوي في الدَّلالة:

ومن مظاهر أثر السِّياق اللُّغوي في الدَّلالة، أن "يستعين السِّياق الَّذي ترد فيه الكلمة على تحديد الدَّلالة في ضوء السِّياق تحدد دلالات الكلمات"[1].

"كذلكَ أنَّ الجملة ليست وحدها التركيب الَّذي نحدّد به، المعنَى، وإنَّمَا نحدد المعنَى أساساً من خلال النصّ الكلي الَّذي تتضام أجزاؤه، وتتآزر"[2]، ومن تلك العلاقات عنوان هذه الرواية، "الأرامل والولي الأخير" تعتبر الأرامل أحد محاور الحكي في الرواية حيث لا تتضح دلالتها، ولا تكتمل إلا بعد قراءة ثلث الرواية تقريباً، حيث كان حوار الأرامل مع المفتي عبد الشافي في المقطع التاسع والعشرين، كما يلي: "بعد أن أطلق عليهم السلام، اعترضت طريقه إحداهن قائلة: أليس من حقنا أن نعيش كبقية الآدميين؟[3].

- ومن قال بغير ذلكَ من حقكِّم طبعاً؟!
- كيف؟ ونحن نقضي عمرنا هنا في هذا الخن حتى الهواء شبه محرم علينا؟؟
- ليس هذا ما أعنيه يا سيدي المفتي.
- نريد أن نكون مثل زوجات القناصل.
- يا ألطاف اللَّه؟![4].

ومع تقدم الحكي تتضح الدَّلالة في كون أنَّ هؤلاء الأرامل لا يظهرن دائماً وقد حدّد السِّياق داخل النصّ ذلك، حيث لا يمنع بأن يكون لهذا النص دلالات إيحائية وإيمائية تختلف من قارئ لآخر، ومن العلاقات البارزة في الرِّواية كلمة [الخفاء][5] حيث تكررت هذه الكلمة في عدة مقاطع من الرواية في المقطع الثلاثين يصور حالة عزيزة بعد رحيلها مع مسعود، فقامت أمها بزيارتها.

---

(1) علم الدلالة، لستيفن أولمان، ص: 72.

(2) علم لغة النصّ المفاهيم والاتجاهات، لسعيد بحيري، ص: 123.

(3) الأرامل والولي الأخير، رواية خليفة حسين مصطفى، ص: 353.

(4) المصدر السابق، ص: 353-354.

(5) المصدر نفسه، ص: 353-354.

"... لقد دأبت أمها منذ عرفت طريقها إلى الخيمة الصامتة على مؤانستها حتَّى الفجر، ثُمَّ تغادرها لدى طلوع الفجر لتحس بأنَّها أصبحت وحيدة أكثر من ذي قبل كما لو أنَّهَا ترملت في الخفاء فهي على غير عادتها لم تعرف كيف تجيب على سؤالها لزمت خيمتها وظلت تبكي بدموع الخوف، والحيرة، وكانت أول ما تفعله في ذلك اليوم خروجها لِتَفَقُّدِ زهرتها الحمراء فلاحظت ذبولها أحست عندئذٍ أنَّ يداً من حديد تعصر قلبها..."[1].

فالخفاء قد توحي للقارئ بدلالات أبعد مما أشرنا إليه "إذ أنَّهُ ليس ما يسمى بالتفسير النِّهائي، ويرتبط بقاء النصّ، واستمراره بما يقدِّمه من تفسيرات متعدِّدة من خلال قرّاء تختلف قدراتهم، فيختلف نتاجهم"[2].

ومن المظاهر السِّياقية اللُّغوية تعدد دلالة اللَّفظ بتعدد السِّياقات حيث نجد لفظ [العين] بأكثر من دلالة في الرواية.

- فنجدهُ بدلالة [الحلم] "... رأى عزيزة بعين خياله وهي تطرف مستاءة، ومتدمرة لكونه يُضيِّع وقْتَهُ..."[3].
- وفي نصّ آخر يجدها بدلالة [الغضب، والانتقام] "عندما تَوجه في الصباح إلى عنبر الأرامل بعينين محمرتين..."[4].
- وجاءت في نص آخر بمعنى الجاسوسية "... تحاسبها على كلِّ صغيرة وكبيرة، وتَرْقُب تصرفاتها بعين حذرة..."[5].

ويبدو من خلال هذه النصوص أثر السِّياق اللُّغوي في إكساب اللَّفظ دلالة جديدة، فتتعدد الدلالة بتعدد السِّياقات التي ترد فيها، والَّتي تجمع بينهم هي الجودة[6].

---

(1) ينظر الأرامل والولي الأخير، رواية خليفة حسين مصطفى، ص: 365-366.

(2) علم لغة النص، لسعيد بحيري، ص: 142.

(3) الأرامل والولي الأخير، لخليفة حسين مصطفى، ص: 9.

(4) المصدر السابق، ص: 388.

(5) المصدر نفسه، ص: 414.

(6) ينظر في علم اللغة، لغازي مختار، ص: 212.

ثانياً- سياق الموقف (الحال):

"يقصد بالموقف الخارجي الَّذي تقع فيه الكلمة، وهو يشمل كل الظروف الماديَّة، والمعنوية المحيطة بالحدث اللُّغوي"[1]، وأصاب بعض الباحثين العرب إنَّ هذا السِّياق يعنون به كل ما يكنف الكلمة من أحوال، وأحداث تساعد على فهمها[2].

ويرى فيرث "سياق الحال نوع من التجريد من البيئة، أو الوسط الذي يقع فيه الكلام، وسياق الحال يشمل أنواع النشاط اللغوي جميعاً"[3].

المتمثلة في الأطراف المشاركة من المتكلمين وغيرهم، والمناسبة من حيث لقاء اجتماعي، أو حفل رسمي، والمكان الَّذي حدث فيه، لذلك فإنَّ سياق الموقف يتوقف عليه -في أغلب الأحوال- إدراك دلالة الكلام منطوقاً كان أم مكتوباً، وإنَّ "معظم الألسنيِّين يأخذون بأهميّة المقام، أو ظروف القول لتحديد المضمون الدَّلالي للكلمات"[4].

ويبدو سياق الموقف عند (خليفة حسين مصطفى) من أبرز العناصر السِّياقية الَّتي يعتمد عليها في تحديد ورسم معالم، ودلالات نصوصيّة، لذلك فهو يبدع في وصف عناصر المقام، فَيُبدُو للقارئ وكأَنَّه يعيش الموقف، ولكي ندلّل على ذلك نعتمد إلى تحليل بعض المشاهد من الرواية.

نقف في المقطع الثاني على وصف دقيق لسياق الموقف "... طرق الباب مسعود، فتحت له عزيزة وقالت له برقة:

- هذا أنت يا مسعود، كيف حالك؟
- أَنا كما ترين لا ينقصني شيء أَنا بخير، والحمد لله، أجابها مشفِقاً عليها من وقع الخبر"[5].

---

(1) علم الدَّلالة، لأحمد مختار، ص: 71.

(2) ينظر علم اللُّغة، لغازي مختار، ص: 213.

(3) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، لمحمود السعران، ص: 252-253.

(4) إشارة اللغة ودلالة الكلام، لموريس أبو ناضر، ص58.

(5) الأرامل والولي الأخير، رواية خليفة حسين مصطفى، ص: 26.

ثُمَّ يكمل ذلك الوصف في موضع آخر، فيقول:

"انتظري لحظة يا عزيزة فلدي ما أقوله لك: توقفت ملتفتة وفي عينها ابتسامة مشعة، ثُمَّ أقبلت نَحْوَهُ دون أن تفكر بشيء"، وفي موضع آخر يختم ذلك الموقف بقوله: "عظَّم الله أجرك يا عزيزة، يوسف كان من أعز الناس على قلبي، ولكن ما باليد حيلة فهذه إرادة الله"[1].

وفي أخر المشهد يصور الكاتب حالة مسعود، فيقول: "لو تنبهت منذ البداية إلى عينه لفهمت كل شيء، فظلت محدقة به كأنَّها لا تراه، وتود أن تلمسه بيدها لكي تراه..."[2]، فهذا النصّ لا تظهر دلالاتهُ إلاَّ في ضوء سياق الموقف الَّذي سبقهُ، وهو "القبض على خطيبها يوسف"[3].

والَّذي حدَّد هذه الدّلالة هو السِّياق من خلال عناصر المقام:

1- فالحوار: كان بين عزيزة ومسعود الشحاذ.

2- المكان: كان في المنزل.

3- الزمان: كان وقت الصباح.

4- وموضوع الحديث: القبض على يوسف القهوجي.

5- الحالة: فكان الحزن والدموع عند مسعود، والدهشة، والحيرة عند عزيزة.

في المقطع الثالث يكمل لنا (خليفة حسين مصطفى) وصفه لسياق الموقف، فيقول: هناك عناصر دلالية في النصّ لم تتضح؛ لأنَّها مرتبطة بتقدم السرد أيضاً من بينها دلالة (النداء).

فالنداء: هو الصَّوت، وهو مشتق من النّدى، وهو بعد الصوت[4]، وهو إمَّا أن يكون بعيداً، أو في حكم البعيد، فإن كان بعيداً، فأكثر حروفه مستعملة [يا][5].

---

(1) الأرامل والولي الأخير، رواية خليفة حسين مصطفى، ص: 27.

(2) المصدر السابق، ص: 27-28-29.

(3) المصدر نفسه، ص: 20-21.

(4) لسان العرب لابن منظور، مادة (ن د ي).

(5) ينظر شرح ابن عقيل، لمحيي الدين عبد الحميد: 255/3.

فيقول: "... دخل القهوجي بيت السلطة، وكان يسرح فيه هائماً في عالمه المعقد الَّذي ما زال يفتقر إلى دعائم الصلبة، ثُمَّ طرقت أحد أذنيه ضجة آتية من الردهة تعرَّف فيها على صوت نسائي..."[1].

لم يسمحوا لهذه المرأة بالدخول فقال للحاجب: دعها تدخل لكنَّ الحاجب بدَا كأنَّه لم يسمع الأمر.

- ولَكِنْ يا سيدي الباشا ليس هذا وقته!!

عندئذٍ صاح بِهِ أول صيحاتِهِ الخانقة الَّتي غدت تسمع فيما بعد.

- قلتُ لكَ دعها تدخل يا حيوان.

- وعلى إثر هذه الصرخة توقف الحاجب مبهور الأنفاس، وأفلتت المرأة منه، ودخلت القاعة.

- قالت صباح الخير يا سيدي الباشا...[2].

كانت هذه الإضافة لسياق الحال تمهيداً لإثراء دلالة النداء، فكانت دلالة النداء متمثلة في [يا]، و[والصراخ][3]، فهنا تعني الكلام الشديد بانفعال، وقد ورد في لسان بمعنى الصيحة الشديدة عند الفزع، وقيل الصراخ الصوت الشديد[4].

ثُمَّ نقرأ في المقطع السادس: "لقد ظلت عزيزة موضع تفكيره بالرَّغم من كل مشاغله، ومن علل السلطة مؤجلاً مقابلاتِهِ وقراراتِهِ لكي يتفرغ لشؤون قلبه، فيحس كما لو أَنَّ أنفاسها تهب عليه في نسيم البحر الَّذي ينفذ إليه من نافذة حجرتِهِ، وبقي محافظاً على مواعيده القديمة بترتيب دقيق إلا أنه بدلاً من بردِ الصباح إلى الأخذ في التعرف على عالمه الجديد..."[5].

---

(1) الأرامل والولي الأخير، رواية خليفة حسين مصطفى، ص: 51-52.

(2) المصدر السابق، ص: 52-53، وينظر، ص: 54-55-56.

(3) الدلالة والكلام، لمحمد محمد داود، ص: 477.

(4) ينظر لسان العرب مادة (صَرخَ).

(5) ينظر الأرامل والولي الأخير، رواية خليفة حسين مصطفى، ص: 78-79-80.

وهذا النصّ في ضوء سياق الحال يشير إلى [الماضي]، وهو عنصر إحالي يشير إلى ما يسمى [بالمقاميَّة][1]، أمَّا عناصر سياق الحال في هذا النصّ، فَتَتَمَثَّل في:

1- المكان: حجرة نومه.

2- الحوار حديث الوالي مع نفسه، وفي عقله الباطن عزيزة.

3- الزمان: الصباح الباكر.

أَمَّا العناصر الإيمائية كما يلي:

أ – تعليق البصر.

ب- الصوت الخفي، فكل تلك العناصر تلتقي للكشف عن دلالة النصّ، فالزمان والمكان يبعثان على التأمل والمنجاة، أمَّا خوف الوالي من هذه السلطة، وإقناع نفسه بها، وحرصه على البقاء في هذه المملكة، ولا شك أنَّ سؤال يفتح دلالات كثيرة تختلف من قارئ لآخر.

ونقرأ في المقطع التاسع: "... وهكذا فقد خاب رجاء مسعود الشحاذ بصديقه، ولكن إلى حين، فقد كان من رأيه أنَّ لكل صاحب سلطة حتى إذا كان سائساً في اسطبل مزاحه وأعرافه في الحكم والإدارة التي ينتهجها بحزم لأسبوع، أو أسبوعين أو حتى لعدة أشهر...."[2].

في هذا نجد سياق الحال من ناحية زمانية، فالاستفهام داخل النص دلالة على الخوف لذلك فإن الجمل الاستفهامية تتوافق فيها الدَّلالة الزمنيَّة للصِّيغ[3] ثُمَّ يستعمل:

- صيغة المفرد في كلمة أسبوع.
- صيغة المثنى في كلمة أسبوعين.
- صيغة الجمع كلمة شهر، وهي أربع أسابيع دلالة على الزمان.

---

(1) نحو النص، لأحمد عبد الراضي، ص: 129.

(2) ينظر الأرامل والولي الأخير، رواية خليفة حسين مصطفى، ص: 104.

(3) ينظر اللُّغة العربية معناها ومبناها، لتمام حسان، ص: 248.

ثُمَّ ينتقل لوصف الموقف في مكان "...صَدَح برأيه هذا في الشوارع، والحواري بصوت باكٍ، ولم يجد صعوبة في إجبار الأهالي الَّذين احتشدوا من حوله مذابة في دموعه..."[1].

فهذا النصّ يبقى مُنْفَتِح الدَّلالة لعدم معرفة حقيقة الأمر الَّذي يبكي من أجله ولا شك أنَّ الكاتب تعمَّدَ لذلك، فقد مزجَ بين سياق الحال، والسِّياق الحركي الإيمائي في قوله: [بصوت باكٍ] أمَّا عناصر سياق الحال، وصفة للمكان الذي بكى فيه:

1- المكان: الشوارع، والحواري.

2- الأشخاص: مسعود الشحاذ، وحشود الناس من حوله.

وفي المقطع الحادي عشر يبحث الوالي عن مصدر رزق لهذه البلاد، فلم يجد سوى البحر، فقام الحوار بينه وبين أمير البحر:

لا يغيب عنك يا سيدي الباشا أنَّ هناك احتفال سوف يقام يوم الجمعة القادم لإنزال سفينة جديدة في البحر، وهي فرصة مؤاتية لكي تقول ما تريدهُ.

- أكدَّ أمير البحر على ما قاله الوزير الأول وأضاف.
- كل شيء جاهز ونحن رهن أشارتكَ يا سيدي الباشا.

وفي صباح يوم الجمعة هو يوم الاحتفال الضخم عند حوض بناء السفينة بحضور عدد من أعيان المدينة، والدراويش وقناصل الدول الأجنبية، وفي اللَّحظة الَّتي خرجت فيها السفينة من الحوض مدفوعة بأيدي العمال لتنزلق في البحر..."[2]، يصور لنا الكاتب انشغال الوالي، فصوَّر عناصر سياق الحال بالإضافة إلى [حركات العمال، وأصواتهم لدفع السفينة]، ورفع يد الوزير الأول[3]، فمنحت القول عدة دلالات منها الدَّلالة المباشرة، وهي خروج الوالي من محنتهِ العاطفية، فهنا الدلاَّلة المباشرة تكون دلالة احتمالية؛ لأنها تحمل خروجه، وعدم خروجهُ من محنته العاطفية[4]، أمَّا عناصر سياق الحال:

---

(1) الأرامل والولي الأخير، مصدر سابق، ص: 105، وينظر، ص: 106-107-108-109-110.

(2) المصدر السابق، ص: 135.

(3) ينظر علم اللغة، لغازي مختار، ص: 51.

(4) ينظر معاني النحو، لفاضل السامرائي، ص: 17/1.

1- الزمان: يوم الجمعة.

2- المكان: البحر.

3- الأشخاص: الوالي، وكبار الأعيان، والعمَّال.

4- الموضوع: الاحتفال بدخول سفينة جديدة في البحر.

"وسياق الحال المتمثل في عناصر المقام، والمكان، والزمان كثيرة في الرواية"[1].

وفي المقطع الثاني عشر هنا يتداخل الرَّاوي لوصف سياق الحال، فيصور لنا مشهد لإدراك دلالة الحيلة، والمكيدة.

"... استيقظ يوسف عندما سمع طرقاً على الباب، فَوجَدَهُ

- قائد الحرس؟

- فأخبرهُ بالمكيدة الَّتي يد بر لها مسعود الشَّحاذ، فتلقى الخبر في شكل قذيفة، فقال:

- حَتَّى مسعود الشحاذ؟!

يجب قطع رأسه على الفور، ولكني لن أكون رحيماً به إلى هذا الحد ضعه في السجن يا عبد الواحد..."[2].

فدلالة هذا النصّ تسير في اتجاهين، فهي للمخاطبين تؤدي دلالة مباشرة، وهي ضرورة التخلص من الشحاذ مسعود أَمَّا الدَّلالة المقصودة، والَّتي يستشفها القارئ من دلالة المكيدة، والَّتي تعطي معنى السخريَّة، لأَنَّها غير أساسية في الدَّلالة الكلامية، فهي مجال الدّلالة العقلية، أو الشُّعورية، ولكنَّها تتضمن معنى الكلام في بعض السِّياقات الدَّلاليّة[3]، والتي يزيدها وضوحاً سياق الحال الَّتي قيلت فيه.

وفي المقطع الثاني والثلاثين كانت حادثة مقتل الأميرة جواهر، والَّتي يحقق فيها قائد الحرس، فتكرار لفظ [قائد الحرس][4] في أغلب مقاطع الرواية كان يحمل

---

(1) ينظر الأرامل والولي الأخير، رواية خليفة حسين مصطفى، ص: 61-68-108-112.

(2) ينظر المصدر السابق، ص: 148-149، وينظر، ص: 204-205-235-236.

(3) ينظر الدَّلالة والكلام، لمحمد داود، ص: 223.

(4) ينظر الأرامل والولي الأخير، رواية خليفة حسين مصطفى، ص: 50-271-386.

دلالات مختلفة في أغلب النصّ، وهي إمَّا بمعنى التحقيق، أو الهجوم، أو القيادة، أو مخبر، ولكن هنا في هذا المثال جاء محققاً "ذهب قائد الحرس إلى جناح الأرامل للتحقيق معهم، فشك في إحداهن، فدعته إلى عنبرها، وهي تخطط لقتله أسقته من الدَّورق الَّذي سممت به الأميرة، وبَاحتْ له بكل شيء دون مواربة بما يعرف وما لا يعرف كان يعلق عينه بالسقف متأملاً وجوه ضحاياه، وقد شرع في استعراضهم واحداً واحداً إلى أنْ مرت عزيزة أمامه ورقمته باحتقار فكر عندئذ بأنَّه لا أحد يلوم يوسف القهوجي على جنونه بها وكان يُحتضر، وكانت هي تنصت إلى دقات قلبه الأخيرة سمعته يتمتم مشيراً بأصبعه إلى الدورق فجاءته، وسقته جرعة كبيرة ثقل رأسه، ثُمَّ مات؛ قَتَلَتْهُ؛ لأَنَّهُ قاتل زوجهَا"[1].

اكتملت في هذا النص عناصر المقام، وهي:

1- المكان: عنبر الأرامل.

2- الزمان: كان في المساء.

3- الأشخاص: قائد الحرس، وإحدى الأرامل.

4- الموضوع: هو التحقيق في مقتل الأميرة جواهر.

كما هناك تداخل بين السِّياق العاطفي، وسياق الحال، والسِّياق الحركي الإيمائي.

يصور لنا الكاتب في المقطع الثالث والثلاثين تداخل سياق الحال مع عدَّة إحالات منها:

1- الظروف[2].

2-حروف العطف[3].

3-الضمائر[4].

4-الاستدراك[5].

---

(1) ينظر الأرامل والولي الأخير، رواية خليفة حسين مصطفى، ص: 393-394.

(2) ينظر شرح ابن عقيل، لمحيي الدين عبد الحميد: 191/2.

(3) ينظر معاني النحو، لفاضل السامرائي: 188/3.

(4) ينظر المصدر السابق: 41/1.

(5) ينظر المصدر نفسه: 224/3.

"كان من المتوقع أن يعلن يوسف القهوجي الحداد الرسمي لمدة ثلاثة أيام على الأقل كما هي العادة المتبعة عند رحيل أحد كبار معاونيه، ولَكنْ ما حدث على عكس ذلك عندما جاءهُ نَبَأُ موتِ قائد الحرس لَمْ يهتزْ لِنَبأ، ثُمَّ هو لم يأمر بإعلان الحداد، ولا بإقامة حفل تأبين تعدد فيه مآثر الفقيد، وما كان يتصف به من حسن الأخلاق الحميدة"[1]، وهذه المظاهر السِّياقية تعمل بالاعتماد على ألفاظ، وأدوات تفيد عدة دلالات منها:

1- دلالة مطلق الجمع مثل: واو العطف.

2- دلالة التخيِّر مثل: أو- إمَّا.

3- دلالة الاستدراك مثل: لَكِنْ.

4- دلالة التَّبعية، مثل: ثُمَّ[2].

5- دلالة المكان: عند.

6- دلالة الزمان: أيام[3].

وفي المقطع الرابع والثلاثين يبيِّن هذا المشهد كيف تحول من حال الفرح إلى حال الحزن: "وبهذا آل موكب الفرح والموسيقى إلى موكب جنائزي ضخم، ففي عصر نفس اليوم أعدت جنازة ضخمة تليق بولي العهد، وأخته الأميرة في رحلتهما إلى دار الآخرة..."[4].

فاكتمل هنا سياق الموقف، فكان حالة فرح عند خروج الأمير، والأميرة ثُمَّ إطلاق رصاصات غير معروفة على كل منهما، فتحول من حال فرح إلى حال حزن حيث سقط كل من الأمير، والأميرة على الأرض، فاكتملت عناصر المقام، وهي:

1- الزمان: كان وقت العصر.

---

(1) الأرامل والولي الأخير، رواية خليفة حسين مصطفى، ص: 395.

(2) ينظر معاني النحو، لفاضل السامرائي: 3/188-208-218-224.

(3) ينظر شرح ابن عقيل، لمحيي الدين عبد الحميد: 2/194.

(4) الأرامل والولي الأخير، رواية خليفة حسين مصطفى، ص: 406.

2- المكان: فكان في حالة الفرح ساحة الاحتفال، وحالة الحزن انتقالها إلى دار الآخرة.

ودخول العناصر الإيمائية، والسياق الحركي يمنح النصّ دلالتين الأولى: الرغبة في الفرح.

الثانية: وهي الحزن الشديد[1].

(1) ينظر الدلالة والكلام، لمحمد داود، ص: 497.

ثالثاً- السِّياق الثقافي الاجتماعي:

يقصد به المخزون الثقافي للمشاركين في عمليّة التواصل اللُّغوي، وانتماءاتهم الاجتماعيّة، والسياسيَّة، والدينيّة، والمهنيّة، وغيرها لذلك فإنَّ هذا السِّياق يقتضي تحديد الكلمة[1]، وكذلك التراكيب، حيث تتأثر الدَّلالة تبعاً لذلك؛ فكلمة النجاح لها معانٍ مختلفة لدى كل من الطالب، ورجل الأعمال، والطبيب، والسياسي...[2]، كذلك يشمل هذا السِّياق "الاعتقادات المشتركة بين أفراد البيئة اللُّغوية، والمعلومات التاريخيَّة، والأفكار، والأعراف المشاعة بينهم"[3]، والمفاهيم الاجتماعية، والاقتصادية، والدينية وغيرها.

فدلالة لفظ (الصلاة) تختلف من ديانة إلى أخرى، ولفظ (الجهاد) تختلف دلالاته أيضاً، وهذا النمط السِّياقي يبدو بشكل واضح في رواية [الأرامل والولي الأخير]، ونسوق هنا أمثلة تطبيقيَّة لهذا السِّياق في عدة مواضع من الرِّواية: في المقطع الأول نقرأ على لسان القهوجي يحاور نفسه: "وهو يبحث على الحجاب الّذي أهدتْهُ له عزيزة لكي يصونه من العين، والحسد وكل الشرور الخفية لا يدري أين، لقد ضَيَّعَهُ، وَأَلَّمَ به قَلَقٌ غريب، وفكر، وهو يلتفت حوله من أنه إذا لم يجدهُ فقد يتعرض لمصيبة تنزل عليه من السماء..."[4].

هذا القول يمثِّل سياقاً ثقافياً كون هذا المجتمع يستعمل أشياء خاصة للحماية من العين، والحسد، مثل: [الحجاب- البخور]، فهذا النوع من السِّياق الثقافي يختلف من مجتمع لآخر وقد تكرر هذا السِّياق في المقطع الأخير من الرواية.

وفي المقطع نفسه نرى تصويراً آخر لسياق الثَّقافي على لسان القهوجي: "... لقد وُلِد ليعول نفسه، وهو مازال يحبُو، وكل ما يذكره في رحلة الزمن البائس أنَّهُ

---

(1) علم الدلالة، لأحمد مختار، ص: 71.

(2) ينظر المصدر السابق، ص: 71.

(3) وصف اللغة العربية دلالياً، لمحمد محمد يونس، ص: 138.

(4) الأرامل والولي الأخير، رواية خليفة حسين مصطفى، ص: 9، وينظر، ص: 402.

تعلَّم الغدوَ بسرعة أرنب بري، وأخذ يجري منذ ذاك في إثْرِ عزيزة الَّتي تصغرهُ عدّة أعوام"[1].

"عندما وصل إلى المقهى بدا كما لو أَنَّهُ أفرغَ كُلَّ أفكارَهُ الصدئة في الطَّريق فما عاد يهمه شيء سوى أن يباشر حياتَهُ برغم مخاضة اليأس، وتواتر الزمن..."[2].

في هذا المثال توحي دلالة القول بأَنَّهُ عاش محروماً من غير أسرة فأَراد أن يعوضَ ما فَاتَهُ، فهذا يمثل سياقاً ثقافياً داخل أي مجتمع.

وفي المقطع العاشر أَراد القهوجي الزواج من عزيزة، فطلب من المفتي سؤالها: "فبَادَرَها بالسؤال التقليدي فيما إذا كانت موافقة على الزواج من يوسف باشا، ثُمَّ قال حاثّاً إياهَا على الكلام:

- لا حياء في الدين يا ابنتي، وكرر سؤاله مرة أخرى عندما قاطعتهُ بقولها:
- غير موافقة!!
- بدا المأذون الشرعي غير مصدق لما سمعه فأعاد عليها سؤال للمرة الثانية، ولكن الإجابة ظلت كما هي مطبوعة في الصمت..."[3].

فالدّلالة المقصودة من النصّ لا تبدو واضحة إلاَّ لمن له معرفة بذلك، فالسِّياق الثقافي يحدِّد هنا حالة الحزن والإصرار على الصمت، وعدم الموافقة يؤدي إلى امتزاج مع السياق العاطفي.

في المقطع الحادي عشر نقرأ على لسان قائد الحرس، وهو ينقل خبر موت الخباز "أَنَّهُ تعرض لهجوم عصابة من الكلاب المسعورة نهشته بعنف، تنهد يوسف القهوجي، وقال: مُتَمْتِماً للمرة الثانية بصوت حزين -ليرحمه الله- ثُمَّ أمر بتشعيِّيه إلى مثواه الأخير في موكب جنائزي يليق بأحد أعوانه المقربين..."[4].

---

(1) الأرامل والولي الأخير، رواية خليفة حسين مصطفى ، ص: 10.

(2) المصدر السابق ، ص: 11.

(3) المصدر نفسه ، ص: 125.

(4) المصدر نفسه ، ص: 129.

فدلالة لفظ (ليرحمه الله) تميزت بها الشريعة الإسلامية، فهذه الدَّلالة تختلف من ديانة لأُخرى، وقد تختلف من مجتمع لآخر، ذلك ما يجعل التواصل اللُّغوي على المستوى الأدبي، ومستوى الاستعمال يعترضها القصُور، والغموض[1]، وقد تعدَّدت هذه الألفاظ في الرواية "الحمد لله، وعظم الله أجرك، وإرادة الله وحفظه، وبإذن الله..."[2].

في المقطع الثاني عشر نقرأ الآتي: ".... وما كاد يهنأ إلاَّ بساعة واحدة برفقة قرنفلته الحمراء المتوهجة عندما فوجئ برسول من وزيره الأول طلب مقابلته، ثُمَّ سلمه مغلفاً مختوماً بالشمع الأحمر فضه، فلم يجد بداخله سوى ورقة صغيرة مكونة من سطرين، ومبصومة من شاهدين، هذا يعني أنَّ زاوجَهُ أصبح شرعيّاً..."[3].

فقد عمد الكاتب إلى ذكر الأسطورة، وهي [اللَّون الأحمر] في قوله [حمراء متوهجة] إن احمرار الحسناء قرنفلة وكأنه مزج بلون هذه الزهرة،ولكنَّه اختار اللَّون الأحمر لدلالة معينة داخل النصّ تبدو واضحة في حين، وتكون أحياناً مُبهمة، وإنَّما جعل الاسم يحمل لَوْناً نفسيّاً معيّناً[4].

وفي المقطع التاسع والعشرين نجد نصّاً استفهامياً يحمل نوعاً من الثقافة "... اجتمع المفتي عبد الشافي بالنسوة الأرامل، فقالت إحداهن الملقبة [بربَّة][5] السحالي:

- أليس من حقنَّا أن نعيش كبقية الآدميين يا سيدنَا المفتي؟
- ومن قال بغير هذا من حقكم طبعاً؟!، وكيف ذلك؟
- فقالت نريد أن نكون مثل زوجات القناصل.
- يا ألطاف الله!!.

---

(1) ينظر في علم اللغة، لغازي مختار، ص: 229.

(2) ينظر الأرامل والولي الأخير، رواية خليفة حسين مصطفى، ص: 27-42-354-386-398-408-415.

(3) المصدر السابق، ص: 142.

(4) ينظر علم الدلالة والمعجم العربي، لأبو شريفة وآخرون، ص: 59-62.

(5) ربَّة، من المجاز هي [المعروفة]، وقد جاءت بهذا المعنى في أساس البلاغة للزمخشري، ص: 215، وجاءت في المعجم الوسيط بمعنى الصاحب أو الزعيم، ص: 356 مادة [رب ب]، وكذلك جاءت في لسان العرب لابن منظور [الصاحب أو الزعيم]، مادة [رب ب]: 27/4، وكذلك المعروف، أبو الصنيعة.

بهذا صاح المفتي، ولكنَّهُ تمالك نفسه، وقال بهدوء:

- تلكم النسوة [الداعرات][1] لهن الدنيا الفانية، أمَّا أنتم فلكم الجنة[2].

في هذا النصّ تعددت السِّياقات الثقافية منها إلقاء المفتي خطبة للأرامل، وإعداد النصّائح لهنَّ.

فهذا السِّياق جعل التعجب صيغة لا تختلف لتكون دلالة على المعنى الَّذي أراده السِّياق[3]، وجعل [مَنْ] الاستفهامية لدلالة عن شخص (عاقل)[4]، ثُمَّ انتقل، وكان السؤال عن دلالة الحال [كيف][5].

وفي المقطع الثلاثين يصور لنا الكاتب دلالة الاستفهام في سياق ثقافي: "ذهبت عزيزة إلى مشعوذة، فقال لها مسعود الشحاذ: ما هذا التخريف؟ ما هي إلاَّ عجوز مجنونة؟، كيف تدعي العلم بالغيب الَّذي يقول الشيوخ لا يعلمه إلا الله..."[6].

وهذا النصّ يحمل سياقاً ثقافياً، وهو كثرة اللُّجوء إلى المشعوذين.

وفي المقطع الثالث والثلاثين "دخل مسعود الشحاذ إلى منزل صانع الأقفال، لكن دون أن يغمض له جفن إلى أن طرق أذنيه أصوات مؤذني الفجر منادين للصلاة..."[7].

فالنص يكون بين السِّياق الثَّقافي، والسِّياق الحركي، فلفظ [الصلاة] دلالة على السِّياق الثقافي؛ لأنه تختلف الصلاة من ديانة إلى أخرى.

أما الجفن فَهي حركة العين، وصوت المؤذن دلالة على السِّياق الحركي الإيمائي كل هذه السِّياقات تكسب النصّ براعةً وجمالاً.

---

(1) دَعَرَ، بمعنى الفسق، والخبث، والشر، ينظر معجم الرائد، ص: 680.

(2) ينظر الأرامل والولي الأخير، رواية خليفة حسين مصطفى، ص: 353-354، وينظر، ص: 270-302-355-356.

(3) ينظر: أسرار العربية، لأبي البركات الأنباري، ص: 116.

(4) ينظر معاني النحو، لفاضل السامرائي،: 121/3.

(5) ينظر شرح ابن عقيل، لمحيي الدين عبد الحميد: 242/2.

(6) الأرامل والولي الأخير، المصدر السابق، ص: 359-360.

(7) المصدر السابق، ص: 403. وينظر، ص: 33-58-62-85-106-130-240-409.

رابعاً- السِّياق العاطفي:

يتعلق بدرجة الانفعال في الحدث التواصلي، وهو أحد عناصر السِّياق المؤثِّر، والموجِّهة لدلالة النصّ، والأثر الذي يحدثهُ الكلام لدى المشاركين في الموقف الكلامي، فالكلمة من خلال التركيب اللُّغوي يكتنفها جو عاطفي يحيط بها، وينفذ فيها، ويعطيها ألواناً مؤقتة على حسب استعمالها[1]، وقد تختلف الدّلالة بين المنجز، والمتلقي حيث إنَّ "المضمون، أو الارتباط النفسي يختلف من متكلِّم لمتكلِّم آخر اختلافاً كبيراً"[2].

أي أنَّ السِّياق العاطفي غالباً ما يكون سياقاً ذاتياً يتعلق بالحالة النفسية للمشارك في الحدث اللُّغوي.

وهذه بعض صوره في الرِّواية:

في المقطع الثاني يصور لنا الكاتب موقفاً كلامياً بين عزيزة ومسعود، "انتظري لحظة يا عزيزة فلدي ما أقوله لك: توقفت متلفتةً وفي عينها ابتسامة مشعة، ثُمَّ أقبلت نحوهُ متهادية في ردائها القطني من الضفة الأخرى لأحلامه السرية، دُونَ أَنْ تُفكر بشيء سوى أنَّهُ جاءها برسالة شفوية من خطيبها، فهو الرسول السري الَّذي يتبادلان على لسانه سوء حظهما..."[3].

نجد في هذا النصّ [لفظ عينها] قد أحاطه السِّياق العاطفي بدلالات نفسية وإيمائية تمثلت، في الحنين، والشوق إلى خطيبها، وربّما إلى الحزن الَّذي كان ينتظرها إثر سماعها الخبر، وكذلك لفظ [الرسالة الشفويّة] يوحي بعدّة دلالات منها: الحسرة، والأمل ففي هذا النصّ تجهل ما يوحي به المتكلِّم، فغالباً ما يكون السِّياق ذاتياً يتعلق بالحالة النفسيَّة للمستمع.

في المقطع السادس لا يزال المشهد الرِّوائي يخاطب أنفاس عزيزة عندما أصبح القهوجي والياً "... فيحس كما لو أنَّ أنفاسها تهب عليه في نسيم البحر الَّذي

---

(1) ينظر اللغة لجورج فندريس، ص: 235.

(2) علم اللُّغة، مقدِّمة للقارئ العربي، محمود السعران، ص: 278.

(3) الأرامل والولي الأخير، رواية خليفة حسين مصطفى، ص: 26-27، وينظر، ص: 31-32-35-48-64.

ينفذ إليه من نافذة حجرة نومه الملكية فيما هو ينهض مبكراً منتشياً بندى الصباح..."[1].

فالسِّياق العاطفي منح لفظ (نسيم البحر) دلالتهُ في النصّ، وذلك بأن يوحي بالشوق، والحنين، والسعادة الَّتي أصبحت بعيدة عن منالِه، كذلك [ندى الصباح] يتذكر به عزيزة في خيالِه، وهذه دلالة ثانوية زيادة عن الدلالة الأساسية، وهي الشوق والحنين.

وقد تكرر لفظ [الصحراء] في الرواية، وقد يوحي إلى سكون الصحراء في وديانها وتلالها، وهذا السكون يزيد من دلالة الشوق والحنين[2].

وما زال هذا المشهد مستمراً في تداخل السِّياق العاطفي، مع السِّياق اللُّغوي في قوله: "... كان يهز رأسه بشرود بالرغم من ثقل عمامتِه الضخمة مجيباً على أسئلتِه الغائمة بقولِه: "سوف نرى"، وقد أصبحت سوف نرى هذه لا غنى عنها في كلامِه، وحيرتِه في معالجة شؤون قلبه"[3].

تكرر لفظ [سوف نرى] وذلك دلالة على كثرة المعنى، وليست أوسع من السين في معانيها[4]، أمَّا السياق العاطفي يظهر لنا الحيرة والتحسر بين شؤون قلبه، وشؤون دولتِه.

وأيضاً في المقطع نفسه نجد كلمة [زمن البكاء] دلالة على سياق عاطفي يوحي بالحزن، والألم، والتَّحسر[5].

وفي المقطع العاشر مشهداً يوحي بدلالة الفرح، والحزن "...، فيبدو الوالي في هيأة غريبة، ومثيرة لشفقة مَحْشُواً في أثوابِه الحريرية بألوانها الفاقعة، وأطواق الذهب الَّتي يحملها على كتفيه..."[6].

---

(1) الأرامل والولي الأخير، رواية خليفة حسين مصطفى، ص: 78.

(2) ينظر المصدر السابق، ص: 82-114-120-133.

(3) المصدر نفسه، ص: 81.

(4) ينظر مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري: 761/1.

(5) الأرامل والولي الأخير، مصدر سابق، ص:83، وينظر: 28-32-48-68-83-288-292-294.

(6) المصدر السابق، ص: 117.

أما المشهد الثاني، فكان يصف [الزغاريد] و[التصفيق]، فمعناها الاعتيادي هو الفرح، والسرور، ولكن في النص نجد العكس "كان مسعود الشحاذ يأمر العجائز بالزغاريد، والتصفيق للوالي الجديد، ولكن الزغاريد الخانقة آلت إلى نواح، وراحت العجائز المحطمات تولولن نادبات شبابهن الغابر يتذكرن أولادهن"[1].

فهذا السِّياق العاطفي مندرج بين الفرح، والحزن، فمنح لفظ [أثوابه الحريرية] [الزغاريد- التصفيق] دلالة حسية بالمادة يستعمل فيها لسان، واليد دون الكلام، والصفق هو الضرب، والتصفيق باليد هو التصويت بها[2].

وفي السياق نفسه نجد مثال آخر في لفظ [الرمال الشاحبة] [نواح العجائز][3] له دلالات، فالشاحبة يقصد لونها، فاللون الشاحب يوحي بدلالة [الخوف- البؤس- الحزن- الاكتئاب]، أمّا نواح فدلالة على الحزن الشديد[4].

وفي المقطع الحادي والعشرين نجد لفظ [العرش]، وقد أكسبه السِّياق الثقافي الاجتماعي دلالات غير دلالتِه الأساسية، وهي كرسي الملك، أو السلطان، فنقرأ: "...أَطْلَعَهُ قائد الحرس على مؤامرة الشحاذ بكلِّ تفاصيلها، وملابساتها لإقصائه عن كرسي العرش، فتلقى يوسف القهوجي الخبر على شكل قذيفة..."[5].

ونقرأ في مقطع آخر "... الصُّدفة الغريبة الَّتي قادت القهوجي البائس إلى كرسي الحكم ثُمَّ تطور علاقتهُا إلى أن أمر القهوجي بسجنه..."[6].

وبلفظ آخر جاء في النص: "... وبما يشبه خطوة في الحلم من [مصطبة][7] المقهى إلى كرسي الباشويه..."[8].

---

(1) الأرامل والولي الأخير، رواية خليفة حسين مصطفى، ص: 117، وينظر، ص: 44-93-124.

(2) ينظر الدلالة والكلام، لمحمد داود، ص: 481.

(3) ينظر الأرامل والوالي الأخير، رواية خليفة حسين مصطفى، ص: 118-119.

(4) ينظر الدلالة والكلام، لمحمد داود، ص: 497.

(5) الأرامل والولي الأخير، مصدر سابق، ص: 148، وينظر، ص: 103-168-298-413.

(6) المصدر السابق، ص: 253، وينظر، ص: 69-254-333-401-407-411.

(7) والمصطبة هي شبه الدُكان يجلس عليها، ينظر لسان العرب: 329/5 [ص ط ب].

(8) الأرامل والولي الأخير، مصدر سابق، ص: 77.

فالسِّياق العاطفي منح لفظ [العرش- الحكم- الباشوية] دلالات التقديس، والتعظيم، والجلال علاوة على دلالتهِ في النصّ كونه كومة من الخشب يقام وسط الخباء ليلة استقبال الملك، وهذه دلالة سياقية ثانوية على دلالتِهِ الأصلية، وهي كرسي الملك والسلطان.

وفي المقطع الرابع والثلاثين "... لقد ظهر يوسف القهوجي بعد غياب طويل في هيأة جديدة بعد أن استبدل تَمشياً مع روح العصر أثوابه التقليدية الفضفاضة بألوانها الزاهية، بطربوش أحمر، [بَذْلة][1] من [الجُوخ][2] السوداء تزينها عند الصدر صفان من الأزرار الذّهبية..."[3].

والمقطع نفسه نقرأ فيه "عاد إليهم بوجه شاحب، وعينين ذَابلتين..."[4]، "ثُمَّ خَرَج إليهم مكسواً بالسواد بعد أن افتقدوه لزمنٍ طويل..."[5].

يوحي السِّياق العاطفي الَّذي يكتنف هذا النصّ، وفي نصوص أخرى خلال العبارات الآتية: [الجوخ السوداء] [عينين ذابلتين] [مكسواً بالسواد] [القهوة السوداء][6] [هيأتها السوداء][7] وكذلك عبارة [جنح الظلام][8].

هنا يوحي بدلالات عاطفية تتمثل في عشق [السواد]، والتَعلُّقِ بالظلام، والاستمتاع بِهِ.

ودلالة [عينين ذابلتين] توحي بالحزن، والشفقة، والحسرة، فهناك علاقة وطيدة بين السواد، والحزن؛ لأن اللون الأسود يعني الحزن كلاهما أعطى لنصّ دلالة واحدة[9].

---

(1) البذلة: الثياب مَا يُلبس في الخدمة والعمل، ينظر معجم الرائد، لجبران مسعود، ص: 312.

(2) الجوخ: نسيج من الصوف وجمعه [أجواخ] المصدر السابق، ص: 533.

(3) الأرامل والولي الأخير، رواية خليفة حسين مصطفى، ص: 407.

(4) المصدر السابق، ص: 407.

(5) ينظر المصدر نفسه، ص: 407.

(6) المصدر نفسه، ص: 110.

(7) المصدر نفسه، ص: 321.

(8) المصدر نفسه، ص: 399.

(9) ينظر الدلالة والكلام، لمحمد داود، ص: 497.

وفي المقطع الثاني والثلاثين نجد وصفاً لمشهد من الشوق، والحنين بين قائد الحرس، وأميرتِه جواهر.

يقول قائد الحرس: يُردِّدُ مقطوعته المشهورة: "...أمان يا لا للي" وظل يردد بلحنٍ مرح هذه المقطوعة الغنائية الشائعة، فيما هو يَهْبِطُ الدّرج الرخامي إلى الساحة مُتَجِها إلى حجرة السلاح، وقد غلب عليهِ الشوق، والحنين لرؤية الأميرة الفاتنة عقب واحد وعشرين يوماً..."[1].

وفي المقطع نفسه يصور لنا السِّياق العاطفي بطريقة أخرى "لقد ظلّ يكافح رغباتِه ولهفته لعدة ساعات، وبالتحديد إلى أن يحين موعدها المسائي مهدهداً أشواقه الجارفة، ومتصبِّراً حَتَّى لا يتهور، فيذهب من فورهِ لأَخذهَا"[2].

بعد ذلك "وفي الساعة السابعة مساءاً تقدَّم من حجرة السلاح دون أَنْ يَنْسَ هديتَهُ لجواهر كان يحلم بليلةٍ من الشوق، والحنين إلاَّ أَنَّهُ ما إن دَنَا منْ الباب حتَّى هاجمته رائحة عفنة ففتح الباب لم يَرَ أميرته، وإنَّمَا رأى جثَّةً هامدة على الفراش..."[3].

في هذا النصّ تعدّدت السِّياقات العاطفيّة، فكان المشهد الأوّل يردد لحن المقطوعة التي يوحي بدلالة [الفرح، والسرور مغلوباً بالشوق، والحنين...".

أمَّا المشهد الثَّاني، فكان السِّياق العاطفي أقوى، حيث إتضحت دلالة النصّ من خلال العبارات الآتية [يكافح رغباته، وأشواقه الجارفة] هذه العبارة لها أثر في النصّ من ناحية سياقية، وخاصة في دلالة [الهاء]، فهي عائدة على قائد الحرس، وهو متقدِّم[4].

أمَّا المشهد الثالث، فكانت دلالة النصّ أساسية وثانوية، فالدَّلالة الأساسية هي الشوَق، والحنين، وأَمَّا الدّلالة الثانوية فهي الحزن، والكارثة الَّتي أصابت قائد الحرس، فالسِّياق العاطفي مؤثر في النص من خلال تعدّد دلالاتِه.

---

(1) الأرامل والولي الأخير، رواية خليفة حسين مصطفى، ص: 380.

(2) المصدر السابق، ص: 381.

(3) ينظر المصدر نفسه، ص: 381-382-383-384.

(4) ينظر معاني النحو، لفاضل السامرائي: 59/1.

المبحث الأول

الحذف والتنغيم

- الحـــــــذف.
- التنغيـــــــم.

خامساً- السِّياق الحركي:

ويقصد بهذا العنصر من عناصر السِّياق الحركات الجسميَّة باليد، أو الرأس، والإيماءات بملامح الوجه، والعين، والشفتين، والأصوات كالأنين، والتأفّف والنّحنحة والتأوّه، والهأهأة، وغيرها كصوت البكاء، وصوت الضحك[1].

وقد كان (خليفة حسين مصطفى) مبدعاً في وصف السِّياق الحركي في نصوصه، بل ويشير أحيَاناً حتَّى لدلالتها المقصودة، ونسوق أمثلة لهذا العنصر السِّياقي في الرِّواية.

ففي المقطع الأول نجد هذا الوصف لسياق الحركي بعدة مفردات منها على سبيل المثال: "... كانت الروايات من حوله متضاربة، ومتناقضة حتَّى في تحديد بُنيته الجسدية، ولون عينيه، فهي تتغير من رواية إلى أخرى كما في تقلب الطقس، وهيجان البحر، وزفير الصحراء..."[2].

وفي مقطع آخر يصف الموقف نفسه "...، فيحس كما لو أنَّ أنفاسها تهب عليه في نسيم البحر الذي ينفذ إليه من نافذة حجرة نومه الملكية..."[3].

"ولتكون متناغمة مع هدير البحر..."[4].

"كان البحر يلوح بأشرعته الشفافة في الهواء..."[5].

"وقد كان يَسْتَيْقِضُ على صوت تنهدات البحر ووشوشة الأمواج"[6].

في هذه النصوص امتزاج العنصر الصوتي [للبحر] في الألفاظ الآتية [هيجان، الهمس، هدير، تلاطم، تنهد، وشوشة]، فليس المقصود البحر من هذه الدّلالات وإنَّما شَبَّهُ الوالي بذلك في صوته، وحركاته، فهي من السِّيَاقات الحركيّة الَّتي تضيف لنصّ دلالات إيحائية.

---

(1) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها، لتمام حسان، ص: 353.

(2) الأرامل والولي الأخير، رواية خليفة حسين مصطفى، ص: 20.

(3) المصدر السابق، ص: 78.

(4) المصدر نفسه، ص: 114.

(5) المصدر نفسه، ص: 119.

(6) المصدر نفسه، ص: 222.

ففي العديد من المقاطع في الرواية استعمل لفظ [اليد]، "فمضى في طرق الباب بيد، وباليد الأخرى..."[1].

"أنزلت يدها الَّتي تمسك بأطراف السِّتار لكنها ظلت مستمرة في مكانها..."[2].

"قبض عليه جند الوالي عندما فتح قهوته في الصباح عندئذٍ ضربت قدرية بكفها على فخذها وصرخت للمرة الثانية..."[3].

وفي المقطع السادس نقرأ: "... قالها هذه المرة بصوت مسموع، وتوافق ذلك مع فتح الباب الَّذي أطل منه حاجبهُ برأسه ليخْبِرَهُ بعودة الشحاذ منتظراً الإذن بالدخول فلوح له بيدهِ المثقلة بالخواتم (دعه يدخل)..."[4].

ففي المقطع الأول استعمل السِّياق الحركي (لفظ اليد) في طرق الباب، ثُمَّ استعمالها في الإمساك في الستَارة، ثُمَّ وقوف عزيزة في مكانها دلالة على الحزن والأسى[5]، أمَّا في النصّ الثاني عندما ضربت قدرية على فخذها، وصرخت دلالة على الانفعال، والشدة[6].

أمَّا المقطع السادس عندما لوَّح بيدهِ دلالة على السخريَّة[7].

وتكرار لفظ اليد في الرِّواية كانت له دلالته، ومعانيه، فجاءت بمعنى [الوضع] "وضع يدهُ على المصحف الشريف"[8]، وجاء بمعنى [الإشارة]، وهي استعمال اليد في الإشارة[9]، وجاءت بمعنى [الدفع][10].

---

(1) الأرامل والولي الأخير، رواية خليفة حسين مصطفى، ص: 24، وينظر، ص: 32.

(2) المصدر السابق، ص: 38.

(3) المصدر نفسه، ص: 42.

(4) المصدر نفسه، ص: 81.

(5) ينظر الدَّلالة والكلام، لمحمد داود، ص: 497.

(6) ينظر المصدر السابق، ص: 477.

(7) ينظر الدَّلالة والكلام، لمحمد داود، ص: 223.

(8) الأرامل والولي الأخير، مصدر سابق، ص: 47.

(9) ينظر المصدر السابق، ص: 11، 132.

(10) ينظر المصدر نفسه، ص: 287.

واستعمال اليد في الضرب[1]، وقوله "عندما فرك يديه بحركة عصبية"[2]، كُلَّ هذه سياقات حركيَّة تصاحب الحدث اللُّغوي من خلال استعمال حركة [اليد].

وقد استعمل الإشارة في العديد من المقاطع فيْ الرواية: فجاء في المقطع العاشر كما يلي: "وبإشارة من يدهِ السحرية اختفت السِّياط، وعاد كلُّ شيء إلى حالته الطبيعيَّة..."[3]، كذلك امتزاج العنصر الصوتي مع العنصر الحركي.. "وبعد أن قَبَّلَ يَدَهُ هَمَس في أذنه بأَنَّ الزواج لرجل مثلهُ نعمة، وبركة..."[4].

فمن خلال هذه النصوص نلاحظ براعة الكاتب في توظيف السِّياق الحركي الإيمائي داخل النصّ.

ومن عناصر السِّياق الإيمائي الضحك، البكاء، الزغاريد، كل هذه العناصر من الأصوات المعبرة، والتي تحدث حركات في الجسم[5].

وفي المقطع الثالث: "... وهكذا بإشارة من أصبعه استدعى إليه قائد الحرس الَّذي كان يقف في أوّل صَفٍ من رؤساء الجند الكبار، وما إن دَنَا منْهُ حتى استعلم لماذا يصفق الحضور، ثُمَّ يغرقون في الضحك بلا سبب مفهوم، وقد أجابه الرجل ببساطة بأنه هو الذي ضحك أوَّلاً..."[6].

فالضحك في هذا النصّ أعقبه نوع من الغموض، والتعجب، أما لتصفيق، فهي دلالة حسية، "فالصفق هو الضرب الذي يسمع له صوت"[7].

وفي المقطع الثاني نجد [لفظ البكاء] "هزت رأسها بالرفض عندما أقبلت عليها أمها مبتهجة، هزت رأسها عدة مرات، وبكت، ولم تكف عن البكاء حتَّى أبكت أمها معها..."[8].

---

(1) ينظر الأرامل والولي الأخير، رواية خليفة حسين مصطفى، ص: 61.

(2) المصدر السابق، ص: 149، وينظر، ص: 290-300-302.

(3) المصدر نفسه، ص: 117. وينظر، ص: 135.

(4) المصدر نفسه، ص: 131.

(5) ينظر علم اللغة، غازي مختار، ص: 51.

(6) الأرامل والولي الأخير، رواية خليفة حسين مصطفى، ص: 46-47، وينظر، ص: 51-69-112-137.

(7) الدلالة والكلام، لمحمد داود، ص: 481.

(8) الأرامل والولي الأخير، رواية خليفة حسين مصطفى، ص: 32، وينظر، ص: 28-48-68-83-294.

وفي المقطع العاشر يصف [الزغاريد] "هاجمته عاصفة من الزغاريد تعـرف فيها على صوت قدرية الزاعق..."[1]، فعلامة البكاء دلالة على الحزن، والاسـتنكار كذلك وجود حركة في قولها [هزت رأسها]، فالهاء عائدة على عزيزة[2]، أمَّا عاصفة الزغاريد فهي لون من ألوان الفرح تلك كانت بعض الشواهد التي أبدع فيها [خليفـة حسين مصطفى] في توظيف السِّياق الحركي الإيمائي.

(1)الأرامل والولي الأخير، رواية خليفة حسين مصطفى، ص: 124، وينظر، ص: 44-93-117.

(2) ينظر معاني النحو، لفاضل السامرائي: 59/1.

سادساً- تظافر السِّياقات:

وجاءت تظافر من (ظَفَرَ)، فيقال أَظْفَرَ اللهُ بِـه، وتظـافر القـوم عليـه أي تظاهروا وتداخلوا بمعنى واحد"[1]، ظَفَرَ، يظفرُ: ظَفْراً، أي غَرَز فيه ظُفْـرُ بمعنـى تَداخَل"[2]، وفي ضوء ما تقدّم فإنَّ هذا التقسيم لعناصر السِّياق لم يكن، إلاَّ لِغَـرَضِ الدِّراسة والتحليل، حيث إنَّ هذه العناصر تعمل كوحدة واحدة في إطار السِّياق العام، فقد تلتقي كل هذه الأنماط السِّياقية في حدث لغوي، وقد يغيب إحداهما، أو أكثر فـي حدث لغوي آخر، وذلك وفقاً لما تقتضيه الدّلالة، ومن الأمثلة علـى التقائهـا معـاً متظافرة ما نجده في المقطع الثالث من الرواية.

"احتفالية تنصيب الوالي الجديد ما هي إلاَّ مقدِّمة حزينة لإجراءات المأتم الَّذي سوف تتخذ ترتيباته عمْا قريب، وفي نفس المكان، ولكن المدينة أفاقت فـي صـباح يوم الجمعة على الطلقات المعتادة للمدفع الحكومي، فبدأ الناس يتساءلون عن هويـة هذا الوالي، فمن المحتمل أن يمد اللهُ في عمرهِ، ثم يأمر حراسه، وجنـود بجلـدهم واحد واحداً، أعلن المنادى الرسمي عن بدء الاحتفالات بصوت ضخم، وتسليم الباشا الجديد -حفظه الله- داعياً الناس للفرح والابتهاج، بالزغاريد والأغاني..." [3].

ففي هذا النصّ تلتقي كل العناصر السِّياقيَّة التي ذكرناها؛ فالـسياق اللُّغـوي يتمثل في البناء العام للنصّ وفي عناصر:

أ - السِّياق اللُّغوي:

1- محددة، مثل: الأفعال، وهي: تَتَخِذُ، أَفَاقَتْ، يتساءلون يَمُدَّ- يأمر.

2- أدوات الربط: ثُمَّ، الواو، لكن، سوف.

3- الإحالة: هَذَا - الَّذي، الهاء ضمير متصل.

4- التكرار: واحداً واحداً.

---

(1) لسان العرب لابن منظور: 4645/4 مادة (ظَفَر).

(2) الرائد معجم لغوي، جبران مسعود: 985/2 [ظَفَرَ].

(3) الأرامل والولي الأخير، خليفة حسين مصطفى، ص43-44.

ب- السِّياق العاطفي:

وجود دلالة الفرح، والسرور في قولهِ [داعياً الناس للفرح، والابتهاج]

ج- سياق الحال (عناصر المقام):

1- المكان: هو المدينة.

2- الزمان: وقت الصباح، يوم الجمعة.

3- الموضوع: الاحتفال بتنصيب الوالي الجديد.

4- الأشخاص: أهالي المدينة، والجند، والوالي.

د- السِّياق الحركي الإيمائي:

1- صوت المنادي الضخم.

2- الزغاريد

ذ- السِّياق الثَّقافي الاجتماعي:

1- الاحتفال يعتبر ثقافة تختلف من مجتمع لآخر.

2- استعمال ألفاظ [حفظه الله- يمدَّ الله في عمرهِ]، ويسمى هذا التظافر بالكلي.

أمَّا التظافر الجزئي بين عناصر السِّياق، فمن أمثلته: "تَبِعَهُ الرجلان أحدهما على يمينه، والآخر على شمالهِ إلى أن دَخَلا قاعة الاجتماعات، ولكنَّهُ ما لبث أن صرفهما من عنده بإشارة من يدهِ دون أن يستجيب لرغبة الطبيب لفحصهِ، والاطمئنان عليه ..."[1].

ويلاحظ أن هناك غياباً لسياق العاطفي، والسِّياق الثقافي، في حين يوجد السِّياق اللُّغوي، وسياق الحال، والسِّياق الحركي الإيمائي.

ومثال آخر: "علمت صباح اليوم أن الوالي يفكر جدياً في طرد قائد الحرس من وظيفته؛ لأنه لم يعد يحتمل تسلطه على الناس وسوء سمعته، وبعد أن خلع عمامتهُ استطرد قائلاً أنه سوف يأمر بقطع رأسه؛ لأن سيدنا الباشا حفظه الله لا يؤمن بالحلول الوسط..."[2].

---

(1) الأرامل والولي الأخير، رواية خليفة حسين مصطفى، ص: 132.

(2) المصدر السابق، ص: 233، وينظر، ص: 235.

ويكون تغيب الجوانب السِّياقية على مستوى تحليل المقاطع النصيَّة، غير أنَّنا إذا ما نظرنا إلى النُّصوص متكاملة، فإن السِّياق يكون متكاملاً بكل عناصره، إلاَّ أن بعضها يظهر، وبعضها يختفي، وبعضها يقوى، ويضعُف تبعاً لمقتضيات السرد، وهذا ما يحقق تظافر العناصر السِّياقية في دلالة النصّ الروائي، وهي تعضّد أصولِه البنائية، ومقاصده الأسلوبية على أكمل وجه.

الفصل الثالث

مظاهر السِّياق وأثرها في الرواية

- المبحث الأول – الحذف والتنغيم.
- المبحث الثاني – التكرار والتقديم.
- المبحث الثالث – الإحالة والغموض.

أولاً- الحـــذف:

أ- الحذف لغة واصطلاحاً.

الحذف من وسائل الاتساق، وهو فرع من الاختيار النحوي الَّذي تـــسمح بـــه قواعد اللُّغة، ويلجَأ إليه المتكلِّم عدولاً عن الذِّكر بمسوِّغ لغرض دلالي[1].

الحذف لغةً: هو الإسقاط، ذكر الجوهري: "حذف الشيء إسقاطه"[2].

الحذف اصطلاحاً: هو "حذف زيادات الألفاظ"[3].

والحذف لا يكون "إلاَّ فيما زاد معناهُ على لفظه"[4].

واستعمل النحاةُ، والبلاغيُّون مصطلحاً آخر مرادفاً للحذف، هو "الإضـــمار، فهو في اللُّغة الإخفاء"[5].

وعرفه ابن هشام[6] (761)، فقال: الحذف الَّذي يلزم النحوي النظر فيه هـــو ما اقتضتهُ الصِّناعة النَّحوية، وذلك بأنْ يحد خبراً بدون مبتدأ، أو معمولاً بدون عامل نحو قولِه تعالى: ﴿لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[7]، ونحو قوله: ﴿قَالُوا خَيْراً﴾[8].

وكذلك قولهم يحذف الفاعل لعظمتِه، وحقارة المفعول، أو بالعكس، أو للجهل بِه، أو الخوف منه، أو عليه[9].

ويرى الدكتور محمد حسنين أبو موسى أنَّ الحذف هو "أن تسقط من الألفـــاظ ما يدُّل على غيرِه، أو ما يرشد إليه سياق الكلام، أو دلالة الحال"[10].

---

(1) ينظر نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقيَّة، لعثمان أبو زنيد، ص:284.

(2) صحاح اللُّغة وتاج العربية، لنجوهري: 38/4 مادة (ح ذ ف)، وينظر القاموس المحيط، للفيـــروز آبـــادي، ص: 748 مادة [ح ذ ف].

(3) المثل السائر، لابن الأثير: 255/2.

(4) المصدر السابق: 264/2.

(5) لسان العرب، لابن منظور: مادة (ض م ر).

(6) هو عبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاري، المعروف بابن هشام، نحوي، مشارك فـــي المعـــاني والبيان والعروض، والفقه وغيرها أقام بمكة ومن تصانيفه، قطر الندى وبل الصدى، ومغني اللبيـــب عـــن كتب الأعاريب، ينظر: معجم المؤلفين لرضا كحالة: 163/6.

(7) العنكبوت: 61/29.

(8) النحل: 30/16.

(9) ينظر مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري: 748/2.

(10) دلالات التركيب، لمحمد حسنين أبو موسى، ص: 123.

فالحذف إذا هو إسقاط، أو ترك بعض أجزاء التركيب اللُّغوي بدلالة الحال، أو المقال، ويمكن للمتكلم أن يؤدي بالحذف أوضح الدَّلالات، وأوسعها، كما أنَّ له غاية جماليّة إيقاعيَّة تأثيريَّة تساهم في إظهار النصّ بمظهر متناسق[1]، وهذا ما أكدَّهُ عبد القاهر الجرجاني بقوله: "فإنَّك ترى به ترك الذِّكر أفصح من الذِّكر، والصَّمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تُبن"[2].

ب- أنواع الحذف:

وقد حاول القدماء تحديد أنواع الحذف، يقول ابن جني: "قد حذفت العرب الجملة، والمفرد، والحروف، وليس شيء من ذلك إلاَّ عن دليل عليه، وإلاَّ كان فيه ضَرْبٌ من تكليف علم الغيب في معرفته"[3].

وإنَّ الحذف في ظل وجود الدَّليل، والقرنية الدّالة عليه يتلاءم مع أهم خصائص العربيَّة وهي، الإيجاز، فلا يكون الحذف إلاَّ مع وجود ما يدُّل عليه، وإلاَّ كان غموضاً لا فائدة منه[4].

وقد تناول القدماء حذف اللَّفظ فيما يخصُّ أحوال "الفعل، والفاعل، ونائب الفاعل، والمبتدأ، والخبر، "وقد يظهر المحذوف بالإعراب كقولنا: [أهلاً وسهلاً]، فإنَّ نصب الأهلَ، والسَّهلَ يدُّل على ناصب محذوف، وليس لهذا من الحسن ما للذي لا يظهر إلاَّ بالإعراب، وإنَّمَا يظهر بالنظر إلى تمام المعنى أي: أنَّه يحلّ الأمور ويعقدها، والَّذي يظهر بالإعراب يقع في المفردات من المحذوفات كثيراً، والَّذي لا يظهر بالإعراب يقع في الجمل من المحذوفات كثيراً"[5].

فالَّذي يظهر بالإعراب هو حذف المفردات، كالمبتدأ، والخبر والفاعل، والمفعول بِهِ، والظرف، والصِّفة، والحال، وغيرها من المتعلِّقات[6].

---

(1) ينظر، نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية، لعثمان أبو زنيد، ص:285.

(2) دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني، ص:146.

(3) الخصائص، لابن جني: 362/2.

(4) ينظر السبك في العربيَّة المعاصرة، لمحمد سالم أبو عفرة، ص:120.

(5) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير: 77/2.

(6) ينظر الخصائص، لابن جني: 362/2، وما بعدها.

والَّذي يظهر بالنَّظر إلى تمام المعنى هو حذف الجمل، وحذف الجملة لا يكون إلاَّ في إطار يتكون من جملتين على الأقل، أو جملة كبرى أي أنَّهُ يخرج عن حيِّز الجملة الصغرى على الأقل، وفي هذا إشارة إلىٰ اهتمام ابن جني بما هو أوسع من حيِّز الجملة الصغرى إلى دائرة النصّ[1].

وقد حذفت الجملة في النصوص اعتماداً على السِّياق، لغرض الإيجاز، نحو قوله تعالى في قصة سليمان، والهدهد، وقد أرسله بكتاب إلى بلقيس ملكة سبأ قال تعالى: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الكَاذِبِينَ۞ اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ۞ قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾[2].

فالمحذوف هنا أكثر من جملة، ذكر القرطبي: قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلأُ﴾ في الكلام حذف، والمعنى: فذهب فألقاهُ إليهم فسمعها، وهي تقول: ﴿يَا أَيُّهَا المَلأُ﴾[3]، ومن صور حذف الجمل حذف أجوبة الشرط، والقسم يقول الرُّماني (384هـ)[4] "ومن الإيجاز حذف الأجوبة، وهو أبلغ من الذكر، وما جاء منه في القرآن كثير، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ المَوْتَى﴾[5]، كأنَّهُ قيل: لكان هذا القرآن ومنه ﴿وَسِيقَ الَذينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾[6].

كَأَنَّهُ قيل: حصلوا على النَّعيم المقيم الَّذي لا يشعر بِهِ التَّنغيض، وإنَّما صار الحذف في مثل هذا أبلغُ من الذِّكر؛ لأَنَّ النَّفس تذهب فيه كلَّ مذهب، ولو ذكر الجواب لقصر على الوجه الَّذي تضمّنه البيان، فحذف الجواب في قولك: لو رأيت

---

(1) ينظر السَّبك في العربيَّة المعاصرة، لمحمد سالم أبو عقرة، ص:118-119.

(2) النَّمل: 27/27-28-29.

(3) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: 457/7.

(4) هو علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الروماني، باحث معتزلي، مفسر من كبار النحاة، أصله من سامراء له نحو مئة مصنف، "الأكوان" و"المعلوم والمجهول"، و"شرح أصول ابن السراج" و"شرح سيبويه"، ومعاني الحروف، ينظر الأعلام، الزركلي: 317/4.

(5) الرعد: 31/13.

(6) الزمر: 73/39.

عليّاً بين الصَّفين، أبلغ من الذِّكر لِمَا بيَّناه"[1]، كذلك تحذف الجملة المعطوفة لظهور معناها يقول الزمخشري في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً﴾[2]، فإن قلت: فضرب فانبحست؟ قلت: لعدم الإلباس، وليجعل الانبجاس مسبّباً عن الإيحاء بضرب الحجر للدلالة على أنَّ الموحي إليه لم يتوقف عن اتباع الأمر، وأنَّهُ من انتفاء الشّك عَنْهُ بحيث لا حاجة إلى الإفصاح به[3].

وسنتعرض بالتحليل لصور من الحذف في الرواية، والَّتي تمثِّل مظهراً سياقيّاً مؤثراً في دلالة النصّ، بحيث سنتناول الحذف على مستويين: مستوى اللَّفظ، ومستوى التركيب.

ج- صور من الحذف في الرواية:

1- حذف اللَّفظ:

ومن صور هذا الحذف حذف المبتدأ، حيث يحذف المبتدأ إذا دل عليه دليل جوزاً أو وجوباً مثل قولك: كيف زيد، التقدير هو صحيح[4].

ففي المقطع الأول يصور لنا حذف المبتدأ داخل الرواية: "... تقدَّم قائد الحرس بهدوء، وبعد أن تفحصه للحظاتٍ من فوق إلى تحت بعينيه الدَّمويتين سأله بلهجة صارمة:

- هل أنت المدعو يوسف القهوجي؟
- في الخدمة يا سيدي... قهوة أم أنَّك تفضل الشاي؟
- لم تعجبه الإجابة فقال لَهُ:
- أجب بنعم، أو لا ، هل أنت المدعو يوسف القهوجي؟
- أجاب نعـــم...."[5].

---

(1) النكت في إعجاز القرآن، للروماني، ص:77.

(2) الأعراف: 160/7.

(3) الكشاف، الزمخشري: 168/2.

(4) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ت: محيي الدين عبد الحميد: 246/1.

(5) الأرامل والولي الأخير، لخليفة حسين مصطفى، ص:20.

نلاحظ هذا النصّ حذف المبتدأ، والَّذي أفصح عنه سياق العبارة، وعلامة حذف النصّ [...] داخل النصّ الروائي، وتقديرهُ: (الباشا)، أو (القائد)، ونظراً لوجود ما يدُّل عليه، ولاستثقال ذكرهِ، فقد حُذِف، فكانت دلالة القول أبلغ أثراً.

وفي مقطع آخر يصور لنا مشهداً في نصّ حواري بين قائد الحرس، والأميرة جواهر على لسانها:

- "أنت، أنت، القاتل الحقيقي!!
- مجنونة، مجنونة، مجنونة....

بهذا صرخ قائد الحرس، وغادر جناح الأرامل..."[1]

ويمكن تقديرهُ بالإحالة على قول: (قائد الحرس) باسم الإشارة [هذه]، وقد كان الحذف في ضوء السِّياق اللُّغوي، وسياق الموقف الذين سمحَا بهذا الحذف لضيق المقام، والاستعجال على التعجب.

وقد يحذف الخبر، ففي المقطع الأول من الرواية نقف على هذا الحوار بين يوسف القهوجي، ومسعود الشحاذ.

فقال: "يوسف في محاولة لانتشال الشحاذ من صمتِه:

- لعلك تريد أن تصبح مثل قارون، يجب أن تحمد الله على نعمتِه يا مسعود؟
- لا قارون، ولا هارون يا أخي يوسف!!
- إذاً ما الأمر؟
- كان اللهُ في عونك يا أخي يوسف..."[2].

ففي هذا النصّ حُذف الخبر، والَّذي دَلَّ عليه الاستفهام، والتعجب الموجود داخل النصّ[3]، والَّذي يفهم من السِّياق، وقد حدّدَهُ سياق الموقف هذا الحذف في قوله [مالأمر] مبتدأ، وتقدير الخبر من خلال السِّياق مثلاً، فيقول: [رأيتُكَ كذا وكذا...] إذاً الخبر جملة فعلية، وهي الَّتي حددت دلالة النصّ في ضوء سياق الموقف الَّذي اكتملت عناصرهُ.

---

(1) الأرامل والولي الأخير، لخليفة حسين مصطفى، ص:271.

(2) المصدر السابق، ص: 17-18، وينظر: 14-15-59.

(3) ينظر السبك في العربية المعاصرة، لمحمد أبو عفرة، ص:119.

ومن أنواع حذف اللَّفظ، حذف المفعول بِهِ، حيث "يجوز حذف المفعول بِهِ لغرض: إمَّا لفظي كتناسب الفواصل في نحو قولِهِ تعالى: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾[1]، وإمَّا معنوي كاحتقارِهِ في نحو، قولِهِ تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ﴾[2] أي الكافرين"[3].

ذكر عبد القاهر الجرجاني: "فاعلم أنَّ أغراض الناس تختلف في ذكر الأفعال المتعدية، فهم يذكرونها تارة، ومرادَهم أن يقتصروا على إثبات المعاني الَّتي اشتقت منها للفاعلين من غير أن يتعرضوا لذكر المفعولين...، ومثال ذلك قول الناس: فلان يحلّ، ويعقد، ويأمر، وينهي، ويضر، وينفع، وكقولهم: هو يعطي، ويجزل، ويقري، ويضيف المعنى في جميع ذلك على إثبات المعنى في نفسه للشيء، وعلى الإطلاق، وعلى الجملة من غير أن يتعرض لحديث المفعول"[4].

ومن أمثلتِهِ في الرواية في المقطع الثالث:

"... أنَّهُ أول تهديد يتعرض له، وأول إشارة على أنَّهُ قد يطير في الهواء"[5].

"... ليلحق بأسلافِهِ المغدورين إذا لم يتنبه لنفسه..."[6].

فقد حذف المفعول به في جملة (يطير في الهواء) وتقديرهُ [الفرح، أو الحياة]، وذلك لدلالة السِّياق اللُّغوي عليه، فكان القول مع الحذف أفصح، والقصد أبْين، والجملة الثانية [ليلحق بأسلافه المغدورين...]، وقد حذف المفعول بِهِ لدلالة السِّياق عليه في قولِهِ: [إذا لم ينتبه لنفسه] إذا المحذوف هو [الموت]، فالسِّياق اللُّغوي الَّذي يحدد هاتين الدلالتين هي المصاحبة المعجميَّة بين [الحياة، والموت].

فهذه الألفاظ قد شكلت البنيَّة النظميَّة لهذا النص[7].

---

(1) الضحى: 3/93.

(2) المجادلة: 21/58.

(3) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام الأنصاري: 184/2.

(4) دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني، ص: 136.

(5) الأرامل والولي الأخير، لخليفة حسين مصطفى، ص: 46، وينظر، ص: 18-19.

(6) المصدر السابق، ص: 46.

(7) ينظر نحو النص، لعثمان أبو زنيد، ص: 262.

ومن هذا النوع أيضاً حذف الفعل، "ويكثر في جواب الاستفهام، نحو قولـه: (لَيقُولُنَّ الله) أي: ليقولنَّ خلقهن الله"[1]، ونجد في الرواية حذف الفعل عندما يخاطب يوسف القهوجي نفسه فيتضح ذلك من خلال السِّياق.

"... تلَوَّنَ وجه يوسف عندما دخل قائد الحرس للمقهى بخطوات النَّحر الَّتـي يعرفها، وكيف أجاب بلسان من ورق على سؤال قائد الحرس فيمـا إذا كـان هـو يوسف، أم لا، ورأى الحُراس يُجرْجروُنه بعنف إلى مصيرهِ المجهول، وبعد... هـل ضاقت الدُّنيا برؤساء الجند، فلم يجدوا غير قهوجي بائس لكي ينصبوه واليـاً علـى البلاد..."[2].

حذف الفعل، وفاعله لدلالة السِّياق عليهما بعد قول: [وبعد...]، فالسِّياق ينبـئُ بالمحذوف ودلالتهِ، وبفرض على المتكلِّم حذف بعض الأجزاء مـن كلامـه تفاديـاً للرَّكاكة، والاستثقال مع وجود ما يدُّل عليه، والتقدير: [... وبعد يُفَكِّرُ يُوسُـف هـل ضاقت بهِ الدُّنيا...] الفعل + الفاعل.

2- حذف التركيب:

ونقصد بحذف التركيب حذف جزء من النصّ قد يكون جملة، أو أكثر قـصد الإيجار، وهو مقصد بلاغي أراد به القائل إثارة المتلقي، وجعله يشارك في عمليـة الإنتاج الخطابي، وتكثيف الدَّلالة، أو لوجود ما يدُّل على الحذف في السِّياق اللُّغوي، أو السِّياق الثقافي، أو سياق الحال لفتح الدَّلالة على آفاق أرحـب، ولمنحهـا قـوة حيويَّة[3].

وقد أشار المتقدِّمون إلى هذا النوع من الحذف، فهذا ابن هشام يـشير إلـى أطّراد حذف الجمل، كجملة القسم، وجوابه، وجملة الشرط، وجوابه، وكذلك حـذف الكلام بجملتهِ، ويمثِّل له بحذف الكلام بعد حذف الجواب كأن تجيب بـ(نعم) عمَّـن

---

(1) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري: 532/2.

(2) الأرامل الولي الأخير، لخليفة حسين مصطفى، ص: 25، وينظر، ص: 55-160.

(3) ينظر نحو النصّ، لعثمان أبو زنيد، ص: 285.

سأل: أقام زيدٌ؟، وأشار في ذلك إلى مواضع عدّة[1]، كما أشار إلى حذف أكثر من جملة في الكلام، ومثّل لذلكَ بقوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ المَوْتَى﴾[2].

إنَّ التقدير: فضربوهُ فحيي فقلنا: كذلكَ يحي الله"[3]، ويعدُّ حذف التركيب من أكثر مظاهر السِّياق وضوحاً، وحضوراً في الرواية:

وفي المقطع الثالث يصور لنا دخول إحدى الأرامل إلى الوالي، قال للحاجب:

- دعها تدخل...
- لكنَّ الحاجب بدا كما لو أنَّهُ لم يسمع الأمر، أو أنَّهُ لا يعبأُ بِهِ، فظل مجهداً في محاولة للسيطرة على المرأة فيما هي تضربهُ.
- ولكن يا سيدي الباشا ليس هذا وقته!![4].

فهنا حذف مؤقت في [دعها تدخل...]

حيث أحجم الوالي عن استكمال القول لشعورهِ بالحرج، والاحتشام، وما شابه ذلك، وقد كان لوصف السِّياق الحركي دورٌ متميِّز في توضيح الدَّلالة، وربَّمَا يكون تقدير المحذوف [دعها تدخل لتقول ما عندها]، والَّذي يزيد وضوحاً ظهور السِّياق اللُّغوي من أدوات ربطٍ، واستدراك داخل النص.

وفي نفس المقطع السِّياق يسمح بهذا الإحجام، وينبئُ عن دلالتِهِ، ويخرجه من دائرة التعميَّة، ونجدُ حذفاً أخر من نفس النَّوع يحدِّدهُ السِّياق الثَّقافي الاجتماعي.

- عندما صرخَ الوالي على الحاجب وقاله لَهُ:
- دعها تدخل يا حيوان...

وعلى إثر هذه الصرخة المدوية توقف الحاجب مبهور الأنفاس، وأفلتت المرأة، ودخلت القاعة.

---

(1) ينظر مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري: 2/645-649.

(2) البقرة: 73/02.

(3) ينظر مغني اللبيب، لابن هشام الأنصاري: 649/2.

(4) الأرامل والولي الأخير، لخليفة حسين مصطفى، ص: 52، وينظر، ص: 30-36-75-131-357.

- صباح الخير يا سيِّدي الباشا ...."[1].

فالسِّياق النصّي العام يزوِّد المتلقي بماهية المحذوف ودلالته؛ لأن "أي جملة غير الجملة الأولى في مقطع خطابي تتأثر في فهمنا لها بضرورة النصّ السابق لها"[2].

فهذا الحذف قصد به الحاجب إخفاء الأمر على الوالي إلاَّ أنَّ دلالة الحذف عند القارئ كونه يشير إلى عظمة المحذوف، وهو الخروج إلى عالم السلطة.

وسياق الحال، والسِّياق الثَّقافي من خلال العبارات الثقافيَّة زادت النصّ جمالاً، وإثارةً.

ومن صور الحذف البارزة في الرواية، العبارات، أو الجمل الموجزة في بدايات مقاطع الرواية، والَّتي تُمثِّل ملخّصات موجزة جداً للحكي في المقاطع، ومن أمثلة ذلك:

نقرأ في صدر المقطع العاشر هذه العبارة: "الوقت يمضي، وهو لم يستقر بعد على رأي واضح في مسألة خروجه من القلعة"[3].

وقد حذف في هذه العبارة كل ما وردَ في المقطع من استفهامات لماذا يخرج؟ ما سر خروجه؟، ثُمَّ يقوم بتفصيل ذلكَ في مقطع أخر ليُكَوِّن مع نهايته صورة كاملة للمحذوف.

ومن هذه الحذوف ما نقرأ في مقاطع أخرى قوله: "لم يستطع يوسف القهوجي التوصل إلى تفسير مقنع لما حدث..."[4].

"لقد تقرر بعد الحادثة أن يحضر الباشا القهوجي صلاة الجمعة..."[5].

"عندئذ بدأ يوسف القهوجي، وكأنَّهُ يفتح عينه على كارثة..."[6].

---

(1) الأرامل والولي الأخير، رواية لخليفة حسين مصطفى، ص: 53.

(2) تحليل الخطاب، لبراون، ص: 57.

(3) الأرامل والولي الأخير، لخليفة حسين مصطفى، ص: 111.

(4) المصدر السابق، ص: 127 رواية.

(5) المصدر نفسه، ص: 165.

(6) المصدر نفسه، ص: 225.

هذه العبارات الموجزة، والّتي تحتوي على حذوف تتضمنُّها المقاطع، ويسمح بها السِّياق تؤدي دلالات الإثارة، والتشويق في نفس المتلقي، وتجعله متلهفاً لمعرفة الأحداث ما بين الألفاظ، فتحقق سمة العمل الروائي، وهو التأثير في المتلقي، وشدّه إليه، وهذا ممَّا أبدع فيه [خليفة حسين مصطفى]، ومن صور الحذف في الرواية حذف جواب [لو]، فقد ذكر الزمخشري في تفسير قولهِ تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ العَذَابَ أَنَّ القُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾[1].

فقال: "أي لو يعلم هؤلاء الذين ارتبكوا الظلم العظيم بِشِرْكِهم أنَّ القدرة كلُّها لله على كل شيء من العقاب، والثَّواب دون أندادهم، ويعملون شدَّة عقابِهِ للظالمين إذا عاينوا العذاب يوم القيامة لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم، والحسرة، ووقوع العلم بظلمهم، وضلالهم، فحذف الجواب.

كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾ [2]، وقولهم لو رأيت فلاناً والسِّياط تأخذُهُ"[3].

ومثال ذلك في الرواية في المقطع التاسع عشر: "تود لو تنتهي منه في وجبة واحدة..."[4].

وقد أعطى الكاتب بهذا الحذف للمتلقي حرية استنتاج الجواب في ضوء السِّياق لتكون الدّلالة من خلال الحذف، والاستنتاج أقوى أثراً، وألطف إبلاغاً.

ومن حذف الجمل ما نجده في المقطع السادس والعشرين حيث نقرأ على لسان الشيخ المسعودي:

- "يوسف القهوجي هذا لا يختلف في شيء عن الباشاوات الأتراك، ليس له من عمل سوى دفع الضرائب بالقوة حتَّى إذ كُنَّا نقطعها من لحم بطوننا.

---

(1) البقرة: 165/02.

(2) الأنعام: 27/06.

(3) الكشاف، للزمخشري، ص: 211-212.

(4) الأرامل والولي الأخير، رواية خليفة حسين مصطفى، ص: 227.

- كان النظام الضرائبي في ذلك الوقت يتسم بالقسوة، والعشوائية، وسياسة الأمـر، فالواقع يفرض عليهم إمَّا الدَّفع، وإمَّا....؟ وكان الَّذين يجمعون الضرائب غالبـاً ما يجوبون القرى برفقة عدد من الجنود"[1].

من خلال السِّياق نلاحظ أنَّ هناك حذفاً أشارت إليهِ النقاط في أخـر الكـلام، ومن الواضح أنَّ المحذوف جملة، أو جمل تفيد هلاك الأهالي نتيجة دفع الـضرائب، ونلاحظ هنا رغبة الرَّاوي في زيادة الإثارة، والتشويق لدى المتلقي، وكان منه هـذا الحذف، والَّذي لم يدم طويلاً، فقد صرَّح به الشيخ فـي قولـه: [إنَّ هـؤلاء الـولاة يوحدهم الطمع، والمزاح الدَّموي...][2].

ومن صور حذف التركيب، أو الحذف النصي أيضاً الحـذف فـي الجمـل الاستفهاميّة خلال السِّياقات الحوارية، ومن ذلكَ ما نجدهُ في المقطع الثالث عشر في هذا الجزء من الحوار بين [الوالي، وقائد الحرس، وإحدى الأرامل].

- لقد حان الوقت للإفراج عن ذلك الشحاذ المسكين.
- هزَّ قائد الحرس رأسه قائلاً:
- لقد جُنَّ يا سيدي الباشا!!
- ماذا تقول؟
- ثُمَّ تقوم بمحاورته إحدى الأرامل، فتقول له:
- أظن حان الوقت، لأن تسهر مع ضيوفك في مكان أخر ما دامُـوا لـم يتعلمـوا أصول اللِّياقة!
- أي ضيوف؟!!"[3].

نجد في الاستفهامات هذه حذف اقتضاهُ سياق الموقف الَّذي يتميَّـز بـالتوتر، والاضطراب، والخوف على مصير الشحاذ، وهذا الموقف يفرض الاختـصار فـي الكلام، وذلك إنَّمَا يكون بحذف ما لا يخل، ولا ينقص من البلاغـة حيـث يجعـل

---

(1) الأرامل والولي الأخير، لخليفة حسين مصطفى، ص: 308، وينظر، ص: 92-226-232.

(2) المصدر السابق، ص308، وينظر، ص: 160.

(3) المصدر نفسه، ص: 162-164.

الدَّلالات تتوالى متسارعة، ومتناسبة مع الموقف، ويسهم ذلك السِّياق الصوتي المتمثل في التنغيم الذي تشير إليه علامة الاستفهام مع غياب الأداة[1] في قولهِ: "... لَقَدْ جُنَّ، ولا أظنه سوف يعيش طويلاً؟!"[2].

وفي المقطع التاسع، يحذر يوسف القهوجي مسعود الشحاذ، فقال: "وأنا لِعِلْمِكَ يا مسعود لم أرث هذه الولاية عن أبي، أو جدي، وبذلك فإنَّهُ لا يصح أبداً أن نتصرف بشؤونها، ونهدر أموالها، وكأنَّها تركة بلا صاحب، هل فهمت ما أعنيه؟[3].

القهوجي يحذر مسعود الشحاذ وكأنَّهُ يقول لَهُ [إياك وهذه الولاية].

يوجد حذف بعد الاستفهام في عبارة [هل فهمت ما أعنيه]، وكان لحذف أداة التحذير إياك أثر قوي في استخراج دلالة التحذير، وتوكيدها داخل النص الروائي.

ثانياً- التنغيم:

أ- التنغيم لغةً واصطلاحاً:

يعدُّ التنغيم أحد مظاهر السِّياق على مستوى الحدث اللُّغوي المنطوق الَّذي يترجم على هيئة علامات، ووصف في النصّ المكتوب، فما التنغيم؟

التنغيم لغةً: وذكر صاحب العين "نَغَمَ: باب الغين، والنون والميم معهُمَا النَّغمة: جرس الكلام، وحس الصوت من القراءة، ونحوها، تقول: ما نَغَمَ بكلمة"[4].

ويزيد عليه صاحب اللِّسان بقوله: "والنَّغم الكلامي الخفي... وسكت فلان ما نغم بحرف"[5].

وذكر الجوهري: هو تحسين الصوت، وفلان حسن النغمة، إذ كان حسن الصوت في القراءة"[6].

---

(1) ينظر الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، وعلوم حقائق الإعجاز، ليحيى بن حمزة العلوي المتوفي (745هـ)، ص: 246-247.

(2) الأرامل والولي الأخير، لخليفة حسين مصطفى، ص: 162.

(3) المصدر السابق، ص: 104.

(4) كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي: 426/4 مادة (ن.غ.م).

(5) لسان العرب لابن منظور: 635/8 مادة (ن.غ.م).

(6) تاج اللُّغة وصحاح العربيَّة، للجوهري: 439/5 مادة (ن.غ.م).

التنغيم اصطلاحاً: "هو المصطلح الصَّوتي الدَّال على الارتفاع، والانخفاض في درجة الجهر في الكلام"[1].

وهناك من يصفه علاوة على ذلك بأنَّهُ "موسيقى الكلام"[2]، وقد ذكرهُ ماريوباي: "هو عبارة عن تتابع النغمات الموسيقيَّة، أو الإيقاعات في حدث كلامي معين"[3]، وهناك من يسميه "النّبر السِّياقي، أو ارتكاز الجملة"[4].

وبواسطة التنغيم يمكن تأدية دلالات مختلفة للجملة الواحدة (فجملة هذا أستاذ جامعي) يمكن أن تؤدي دلالة الإخبار، أو دلالة الاستفهام، أو دلالة التعجب، وذلك وفقاً لدرجة التنغيم الَّتي تنطق بها[5].

وتشير علامات الترقيم في الكلام المكتوب إلى نوع الدلالة ثُمَّ إلى درجة التنغيم؛ "لأنَّ التنغيم في الكلام يقوم بوظيفة التَّرقيم في الكتابة، غير أنَّ التنغيم أوضح من الترقيم في الدَّلالة على المعنى الوظيفي للجملة ، وربَّمَا كان ذلك ما يستعمله التنغيم من نغمات أكثر ما يستعمله التَّرقيم من علامات كالنقطة، والفاصلة، وعلامة الاستفهام، وعلامة التعجب"[6].

ولا شكَ في أنَّ علامات الترقيم تقصر عن تمثيل التنغيم المصاحب للنطق؛ لأنَّ التنغيم الاستفهامي مثلاً قد تصحبه نبرة فزع، أو سرور، أو غير ذلك من النبرات العاطفية التي لا يمكن أن تمثلها علامة الاستفهام، إلاَّ أن يُدْعَم ذلك بوصف دقيق لتلك النبرات، وما توحي به من عواطف وأحاسيس[7].

والتنغيم باعتباره مظهراً سياقيّاً يمثِّل عنصراً استبداليّاً في النصّ يقوم عوض عن الحذف، أو الاختصار في الجملة، بل يعمل مع الحذف على تقوية الدّلالة،

---

(1) علم اللُّغة مقدِّمة للقارئ العربي، لمحمود السعران، ص: 159.

(2) علم اللُّغة (الأصوات)، لكمال بشر، ص: 210.

(3) أسس علم اللُّغة، لماريوباي، ت: لأحمد مختار، ص: 93.

(4) مقدِّمة لدراسة علم اللغة، لحلمي خليل، ص: 82.

(5) ينظر المصدر السابق، ص: 93.

(6) اللُّغة العربية معناها ومبناها، لتمام حسان، ص: 226-227.

(7) ينظر العربيَّة وعلم اللغة الحديث، لمحمد محمد داود، ص: 133-134.

وتكثيفها، حيث إنَّ "للنغمة دلالة وظيفيَّة على معاني الجمل تتضح في صلاحيّة الجمل التأثريَّة المختصرة نحو: لا، ونعَم!، يا سلام!، اللهّ...إلخ؛ لأن تُقال بنغمات متعددة، ويتغير معناها النَّحوي، والدَّلالي مع كل نغمة بين الاستفهام، والتوكيد، والإثبات لمعاني مثل: الحزن، والفرح، والشَّك، والتأنيب، والاعتراض، والتحقير...الخ[1].

وقد كان [خليفة حسين مصطفى] بارعاً في وصف عنصر التنغيم داخل الرواية في الكثير من المواقف الحوارية.

ب- التنغيم عند القدماء:

لقد تنبه أعلام التراث لظاهرة التنغيم، فأشاروا إليها في مصنَّفاتهم، بيد أنَّهم لم يخُصُّوها بأبواب مستقلة، ولم يتناولوها بالدِّراسة التطبيقيَّة الموسّعة، فهذا (سيبويه) يبيِّن أثر التنغيم في دلالة الجملة غير أنَّهُ لم يُشِر إلى التنغيم بالتحديد، فيقول: "هو عبد الله، وأنا عبد الله، فاخراً، أو موعداً، أي اعرفني بما كنت تعرف، وبما كان بلغك غني...، وتقول إنِّي عبد الله مصغّراً نفسه لربّه، ثُمَّ تفسّر حال العبيد، فتقول: آكلاً كما نأكل العبيد"[2]، فقد أوضح هنا بجلاء أثر التنغيم في الدّلالة، فهو يرى أن في جملة (أنا عبد الله) أو (هو عبد الله) يمكن تأدية دلالة الفخر، أو دلالة الوعيد، والتهديد تبعاً للتنغيم.

وفي جملة (إنّي عبد الله) يمكن الإيحاء بدلالة التحقير، أو التصغير، أو التواضع باختلاف درجة التنغيم عند النطق.

وقد تعرّض ابن جنّي لظاهرة التنغيم في سياق حديثه عن حذف الصفة، ودلالة الحال عليها، وقد مثّل لذلك بجملة (كان والله رجلاً) في مقام المدح، والثناء "فتزيد في قوة اللَّفظ بـ(الله) هذه الكلمة، وتتمكّن في تمطيط اللام، وإطالة الصوت بها، وعليها أي رجلاً فاضِلاً، أو شجاعاً، أو كريماً، أو نحو ذلك"[3].

---

(1) اللغة العربية معناها ومبناها، لتمام حسّان، ص: 228.

(2) الكتاب، لسيبويه: 80/2.

(3) الخصائص، لابن جني: 371/2.

ومن علماء المسلمين الذين استوقفتهم ظاهرة التنغيم ولاحظوا أهميتها، ابن سينا حيث يقول: "ومن أحوال النغم: النبرات، وهي هيئات في النَّغم مدّيّة، وغير حرفيّة، يبتدأ بها تارةً، وتتخلل الكلام تارةً، وتعقبُ النهاية تارةً، وربَّمَا تكثر في الكلام، وربَّمَا تقل، ويكون فيها إشارات نحو الأغراض، وربَّمَا كانت مطلقة الإشباع، ولتعريف القطع، ولإمهال السامع ليتصوّر، ولتفخيم الكلام، وربَّمَا أعطيت هذه النبرات بالحدة، والثِّقل، هيئات تصير بها دلالة على أحوال أخرى من أحوال القائل إنَّهُ متحيِّز، أو غضبان، أو تصير به مستدرجة للمقول معه بتهديد، أو تضرع، أو غير ذلك، ورُبَّما صارت المعاني مختلفة باختلافها، مثل: إنَّ النبرة قد تجعل الخبر استفهاماً، والاستفهام تعجباً، وغير ذلك"[1].

ومن هذا الاقتباس يدرك ابن سينا دور التنغيم في الدلالة، وكذلك كشف الحالات النفسيَّة والعاطفية للمتكلِّم، فقد كان حديثه عن التنغيم الذي يشير إليه بالنبرات ليس حديثاً عابراً، بل كان حديث الدارس المتأمل المدقق لهذه النبرات، ومحدد مواقعها، وأغراضها، وآثارها الدلالية[2].

ج- صور من التنغيم في الرواية:

يمكن أن نلاحظ التنغيم في نصّ الرواية من خلال الجمل الاستفهامية، والجمل التأثريّة الَّتي تحمل دلالات نفسيّة، وعاطفية، كدلالات الحزن، والفرح، والتعجب، والحيرة، فقد وقع سعيد الأفغاني على نص في الخصائص يدل على أنَّ ابن جني كان يدرك تأثير التنغيم في تحوير العبارة الواحدة من معنى إلى معنى، أو من أسلوب إلى أسلوب آخر، كأن ينقل العبارة من التعجب إلى الاستفهام[3]، قال ابن جني: "ترد الجملة عن العرب، فيجعلها بعضهم تقريراً، وبعضهم استفهاماً حذفت أداته، وبعضهم استفهاماً أريد به الإنكار والتهكم، وما أظنه يريد بحال المتكلم إلا طريقة التنغيم وأسلوب الأداء"[4].

---

(1) الشفاء (الخطابة)، لابن سينا، ص: 198-199.

(2) ينظر المصدر السابق، ص: 199.

(3) ينظر في علم اللغة، لغازي مختار، ص: 155.

(4) في أصول النحو، لسعيد الأفغاني، ص: 93-94.

1- التنغيم الاستفهامي:

هو نوع من موسيقا الكلام، بواسطته يتسنى للدّارس أن يعرف كثيراً من خصائص الكلام، كالتفريق بين الجملة الاستفهامية، والجملة المثبتة[1]، والتنغيم الاستفهامي يعمل على منح الجملة دلالة استفهامية دون وجود أداة استفهام، وتكون درجة التنغيم فيها رابعة، وهي نسبي صاعد[2].

وصور التنغيم في الرواية عديدة، ومتنوعة نقرأ في هذا الجزء من الحوار بين [مسعود الشحاذ، ويوسف القهوجي].

- "... أراد يوسف انتشال الشحاذ من صمتهِ، فقال له:
- لعلك تريد أن تصبح مثل قارون يجب أن تحمد الله على نعمته يا مسعود؟
- لا قارون، ولا هارون يا أخي يوسف!!"[3].

فهذا النصّ منح التنغيم دلالة استفهامية دون وجود أداة الاستفهام، وقد أشارت علامة الاستفهام إلى ذلك التنغيم إضافة إلى وصف الشيء المراد التكلم عنه، وهو [المال]، فهنا دلالة الاستفهام أحيطت بدلالات الاستغراب، والعتاب، والتمني، وهي من الميزان السلبي الصاعد في الموازين التنغميَّة[4].

وفي الحوار نفسه نقرأ في هذا الجزء "عندئذ كرر الشحاذ قوله من أنَّ ما رآهُ في نومهِ قرب الفجر يندرج في باب السحر فقال له:

- إذاً ما لأمر؟
- كان الله في عونك يا أخي يوسف، لقد رأيتك رؤيا العين، وقد أصبحت والياً على البلاد لا دونك، ولا بعدك..."[5].

نجد هنا تنغيم استفهامي في قولهِ [إذا مالأمر]، وكما هو واضح حذف الخبر الذي أشار إليهِ التنغيم الذي يحمل دلالة الاستغراب.

---

(1) ينظر، المعجم المفصل في علوم اللغة، لمحمد التونجي، ولراجي الأحمر، ص: 207.

(2) ينظر، دراسة الصوت اللغوي، لأحمد مختار عمر، ص: 192.

(3) الأرامل والولي الأخير، لخليفة حسين مصطفى، ص: 17، وينظر: 40-41-42.

(4) ينظر مناهج البحث، لتمام حسّان، ص: 199.

(5) الأرامل والولي الأخير، ص: 18، وينظر: 50، 59-110 رواية.

وفي حوار آخر بين مسعود الشحاذ، وعزيزة خطيبة القهوجي، حيث ذهب لها، وطرق الباب:"فتحت عزيزة الباب، وقالت له برقة:

- هذا أنت يا مسعود، كيف حالك؟
- أنا كما ترين لا ينقضي شيء، وأنا بخير، والحمد لله وأنت؟
- أجابها مشفقاً على من وقع الخبر"[1].

نقف في هذا النصّ الأول حضرت فيه الأداة [كيف] لتأكيد الاستفهام، وهو من الميزان الإيجابي الهابط[2].

أما النصّ الثاني فلا توجد أداة استفهام مع أن دلالته حاضرة، وما زال هذا الحوار مستمراً على لسان الشحاذ عندما قال لها بصوت متهدج:

"عظَّم الله أجرك يا عزيزة، يوسف كان أعز الناس على قلبي!!

- لقد قبض عليه قائد الحرس بنفسه كنت في المقهى عندما جاء لأخذِه.
- إذاً فهو لم يُقتل؟
- قالت ذلك بما يشبه الاستغاثة بعد أن استردت وعيها، ولكنَّ مسعود لم يدعها مسكونة بهذا لأكثر من ثانية عندما أضاف:
- عِلْمُ ذَلِكَ عِنْدَ اللهِ...
- ثُمَّ قال بصوته الباكي.

ولكن هل تظنين يا عزيزة بأنَّهم ذهبوا لاستضافته في القلعة، تأكدي من أنَّهُ لا أحد ينجو بجلدهِ عندما يتعلق الأمر بمسألة كهذهِ.

- أي مسألة؟!
- قد يكون في الأمر مكيدة؟![3].

وفي مقاطع أخرى يقول الكاتب عدة جمل استفهامية بدون أداة حَاضِرٌ فيها التنغيم.

---

(1) الأرامل والولي الأخير، لخليفة حسين مصطفى، ص: 26.

(2) ينظر مناهج البحث، لتمام حسّان، ص: 199.

(3) الأرامل والولي الأخير، ص: 27-28 رواية.

- قائد الحرس؟[1].
- مسعود الشحاذ يا صاحب السمو؟![2].
- حتى مسعود الشحاذ؟![3].

نلاحظ في الحوار السابق، وهذه الجمل كيف أحالَ التنغيم أجزاء هذه الجمل إلى استفهامات قوية مع غياب أداة الاستفهام بل إنَّ دلالة الاستفهام مع التنغيم تبدو أقوى ممَّا لو كانت بالأدوات؛ لأنَّهُ مع وجود الأدوات يقتضي ذكر المحذوف من الجمل، ومنها سيطول الاستفهام الذي يفقد الموقف جذوتَهُ، فكانت هذه الاستفهامات تتدفق بدلالات اللهفة، والحيرة، والاستغراب وتكون هذه الموازين في الكلام العاطفي، وخاصة [عاطفة الحزن][4].

2- التنغيم التأثري:

كثيراً ما يعمل التنغيم في المواقف التواصلية، الَّتي تعطي للمتكلِّم نغمات معينة، تنجم نفسياً عن عاطفة يحسُّها، وفكرياً عن معنى يعتلج في ذهنه لأداء دلالات متنوّعة، ومتعدّدة تبعاً لدرجته، ولموقعِه[5]، وكان التنغيم التأثري يظهر واضحاً في النصوص الحوارية، ومن الأمثلة على ذلك نجد في المقطع العاشر، هذا النصّ يصور لنا مشهداً تنغيميّاً بين نغمات الفرح، والحزن، ودرجة الصوت في كلٍّ منهما: "... أخذ الشحاذ يرتب صفوف المدعوين، فكان زحام العجائز اللاتي كُنَّ يزغردن بحسب توصية مسعود لهن، ولكن الزغاريد الخانقة آلت إلى نواح، وراحت العجائز يبكين على أولادهنَّ الَّذين رحلوا قبل الأوان..."[6].

في هذا النصّ يبدو التنغيم جليّاً من خلال الفعل (يزغردن)، فهذا الفعل دلالة عن الفرح، وله تنغيم خاص، أمَّا صوت [نواح]، فهو دلالة عن الحزن، وتكون أيضاً

---

(1) الأرامل والولي الأخير، لخليفة حسين مصطفى، ص: 148.

(2) المصدر السابق، ص: 178.

(3) المصدر نفسه، ص: 149، وينظر، ص: 158-164.

(4) ينظر مناهج البحث في اللُّغة، لتمام حسان، ص: 199.

(5) ينظر في علم اللغة، لغازي مختار، ص: 154.

(6) الأرامل والولي الأخير، لخليفة حسين مصطفى، ص: 117.

درجة التنغيم فيه معروفة هذه العلامات كانت لها دلالات بصحبة التنغيم ربَّمَا تكون بين التعجب، أو السخرية من الوالي الجديد بالإضافة إلى الدلالات السابقة [الفـرح- الحزن].

وفي نفس المقطع "... ذهب المأذون الشرعي إلى استشارة عزيزة أزواجهـا يوسف القهوجي، ولكنها لم تقل شيئاً.

- فانتظرها للحظات ثُمَّ قال حاثاً إيَّاها على الكلام.
- لا حياء في الدّين يا بنتي، وكرَّرَ سؤاله مرة أخرى.
- غير موافقة!!
- بدا المأذون غير مصدق لما سمعه، ولكن الإجابة ظلـت كمـا هـي مطبوعـة بالصمت"[1].

نلاحظ تنغيماً تشير إليه علامة التأثر، وكذلك سياق الحال لهذا القـول، وقـد أدى التنغيم في هذا النصّ دلالات التأكيد، والمفاجأة، والدَّهشة.

وفي المقطع الثالث عشر، نقرأ على لسان قائد الحـرس، والـوالي عنـدما وضعوا الشَّحاذ مسعود في السجن.

"... قد يجد نفسه هائماً في شوارع المدينة الَّتي يحتمي مـن البـرد خلـف أسوارها المتصدعة، فتنهد، وقال:

- لقد حان الوقت للإفراج عن ذلك الشحاذ المسكين!
- هزَّ قائد الحرس رأسه، ثُمَّ وضع قناع ابتسامتِهِ البريئة على وجهه موافقاً يوسف على رأيِهِ، وأوضح قائلاً:
- هو مسكين بالفعل يا سيدي الباشا!!
- لقد جُنَّ يا سيدي، ولا أظنه أنَّهُ سوف يعيش طويلاً؟![2].

فسياق الموقف الَّذي جسد هذا السرد، وعلامات التأثر، والاستفهام في القـول تدُّل على التنغيم الَّذِي منح قول [قائد الحرس، والوالي] دلالة السخرية، والاسـتنكار

---

(1) الأرامل والولي الأخير، لخليفة حسين مصطفى، ص: 125.

(2) المصدر السابق، ص: 162.

علاوة على دلالة الغضب عند الوالي من [مسعود الشحاذ]، وفي المقطع الثاني والعشرين في نصّ حواري بين قائد الحرس، والأميرة جواهر:

- "... قالت لقد علمت دون شك بواقعة جريمة مقتل ولي العهد في فراشه؟!

قال يسألها:

- ثُمَّ ما لبث أن غاص مجدداً في أفق عينها تائهاً في عالمها الساحر!![1].
- ثُمَّ اصطدم بالحد الفاصل عندما قالت له:
- أعرف القاتل الحقيقي؟!
- هل تعرفينهُ بالفعل أم لا؟
- قولي من هو يا جواهر[2].
- عندئذ التمعت عيناها ببريق غريب، وقالت مشيرة إليه في صدره:
- أنت، أنت القاتل الحقيقي!!
- مجنونة، مجنونة....

بهذا صرخ قائد الحرس ثُمَّ غادر جناح الأرامل مسرعاً وذاهلاً، كما لو أنَّهُ يهرب من التهمة"[3].

في هذه الأجزاء الثلاثة يظهر التنغيم مؤديّاً أكثر من دلالة إلى جانب دلالة الاستفهام.

في الجزء الأول: [مقتل ولي العهد؟]

أمَّا الجزء الثاني: [أعرف القاتل الحقيقي؟]

ودلالة التحقير والدَّهشة في قولِه: [هل تعرفه بالفعل أم لا...] نجد التنغيم في هذا النصّ قد شحنه بدلالات التعجب، والدَّهشة، والمفاجأة إلى جانب الدَّلالة الأساسية النفي لهذه التهمة، وعدم التصديق.

---

(1) الأرامل والولي الأخير، لخليفة حسين مصطفى، ص: 269.

(2) المصدر السابق، ص: 270.

(3) المصدر نفسه، ص: 271.

3- وصف التنغيم:

يعمد الكاتب في المواقف الحوارية إلى وصف التنغيم المصاحب للعبارة ويرى سعد مصلوح أنَّ وصف التنغيم يشتمل على ثلاثة مستويات، منخفض، ومتوسط، وعال[1]؛ نظر لأهميته في توجيه الكلام، وإبراز دلالته، وقد وردَ هذا الأسلوب في بعض الحوارات، ومن ذلك ما نقرؤُهُ في المقطع الثالث: "... لقد رأيتك يا يوسف أصبحت والياً على البلاد، والٍ بثياب ملطخة بالشاي والقهوة.

- قال ذلك بصوت هامس حتى لا يبرح الخبر أدنى القهوجي..."[2].

قد وصفت درجة التنغيم بأنَّهَا منخفضة جداً فهي وشوشة، وهمس، أعطت للعبارة الرهبة، والاستغراب من الشيء القادم.

وفي نفس المقطع نجد درجة التنغيم بوجه آخر في قوله: "لكنَّهُ استسلم في نفس الوقت لنوبة من الضحك عصفت بجسده، ولم يتمكن من السيطرة على نفسه..."[3]، ونجد هنا درجة التنغيم بالارتفاع، وهي نبرة صوت الضحك، وقد أعطت للعبارة دلالة السخرية والاستهزاء.

ونقرأ في المقطع السابع نصّ حواري بين عزيزة وأمَهّا: "... قالت أمها لها بصوت ناعم:

- هيا انهضي يا عزيزة، وإلاّ فلن أخبرك بشيء[4].

في هذا النصّ وصفت درجة الصوت بالانخفاض.

"وصاحت عزيزة في وجهها، وقالت:

[أي شحاذ هذا][5].

وفي ذلك دلالة على ارتفاع درجة التنغيم بحيث تمد النصّ بدلالات الغضب، والحزن، والاستنكار.

---

(1) ينظر دراسة السَّمع والكلام، لسعد مصلوح، ص: 260.

(2) الأرامل والولي الأخير، رواية خليفة حسين مصطفى، ص: 18.

(3) المصدر السابق، ص: 18، وينظر: 46-47.

(4) المصدر نفسه، ص: 89، وينظر: 124-125.

(5) المصدر نفسه، ص: 89.

وفي المقطع الثاني والعشرين نقرأ ما يلي:

- أنت، أنت القاتل الحقيقي؟!
- مجنونة، مجنونة....

وبهذا صرخ قائد الحرس، ثم غادر جناح الأرامل..."[1]، فهذا النصّ وصف لصوت المتكلم، وهي حالة الصراخ دلالة على الشِّدة، والانفعال[2]، فدرجة الصوت مرتفعة تمنح دلالة القسوة والغضب.

(1) ينظر الأرامل والولي الأخير، لخليفة حسين مصطفى، ص: 271.

(2) ينظر دلالة الكلام، لمحمد محمد داود، ص: 477.

المبحث الثاني

التكرار والتَّقديم

- التكـــــرار.
- التَّقديـــــم.

التكـــــرار:

التكرار لغةً: هو إعادة فعل الشَّيء، أو الإتيان بِهِ، "وكرّر الشيء وكركـــرهُ: أعادهُ مرة بعد أخرى"[1].

اصطلاحاً: أن يأتي المتكلم بلفظ، ثُمَّ يعيدهُ بعينيه ســـواء كـــانَ اللّفـــظ متفقـــاً المعنى، أم مختلفاً، أو يأتي بمعنى ثُمَّ يعيدهُ[2]، ويُعدّ التكرار مظهراً سياقياً تؤدي بِـــهِ عدّة دلالات في النصّ، ونظراً لأهميّته في أداء دلالات قوية ومؤثرة، فقد وردَ فـــي مواضع عدَّة من القرآن لكريم، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ۞ ثُمَّ كَـــلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[3]، وفي ذلك يقول القرطبي (ت671هـــ): ﴿ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُـــونَ﴾ وعيد بعد وعيد؛ قاله مجاهد، ويحتمل أن يكون تكراره على وجه التأكيد، والتغلـــيظ، وهو قول الفرَّاء"[4].

فتكرار الجملة في هذا النصّ منحهُ عدَّة دلالات منها:

1- دلالة الوعيد، والإنذار: تمثلت في التأكيد على الوعيد، وأن مـــا ســـيعلمونه شيء عظيم.

2- دلالة شدة غضب الله، ومقتهِ لمن ألَهتْهُم دنياهم عن الآخرة.

ويقول ابن فارس: "وسنن العرب التكرير، والإعادة إرادة الإبـــلاغ بحـــسب العناية بالأمر"[5].

والتكرار يكون في اللَّفظ كما يكون في الجملة، ويتخذ على هذين المـــستويين صوراً مختلفة، ومن صور التكرار ما يلي:

1- التكرار التام، وهو تكرار اللَّفظ، أو الجملة، والمعنى واحد.

2- التكرار الجزئي: وهو استخدام الجذر اللُّغوي في أكثر من صورة.

---

(1) لسان العرب، لابن منظور: 3851/5، مادة (كَ رَرَ) وينظر مختار القاموس: 527

(2) ينظر المثل السائر، لابن الأثير: 120/2-121-146.

(3) التكاثر: 3/102-4.

(4) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: 547/10.

(5) الصاحبي في فقه اللُّغة، لابن فارس: 213.

3- تكرار المعنى واللَّفظ مختلف، وصياغة العبارة الموازية كقولنا "لاَ إله إلاَّ الله وحدهُ لا شريك لَهُ".

4- التوازي: وذلك بتكرار البنية مع ملئها بعناصرَ جديدة"[1].

كما في هذه العبارات من المقطع الأول في الرواية:

- "هو بعينه مسعود الشحاد.
- هو زمن الغرائب، والطموحات الخائبة.
- هو ملك البر، والإحسان.
- هو قلَّما ينام في اللَّيل"[2].

ب- تكرار اللَّفظ:

من سمات البناء اللُّغوي، تكرار اللَّفظ فقد تعرّض له القدماء بالدِّراسة والتحليل، ذكر ابن الأثير "وعلى هذا وردَ قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ العَذَابِ وَهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ﴾[3]، في هذا النَص تكررت لفظة [هُمُ] للإيذان بتحقيق الخسار، والأصل فيها وهم في الآخرة الأخسرون، لكنْ لمَّا أريد تأكيد ذلكَ جيء بتكرير هذه اللَّفظة المُشار إليها"[4]، وكان لتكرار اللفظ دور بارز في إظهار الدلالات وتجسيد الأفكار في الرواية وقد بَدَا تكرار اللَّفظ في عدّة صور منها: التكرار التام، أو المحض، الذَّي يكرر فيه اللفظ والمعنى ذاته، ومن أمثلته في الرواية تكرار لفظ [الحجاب] في المقطع الأول "... يوم أن أعطته عزيزة الحجاب وعندما يئس من العثور على الحجاب غادر حجرته لتبقى كما هي مغلقة في حماية الحجاب المفقود..."[5].

فقد كرّر لفظ [الحجاب] عدة مرات متباعدة ليؤكد دلالة القصر، والدّلالات التَّابعة لها في النصّ، وفي المقطع السادس نجد تكرار في النصّ التالي: "... كان

---

(1) ينظر: علم النصّ، مجلة عالم الفكر، لجميل عبد المجيد حسين، غ [2]، ص: 146.

(2) الأرامل والولي الأخير، لخليفة حسين مصطفى، ص: 11-12-13.

(3) النمل: 5/27.

(4) المثل السائر: 151/2.

(5) الأرامل والولي الأخير، لخليفة حسين مصطفى، ص: 9-10.

يهز رأسه بشرود بالرغم من ثقل عمامتِه مجيباً على أسئلته الغائمة بقوله: (سوف نرى) وقد أصبحت سوف نرى هذه لازمة لَهُ لا غنى عنها في إدارة شؤون قلبه ودولتِه، وتأمين حياتِه دون أن يتسبب في تعطيل ولايتِه عن الدَّوران كما ينبغي.

سوف نرى[1]:

نجد في هذا النص تكرار عنصر من عناصر الربط السِّياقي [سوف نرى][2] ليؤدي دلالات مقصودة كانت هامشيَّة، فأصبحت خلال السِّياق دلالة أساسيَّة، ومنها الإحساس بالكينونة، والوجود علاوة على الدّلالة الإيمائية في قوله: [كان يهز رأسه] دخول السياق الحركي الإيمائي إضافة إلى الإحالة في الضمير المتصل في قوله [رأسه][3] والَّتي تخضع للمخزون المعرفي، والثقافي للقارئ.

وفي صور أخرى لتكرار التام ما يلي في عدة مقاطع من الرواية: "أخرجت الثِّيَاب، ونَفَضَتْها في الهواء قطعة قطعة"[4]، "حَتَّى يشرعوا سكاكين ألسنتهم لتقطيعه إرباً إرباً"[5]، "سوف أنتقِمُ منكم واحداً واحداً"[6]، "هزت قلوبهن بنهاية الكابوس الَّذي جثَم على صدورهنَّ كالحجر طوال أعوام، أعوام"[7]، "لقد شرع في قطع رؤوسهم واحداً واحداً"[8]، "شرع على غير عادتِه في تفحص الأسماء واحداً واحداً"[9]، "الثورة الدَّموية الَّتي تدور في حلقةٍ مفرغة ما بين هجوم وهجوم مضاد"[10].

وهذا التكرار المحض أكسب هذه الأسماء جميعاً دلالة التوكيد والتَّكثير، وقد دعَّم تلكَ الدَّلالات السِّياق اللُّغوي المصاحب لها.

---

(1) الأرامل والولي الأخير، لخليفة حسين مصطفى، ص: 81.

(2) ينظر مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري: 761/1.

(3) ينظر معاني النحو، لفاضل صالح السامرائي: 59/1.

(4) الأرامل والولي الأخير، لخليفة حسين مصطفى، ص: 86.

(5) المصدر السابق، ص: 91.

(6) المصدر نفسه، ص: 110.

(7) المصدر نفسه، ص: 174.

(8) المصدر نفسه، ص: 185.

(9) المصدر نفسه، ص: 211.

(10) المصدر نفسه، ص: 310.

ففي المقطع الثاني والعشرين نجد صورة أخرى من التكرار التام في قوله:

- أعرف القاتل الحقيقي؟!!
- أنت، أنت القاتل الحقيقي!!
- مجنونة، مجنونة... [وبهذا صرخ قائد الحرس وغادر][1].

في هذا التكرار حاول الكاتب تفريغ لفظة [مجنونة، أنتَ، القاتل] من دلالتِهِ الأساسية ليمنحه دلالة جديدة، وهي إخفاء الحقيقة، والشَّيء الدّال على ذلك مغادرة قائد الحرس كما لو أنَّهُ يهرب من التهمةِ.

وفي صور أخرى للتكرار نجد الفعل [يعد] قد تكرر في مقطع واحد أربع مرات، وكان مصاحباً لأداة الجزم [لَمْ] في قوله [لَمْ يعد] ومن ذلك ما نقرأ في النص: "لم يعد يلتقيهم في آخر الأسبوع، فما عادوا يخافون من المجهول، الذّي لم يَعُدْ كذلكَ، ولم يعد هناك ما يتعزى به في غريزة، ولم يَعُدْ بحاجة إِلَى من يذكرهُ بأنَّهُ انتهى وقد عاد يتيماً كما كان..."[2].

فهذا التكرار للفعل جاء مصاحباً للجزم، فجعلهُ ينتقل شيئاً فشيئاً مع المصاحبة السِّياقية ليؤدي دلالات مقصودة كانت غير أساسية، منها: الإحساس بالذَّنب، والإحساس بالوجود، والحرية، الكرامة، ومن ذلك ما تشير إليه النقاط فيما بين [واو] العطف والفعل [لَمْ يَعُدْ] في قولهِ [لَمْ يعد بحاجةٍ ولم يعد هناك] بالإضافة إلى العنصر الإيحالي في اسم الإشارة [هناك].

ومن صور تكرار اللفظ التكرار الجزئي حيث يتكرر جذر لفظ في صيغٍ لَفْظيَّة مختلفة كما يل:

في المقطع السادس في جذر [لَوَن] نقرأ في النصّ: "أخذوا الرجال حاشيته يتنافسون في نسج خيوطهِ وتلوينهِ بألوان الطيف..."[3].

---

(1) الأرامل والولي الأخير، لخليفة حسين مصطفى، ص: 270-271.

(2) المصدر السابق: 414-415.

(3) المصدر نفسه: 78.

وكذلك الجذر [بَكَى]: "وفي هذه الحالة يجوز البكاء، وعلى المرء أن يبكي إلى أن يتصدع قلبه..."[1].

والجذر [نَفَضَ] "أخَذَ الشحاذ ينفض الغبار عنْ ثيابِهِ وبعد أن تَحَسَّسَ آثار الغبار انتفض، وقالَ: بصوت الوزير الأول..."[2].

وفي المقطع العاشر نجد الجذر [زَغْرَدَ] "أخذت العجائز يزغردن بتوصية من الشحاذ لهن، ولكن الزغاريد آلت إلى نواح..."[3].

وكذلك الجذر [طيَرَ] "يتأمل طيور النورس وهي تحوم على سطح الماء ناشرة أجنحتها الشَّمسيَّة في الهواء، وتطير مرة أخرى محلقة على ارتفاع"[4].

وفي المقطع الرابع والثلاثين الجذر [صَدَرَ] "ينوء بثقل المراسم التي أصدرها ولَمْ يصدرْهَا بعد..."[5].

ج- تكرار التركيب:

وهو التكرار الَّذي يكون في الجملة، أو جزء من الجملة من جهة اللَّفظ، أو المعنى، أو أن يكون مرجع الجمل واحداً، وتجمعها دلالة مشتركة، ويُمثل ابن الأثير لذلك بقولِهِ تعالى: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۞ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾[6]، ويبين ذلك بقولِهِ: "والتكرير دلالة على [التعجب] من تقديرِهِ وإصابته بالغرض"[7]، ويستطرد ابن الأثير قائلاً: وهذا مثل قولِهِ تعالى: ﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ۞ ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾[8]، ومن أجل ذلك نقول: لا إله إلاَّ الله وحدهُ لا شريك لَهُ؛ لأن قولنا (لا إله إلاَّ الله) مثل قولنا

---

(1) الأرامل والولي الأخير، لخليفة حسين مصطفى: 105، وينظر: 32.

(2) المصدر نفسه، ص: 109.

(3) المصدر السابق: 117.

(4) المصدر نفسه: 116.

(5) المصدر نفسه: 412.

(6) المدثر: 74/19-20.

(7) المثل السائر، لابن الأثير: 150/2.

(8) القيامة: 75/34-35.

(وحدهُ لا شريك لَهُ، وهُما في المعنى سواء، وإنَّمَا كررنا القول فيه لتقرير المعنى وإثباته"[1].

ومن صور تكرار التركيب في الرواية:

التكرار التام في المقطع الأول على لسان قائد الحرس، وهو يخاطب القهوجي فيقول:

- هَلْ أنت المدعو يوسف القهوجي؟
- في الخدمة يا سيدي...؟
- اجب بنعم أو لا، هل أنت يوسف القهوجي؟[2].

فقد تكررت الجملة الاستفهاميَّة مرتين، وقد حمل هذا التكرار دلالة السخرية، ودلالة التوكيد، ودلالة الإصرار على أخذه، والغرض من الاستفهام قد منح لنص دلالة الإصرار، وهذا ما حققه بدعم من السِّياق[3].

ومن المقطع الثاني يصوِّر لنا الكاتب حالة عزيزة عند سماعها بأن القهوجي قد أصبح والياً عندما عرض عليها الزواج: "... هزت رأسها بالرفض عندما أقبلت عليها أمها مبتهجة لتعرض عليها هداياهُ الثَّمينة، هزت رأسها عدة مرات، وبكت ولم تكْفِ عن البكاء، حتى أبكت أُمها معها..."[4].

فهذا النص على بساطتهِ ووضوح دلالتهِ التصريحيّة إلاّ أنَّ التكرار وسياق الأحداث في الرواية قد منحه دلالة ثانوية منها دلالة الحزن، وهنا لا يقصد به الحزن المألوف، وإنَّمَا الحزن بمعنى الفراق، وكان في تكرار لفظ [البكاء] تأكيد لتلك الدّلالة[5].

ومن تكرار المعنى مع اختلاف اللفظ على مستوى التركيب ما نلاحظه في هذين النصّين، ونقرأ في المقطع الثاني:

---

(1) المثل السائر، لابن الأثير: 150/2.

(2) الأرامل والولي الأخير، لخليفة حسين مصطفى، ص: 20، وينظرن ص: 17-18.

(3) ينظر الدّلالة والكلام، محمد محمد داود: ص223.

(4) الأرامل والوالي الأخير، لخليفة حسين مصطفى، ص: 32.

(5) ينظر الدّلالة والكلام، لمحمد محمد داود، ص: 497.

- "... تتوقف عن الكنس لتلاحق أفكارها..."[1].
- "... انتهت من كنس الفناء بضربات طائشة"[2].

وفي المقطع الثالث نقرأ:

- "يرفعوا أصواتهم بالدعاء"[3].
- "يدعو الناس إلى تجاوز المحن"[4].

وفي المقطع نفسه نقرأ: "غادر قائد الحرس قاعة الاجتماعات"[5]، "مضى يذرع القاعة بخطوات تائهة..."[6].

فقد أراد في النص الأول بالأفعال [توقف- انتهى] دلالة واحدة، الإنشاء على رغم من اختلاف اللفظين.

وقوله في الفعل [يرفع – يدعو] هذان الفعلان من خلال السياق أعطى معنى واحد، وهي دلالة [النداء]، والدليل على ذلك [بح صوته] [يرفعوا أصواتهم]، أمَّا الفعلان [غادَرَ ومضَى مختلفان كذلك في اللفظ، ولكن متفقان في المعنى أعطى دلالة واحدة، وهي [الذَّهاب]، وقد أفاد التكرار في المعنى دون التركيب الإيضاح، والتوكيد في الدلالة، ونقرأ في نص آخر:

- "أفاقت صباح يوم الجمعة"[7].
- "تنهض من نومها مبكراً..."[8].

فالدّلالة في هذين النصّين هي [الاستيقاظ] مع اختلاف العناصر اللَّفظية، أو الصياغة وقد عمل هذا التكرار على إيضاح الدلالة، واستجلاء معالمها، وتوكيدها أيضاً.

---

(1) الأرامل والولي الأخير، لخليفة حسين مصطفى، ص: 36.

(2) المصدر السابق: 37.

(3) المصدر نفسه، ص: 44.

(4) المصدر نفسه، ص: 45.

(5) المصدر نفسه، ص: 50.

(6) المصدر نفسه، ص: 51.

(7) المصدر نفسه، ص: 44.

(8) المصدر نفسه، ص: 163.

ونقرأ في المقطع الخامس عشر:

- "ولكنْ يا سيدي الباشا ليس هذا وقتهُ"[1].
- "صباح الخير يا سيدي الباشا"[2].
- "ولكن ليس الآن يا سيدي الباشا"[3]
- "صباح الخير يا سيدي الباشا"[4].

تكرار النداء في هذه الجمل، والاستدراك، فيمثل هذا التكرار توازي في البيئة النَّحوية، وقد أسهم هذا التوازي في تأكيد دلالة النداء [يا][5].

- دلالة الاستدراك [لَكن][6].
- دلالة النفي [ليس][7].

ومن تكرار التركيب يتمثل في التَّوازي البنية مع اختلاف عناصر الدَّلالة المكونة لها.

نقرأ في هذا المقطع: "ينهض متعثراً بحمله الثقيل من الأحزان والهموم"[8].

ونقرأ في مقطع آخر: "ينهض واقفاً على قدميه، وقد بدا رجُلاً مهيباً..."[9].

العبارتان في هذا النصّ بينهما توازي حيث اشتملت بنية الأولى على عناصر لُغوية بدأ كلاهُما بالفعل [ينهض] والفاعل ضمير مستتر تقديره هو [ضمير الشأن][10]، ويبين حال كل منهما متعتراً، وواقفاً.

إذاً فالعناصر اللُّغوية واحدة، والاختلاف في الدلالة، فالنصّ الأول منح النصّ دلالة معنوية، أَمَّا النصّ الثاني منحهُ دلالة مادية علاوة على ما تعكسه تلك الدَّلالات

---

(1) الأرامل والولي الأخير، لخليفة حسين مصطفى، ص: 52.

(2) المصدر السابق، ص: 53.

(3) المصدر نفسه: 54.

(4) المصدر نفسه: 81.

(5) ينظر شرح ابن عقيل، محيي الدين عبد الحميد: 255/3.

(6) ينظر معاني النحو، لفاضل صالح السامرائي: 224/3.

(7) المصدر السابق: 232/1.

(8) الأرامل والولي الأخير، لخليفة حسين مصطفى، ص: 13.

(9) المصدر السابق: 65.

(10) ينظر معاني النحو، لفاضل السامرائي: 55/1.

في نفس المتلقي من مشاعر التأثر، والمأساة، والدليل عليها ظهور الأحزان والهموم[1].

ثانياً- التَّقديم:

التقديم لغةً: مصدر قدَّم، يُقدِّمُ، فهو مقدّم، "والمقدِّم نقيض المؤخّر"[2].

التقديم اصطلاحاً: "تقديم الكلام، وهو في المعنى مؤخر"[3]، ويكون التقديم في بعض أجزاء الكلام لأداء دلالات ومعانٍ مقصودة، وبذلك يكون التقديم مظهر سياقياً لَهُ علاقة بالدَّلالة، وفيه يقول عبد القاهر الجرجاني: "هو باب كثير الفوائد، جَمُّ المحاسن، واسع التصرّف، بعيد الغاية، لا يزال يفسَرُّ لك عن بديعه، ويفضي بِكَ إلى لطيفه، ولا تزال ترى شعراً يروقُكَ سمعهُ، ويلطف لديك موقفهُ، ثُمَ تنظر فنجد سبب أن راقك، ولطُفَ عندك، أن قدَّم فيه شيء، حوّل اللّفظ من مكان إلى مكان"[4].

فالتقديم إذن هو تحويل لفظ، أو أكثر من مكان إلى آخر في السِّياق اللُّغوي لغرض دلالي، "وإنَّ تقدُّم جزء من الكلام، أو تأخيره لا يرد اعتباطاً في نظم الكلام، وتأليفه، وإنَّمَا يكون عملاً مقصوداً"[5]،يهدف من ورائه المتكلم إلى التعبير عن دلالات ثانوية، وإيمائية قصد إبلاغها إلى المخاطب، حيث يرى أنَّ لها أهميَّة بالضرورة، ولا تتحقق إلاَّ من خلال التقديم.

والتقديم في الكلام يستلزم تأخيراً بالضرورة، فحينما ينقل الخبر إلى موقع الصدارة في الجملة الاسمية يحدث بطبيعة الحال تأخيراً للمبتدأ كقولنَا [زيدٌ في الدَّار] [فنقول عند التقديم في الدَّار زَيْدٌ][6].

والسِّياق بعناصره المختلفة، وهو يعمل على أداء الدلالة، فإنَّهُ يبدو لنا في عدّة مظاهر سياقيّة، ومنها مظهر التقديم. ويرى الجرجاني أنَّ التَّقديم يكون على وجهين:

---

(1) ينظر الدلالة والكلام، لمحمد داود: 497.

(2) الصِّحاح، للجوهري: 383/5 [مادة قدم].

(3) الصحابي في فقه اللُّغة، لابن فارس، ص: 244.

(4) دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني، ص: 106.

(5) علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، ص: 149.

(6) ينظر معاني النحو، لفاضل صالح السامرائي: 142/1.

[الوجه الأوَّل]: "تقديم يقال إنَّهُ على نيّة التأخير، وذلك في كل شيء أَقرَّهُ مع التقديم على حكمِه الَّذي كان عليه، وفي جنسه الَّذي كان فيه؛ كخبر المبتدأ إذا قدّمته على المبتدأ والمفعول إذا قدّمته على الفاعل"[1].

[الوجه الثاني]: "تقديم ليس على نيَّة التَأخير، ولكن أن تنقل الشيء من حكم إلى حكم، وتجعله باباً غير بابِه، وإعراباً غير إعرابِه، وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ، ويكون خبراً لَهُ، فَتُقدِّم تارة هذا على ذاك، وأخرى ذلك على هذا"[2].

والفرق بين الوجهين -كما هو واضح من كلامِه- أنَّ التقديم على نيّة التأخير لا يعدو كونه منح صفة الصَّدارة لما حقَّهُ التأخير نحويّاً مع تمتعه بصفاتِه وصلاحياتِه من موقعه الأوّل.

أمّا الوجه الثَّاني: منح صفة الصدارة لِلَّفظ المقدم مع تفريغِه من صفات موقعه الأول، ومنحِه صفات جديدة في موقعه الثاني.

ويحدِّد ابن الأثير التقديم، فيقول: "وهو ضربان:

الأوَّل: "يختصّ بدلالة الألفاظ على المعاني، ولو أخّر المقدّم، أو قدّم المؤخّر لتغيّر المعنى.

الثاني: يختصُ بدرجة التقدّم في الذكر لاختصاصِه بما يوجب له ذلكَ، ولو أخَّر لما تغير المعنى"[3]، ويحدِّد الضرب الأول في قسمين: "أحداهما: يكون التقديم فيه الأبلغ، والآخر: يكون التأخير فيه هو الأبلغ"[4].

فالقسم الأوَّل: "كتقديم المفعول على الفعل، وتقدُّم الخبر على المبتدأ، وتقديم الظرف، والحال، أو الاستثناء على العامل"[5].

---

(1) دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني، ص: 110.

(2) المصدر السابق، ص: 110.

(3) المثل السائر، لابن الأثير: 35/2.

(4) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(5) المصدر نفسه: 35/2.

القسم الثاني: "فهو أن يقدِّم ما أولى به التأخير؛ لأنَّ المعنى يختلّ بذلك، ويضطرب...، وهو كتقديم الصفة، أو ما يتعلق بها على الموصوف، وتقديم الصِّلة على الموصول، وغير ذلك"[1].

وفي تحديد الضرب الثَّاني يقول: "أمَّا الضرب الثَّاني الذي يختصّ بدرجة التقدُّم في الذكر لاختصاصه بما يوجب له ذلك، فإنَّهُ مما لا يحصرهُ حدّ ولا ينتهِ إليه شرح... فمن ذلك تقديم السَّبب على المسبّب كقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[2].

"فإنَّهُ إنَّمَا قدَّم العبادة على الاستعانة؛ لأنَّ تقديم القربة والوسيلة قبل طلب الحاجة أنجح بحصول الطلب، وأسرع لوقوع الإجابة"[3].

ويقع ضمن ذلك تقديم الجمل، والعبارات في النصّ، وقد استطاع [خليفة حسين مصطفى] أن يوظّف التَّقديم كونه مظهراً سياقيّاً ببراعة فائقة، حيث أكسب الأبنيَّة النَّصية القدرة على حسن الإبلاغ ونجاحهِ، ويمكن أن نتناول التقديم في الرواية من ثلاث محاور: تقديم اللفظ، وتقديم الجملة، وتقديم مقطع من النصّ.

ب- تقديم اللَّفظ:

فقد قدَّم الخبر كما في هذا القول، وكان شبه جملة: "في الخدمة يا سيدي الباشا"[4]، فقد تقدم الخبر على المبتدأ المحذوف وجوباً؛ لأنه واجب التقديم، وليس لأمر بلاغي[5]، فكل منهما متعلق بمحذوف واجب الحذف كقولنا [في الدَّار زيدٌ][6].

وفي المقطع الثالث عشر قدِّم الخبر جوازً المبتدأ محذوف في قولهِ: "خَمْسَةٌ يا سيدي الباشا، وهناك اثنان في حاجة إلى الإصلاح"[7]، فدلالة التأكيد، والاهتمام بالخبر، والمبتدأ المحذوف تقديره: [السفن] لدلالة سياق عليها[8].

---

(1) دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني: 41/2.

(2) الفاتحة: 5/1.

(3) المثل السائر، لابن الأثير: 43/2.

(4) الأرامل والولي الأخير، لخليفة حسين مصطفى: 175.

(5) ينظر معاني النحو، لفاضل السامرائي: 142/1.

(6) شرح ابن عقيل، لمحيي الدين عبد الحميد: 210/1.

(7) الأرامل والولي الأخير، لخليفة حسين مصطفى، ص: 153.

(8) ينظر الدلالة والكلام، لمحمد داود، ص: 344.

ومن صور التقديم أن يتقدَّم المفعول به على الفاعل، وفي ذلك يقول ابن عقيل: "ويجوز تقديمه على الفاعل...، فنقول: (ضرب زيداً عمروٌ)[1]، ومثال ذلك في الرِّواية: "ولكنَّكَ لَمْ تَسْتَدْعِنَا يا أَخي يوسف..."[2]، وقوله: "ليحفظكَ اللهُ ويبارك في الأرضِ والسماء"[3]، فقد كانت دلالة التقديم سرعة الفعل، وشدَّته في قوله: [تسند عنا – ليحفظكَ] فالضمير [نا، الكاف] في محل نصب مفعول به مقدم على الفاعل.

تقديم الجار والمجرور على الفعل يفيد [القصر والحصر][4]، كقوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[5].

وفي الرواية نقرأ في المقطع الحادي عشر: "بإشارة من يده دونَ أن يستجيب لرغبة الطبيب الإيطالي"[6]. "عندما دخَلَ إلى قاعة الاجتماعات فَكَّرَ بأن الوقت قد حان..."[7].

"لكي يحل محله في كرسي الحكم..."[8].

وفي هذه الأمثلة تبدو دلالة التَّقديم في أهمية الجار والمجرور بين عناصر الجملة، حيث يحرص الكاتب على إحاطة المتلقي بهِ أَوَّلاً ثُمَّ يبني عليه بقيَّة الدَّلالة، وقد تقدم الجار والمجرور على الفاعل للدلالة على القصر والحصر[9].

ومن أمثلته في الرواية: "وفي اللَّحظة الَّتي خرجت فيها السفينة من الحوض مدفوعة بأيدي العمال..."[1]، فقد تقدم الجار والمجرور: [فيها] على الفاعل، وهي [السفينة] لأهمية السِّياق، وتقوية حالة التأثر عند المتلقي.

---

(1) شرح ابن عقيل، لمحيي الدين عبد الحميد: 484/i.

(2) الأرامل والولي الأخير، لخليفة حسين مصطفى، ص: 66.

(3) المصدر السابق، ص: 235.

(4) معاني النحو، لفاضل السامرائي: 91/1.

(5) آل عمران: 122/3.

(6) الأرامل والولي الأخير، لخليفة حسين مصطفى: 132، وينظر: 145، 146، 149.

(7) المصدر السابق: 141، وينظر: 135، 344، 225، 408-301.

(8) المصدر نفسه: 143.

(9) ينظر معاني النحو، لفاضل السامرائي: 91/1.

كما قدّم الجار والمجرور على الفاعل في هذا النصّ: "يكفي أن يشير إليهم القهوجي عرضاً في حديثه"[2].

ولأهميته في دلالة السِّياق، ولمراعاة وحدة البناء في الجملتين، فكانت الدّلالة إلى الإدراك أسبق، وفي الأذهان أوضح، وجماليّة البناء في النفوس.

وقدْ قدّم الظروف مثل: "... قَبل أن يستسلم لمصيرهِ المحتوم"[3].

"عندما انتهت من كنس الفناء..."[4].

"وضع نفسه تحت تصرّفه..."[5].

وفي هذا التَّقديم دلالة بالمقدِّم، فأغلب النصوص تقدّم الظرف على الفعل إمَّا دلالة الزمان، وإمَّا المكان، ومن السِّمات البارزة في الرواية افتتاح عدَّة مقاطع بإحدى صور التقديم في اللَّفظ، وأهمها الجار والمجرور، نظراً لما في ذلك من مزايا في إيضاح الدّلالات، وإثارة اهتمام المتلقّي، وشدّة الحكي، ومن الملاحظ أنَّ تلك الصور التقديميَّة تحمل الدَّلالة على الزمان، والمكان، فعلى سبيل المثال: في المقطع الثامن، والتاسع، والسادس عشر كانت افتتاحية هذه المقاطع كما يلي: "وعَلَى إثر ما أعلنه يوسف القهوجي من أنَّهُ سوف يذهب بنفسهِ على منزل صانع الأقفال..."[6].

وفي المقطع التاسع "بَعْدَ أَنْ عَبَر بِصَفٍّ من الحراس الأشداء حَيُّوهُ في قاعة الاجتماعات..."[7].

"كان لخبر السفينة الضخمة الَّتي يرفرف علم مثلث الألوان على ساريتها، واقتيادها إلى الميناء..."[8]، وفي هذه الافتتاحيات نلمس في التقديم الاهتمام بالدّلالة على المكان سواءً في تقدم الاسم المجرور، أو الظرف.

---

(1) الأرامل والولي الأخير، لخليفة حسين مصطفى: 135.

(2) المصدر السابق : 344.

(3) المصدر السابق: 21، وينظر، ص: 148-152-175.

(4) المصدر نفسه: 37- 304.

(5) المصدر نفسه، ص: 179.

(6) المصدر نفسه، ص: 93.

(7) المصدر نفسه، ص: 103.

(8) المصدر نفسه، ص: 189.

وفي المقطع الواحد والعشرين نقف عند هذه الافتتاحية: "عندما أعلن القهوجي الحداد الرسمي لمدة ثلاثة أيام على الأمير الصغير..."[1].

وفي المقطع التاسع والعشرين: "برغم إحساسه أنَّ الزمن يسرقها منـــه، وأنَّ كل دقيقة يقضيها بعيداً عنها تتدرج في جدول وقته الضائع..."[2].

وفي هاتين الافتتاحيْن نلمس دلالة على الزمان.

ج- تقديم الجملة:

يأتي هذا النوع من التقديم لأهمية دلالة الجملة المتقدِّمة، وقد ورد في الرواية في المقطع التاسع عشر "إنَّ الوالي يفكر جدّياً في طردِ قائد الحرس..."[3].

حيث تقدمت الجملة الاسمية [إنَّ الوالي] وذلك لأهميتها من حيث السياق كذلك لثبوت دلالة التأكيد[4].

وفي المقطع الثالث عشر: حيث نقرأ "عندما أعلن الحداد الرسمي لمدة ثلاثـــة أيام..."[5].

تقدمت شبه الجملة على الجملة الفعلية لأهميتها.

د- تقديم مقطع من النصّ:

افتتحت الرواية بنصّ يصف فيه القهوجي نفسه سواءً في المقهـــي، أو مـــع عزيزة، فيقوم بسرد قصته مع عزيزة، فقد احتوت الرِّواية على ثلاثة أنواع:

1- من الفرار كان الفرار الأول: هو دخول القهوجي إلى عالم الحكم مودِّعاً ماضيه الَّذي كان فيه يتيماً[6].

2- الفرار الثاني: هو نسيان عزيزة التي رفضت الزواج منه[7].

---

(1)الأرامل والولي الأخير، لخليفة حسين مصطفى، ص: 249.

(2) المصدر نفسه، ص: 343.

(3) المصدر نفسه، ص: 233.

(4) ينظر الدلالة والكلام، لمحمد داود، ص: 344.

(5) الأرامل والولي الأخير، لخليفة حسين مصطفى، ص: 249.

(6) المصدر السابق، ص: 43-44-50.

(7) ينظر المصدر نفسه، ص: 92.

3- الفرار الثالث: فقد كان من نصيب عزيزة الَّتي تزوجت من صديقه مسعود استغرق هذا الحديث حوالي خمسة عشرة مشهداً من الرواية[1].

ثُمَّ عاد إلى التسلسل السردي المعتاد والَّذي يَعُدُّ فيه المشهد الأخير هو المقطع المتقدِّم في النص "عندما عادت عزيزة منهارة، ولم يَعُدْ هنا ما يتعزى بِهِ في عَزيزة، وقد عاد يتيماً في أحلامِهِ وأوهامِهِ..."[2].

وقد كان لهذا التقديم النَصّي، والَّذي اصطلح عليه في الدِّراسات النقدية بـ(الاستباق) كان له أهميّة بالغة في الإثارة الدَّلالية حيث خلق عنصر المفاجأة، بحيث يجعل المتلقي في حالة من الأسر السردي من بداية الرواية حتى نهايتها[3].

---

(1) ينظر الأرامل والولي الأخير، لخليفة حسين مصطفى، ص: 242.

(2) المصدر السابق: 415.

(3) ينظر: في معرفة النصّ، يمني العيد: 225، وما بعدها.

المبحث الثالث

الإحالة والغموض

- أوّلاً- الإحالـــــــة.
- ثانياً- الغمـــوض.

أولاً- الإحالـــة:

أ- الإحالة لغةً:

الإحالة لها دلالات متعددة في المعاجم، وأقربها إلى ما نحن بصدده، هو مـــا يشير إلى معنى التحوُّل، أو التحرك، ذكر الجوهري: "وحال إلى مكـــان آخـــر، أي: تُحوّل، وحال الشَّخص، أي تحرّك، وكذلك متحول عن حالِه"[1].

الإحالة اصطلاحاً: "هي نتاج علاقة قائمة بين التعابير اللُّغويـــة، وتـــأويلات المتكلِّمين للعالم الخارجي، حيث يكون هذا التأويل ثمرة تفاعل الـــدّخل الخـــارجي، والوسائل الصالحة لتمثيله داخليّاً"[2].

والإحالة: "هي علاقات ربط تساهم في تشكيل وحدة النصّ، وانتظام العناصر المكوّنة لعالم النصّ"[3].

ونتيجة لهذا فإنَّ الإحالة بوجه عام تقوم بعمليَّة ربـــط ليـــست بـــين أجـــزاء التركيب، وإنَّمَا بين أجزاء النصّ المتباعدة على نحو ما"[4]، وكذلك فإنَّ الإحالة "هي العلاقة القائمة بين عنصر لُغوي يطلق عليه (عنصر العلاقة)، وضمائر يطلق عليها (صيغ إحالة) وتقوم المكوّنات الاسميّة بوظيفة عناصر العلاقة، أو المفسّر، أو العائد إليه، ويمكن أن يسمى عنصر إشارة"[5].

فالإحالة من المظاهر السِّياقيّة الَّتي لا يكاد يخلو منها أي إنجاز لُغوي، بل إنَّ اللُّغة نفسها تعدُّ نظاماً إحالياً إن تحيل إلى ما هو غير لغوي"[6].

والإحالة كونها علاقة بين عنصرين إحالي، وإشاري يُمَثِّل وسيلة من وســـائل الرَّبط بين مكونات الكلام، حيث تقوم شبكة من العلاقات الإحاليـــة بـــين العناصـــر اللُّغوية المتقاربة، والمتباعدة فتكوِّن النصّ المترابط"[7].

---

(1) تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري: 484/4 مادة [ح و ل].

(2) البنى التصورية واللسانيات المعرفية في القرآن الكريم، بوشعيب راغين، ص: 94-95.

(3) نحو النصّ إطار نظري ودراسات تطبيقية، عثمان أبو زيد، ص: 106.

(4) مجلة علوم اللُّغة (البنية الدلاليّة والإحالية لضمائر) أشرف عبد البديع [ع3]، ص: 22.

(5) ينظر دراسات لغوية وتطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد بحيري، ص: 83.

(6) ينظر نسيج النصّ للأزهر الزناد، ص: 115.

(7) ينظر دراسات لغوية وتطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد بحيري، ص: 83.

وقد (وَرَدَ) مصطلح (الإحالة) عند حازم القرطاجني (ت684) في سياقات متعددة منها قوله: "وملاحظات الشعَراء الأقاصيص، والأخبار المستطرفة في أشعارهم، ومناسبتهم بين تلك المعاني المتقدمة، والمعاني المقاربة لزمان وجودهم، والكائنة فيها الَّتي يبنون عليها أشعارهم ممَّا يحس في صناعة الشعر، ويجب للشاعر أن يعتمد من ذلك المشهور الَّذي هو أوضح في معناه من المعنى الَّذي يناسب بَيْنَهُ، وبين تعلقه على طريق التشبيه، أو التنظير، أو المثل، أو غير ذلك، ويسمى ما تسبب إلى ذكره من القصص المتقدِّمة المأثور يذكر قصة، أو حال معهودة (الإحالة)؛ لأن الشاعر يحيل بالمعهود على المأثور"[1].

فالإحالة إذن هي بُنية في معمل النصّ تتمثل في علاقة تعويضية بين عنصرين (إشاري)، و(إحالي) أحدهما يفضي بين الآخر، ويكشف عنه ذلك أنَّ "النصّ جملة من العناصر تترابط بتوفر الروابط التركيبية، والروابط الزمانيَّة، وكذلك الروابط الإحالية، فلا يكاد يخلو نصّ من ضمير عائد، أو اسم إشارة، أو اسم موصول، أو غيرهُ من المعوّضات"[2].

وقد أبرز الأزهر الزنّاد أهمية الإحالة في النصّ بقوله: "فالنصّ ذو بداية، ومجال وسطٍ قد يطول، وقد يقصر، ونهاية، وهي نقاط يمكن التوقف عند أي واحدة منها، وفصلها عن غيرها، ولكنَّها لا يمكن أن تُفهم معزولة عنها، فكل مكوّن من مكوناته يمثل مَعْلَماً، أو نقطة تتقدم بها الأحداث إن كانت حدثاً، وتتعدد بها الذَّوات إن كانت ذاتاً، وهي يمكن العودة إليها عن طريق الإحالة، وبالقياس عليها يجري ترتيب عالم الخطاب، وبناء النصّ بالاستتباع"[3].

ب- أنواع الإحالة:

إنَّ البنية الإحالية في أبسط صورها تتكون من عنصرين أساسيين هما العنصر الإشاري، والعنصر الإحالي[4].

---

(1) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، لحازم القرطاجني، ت: محمد بن الخوجة، ص: 189.

(2) نسيج النصّ، للأزهر الزناد، ص: 121.

(3) السبك في العربية المعاصرة بين المنطوق والمكتوب، لمحمد سالم أبو غفرة: 30. وينظر أيضاً نسيج النص، ص: 43.

(4) نسيج النصّ، للأزهر الزناد، ص: 121.

فالعنصر الإشاري هو "كل ما يشير إلى ذات، أو موقع، أو زمن، أو إشارة أوليّة لا تتعلق بإشارة سابقة، أو لاحقة، أي أنَّهُ يمثِّل مَعْلَماً لذاتِهِ لا يقوم فهمه، أو إدراكه على غيره"[1].

أمَّا العنصر الإحالي، فيشير إلى وحدة معجميَّة لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر، أو عناصر أخرى مذكورة في موقع ما من النصّ[2].

فالإحالة المكونة لعالم النصّ نوعان:

أوّلاً- "إحالة مقاميّة أو خارجيّة [Exophora]، وتشمل المستوى الخارجي الَّذي يقوم على وجود ذات المخاطب خارج النصّ، ولا يستقيم النصّ بإغفالِهِ.

ثانياً- إحالة مقاليّة، أو داخلية [Endophora] وهي مستوى داخلي يختص بالنصّ المدروس، ويمثلها تركيب لغوي يشير إلى جزء ما من عناصر النصّ التي ذكرت فيه صراحة، أو ضِمْناً"[3].

وهي تنقسم كالآتي:

1- إحالة داخل النصّ، وتشمل:

أ - إحالة على السابق، وهي أن يحال بعنصر إحالي على عنصر إشاري سابق في الكلام، مثل: انظر إلى الشمس، إنَّهَا تغرب بسرعة؛ فالضمير [هـا] يحيل على السابق (الشمس)، ومثالها من الرواية "لقد جن يا سيدي، ولا أظنه سوف يعيش طويلاً"[4] [فالهاء عائد على الشحاذ، فهو يحيل على السابق].

ب- إحالة على اللاحق، وهي الإحالة بعنصر إحالي على عنصر إشاري لا حق في الكلام، أو مذكور بعد العنصر الإحالي، مثل: إنها تذهب بسرعة فاطمة، فالضمير [ها] يحيل على اللاحق (فاطمة)، ومثالها من الرواية "أنِّي أراه كما أراك يا سيدي، هو مسعود الشحاذ"[5]، [فالهاء] عائد على اللاحق [مسعود الشحاذ].

---

(1) نسيج النصّ، الأزهر الزناد، ص: 116.

(2) ينظر المصدر السابق، ص: 8.

(3) نحو النصّ إطار نظري ودراسات تطبيقية، عثمان أبو زيد، ص: 106.

(4) الأرامل والولي الأخير، رواية خليفة حسين مصطفى، ص: 162.

(5) المصدر السابق ، ص: 167.

2- إحالة إلى خارج النصّ: وهي أن يحيل عنصر لغوي إحالي على عنصر غير لغوي يقع في المقام خارج النصّ، كالإحالة إلى ذات المتكلِّم، أو المخاطب، أو الإشارة إلى عنصر السِّياق الخارجي، كقولنا: انظر إلى ذلك الجبل، فقد أحلنا باسم الإشارة إلى خارج الكلام[1].

3- إحالة نصيَّة: وهي تجمع كلّ الإحالات التي تعود على مفسّر، هو مقطع ملحوظ (جملة، أو نصّ، أو مركب نحوي)، ولا تتوافر في كل النصوص[2].

وهذه الأنواع من الإحالة هي ما سنقوم بتتبعه في نصوص الرواية، وكشف دورها، وأهميتها في دلالات النصوص.

ج- صور الإحالة في الرواية:

لقد كان للبنية الإحاليّة دور مهّم في معمار النصّ الروائي عند (خليفة حسين مصطفى)، حيث أجادَ استخدامها الاستخدام الأمثل، وحقق بها التلاحم بين أجزاء النصّ (السبك) والتماسك الدلالي في النصّ (الحبك) الَّتي تحقق الصلابة، والوحدة الضرورية اللازمة لإبراز الطابع العلمي لأي نظام تفكير[3].

الإحالة خارج النصّ:

"إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي"[4].

ومثال ذلك في الرواية نقرأ في المقطع الثاني نصّ مواري:

- قالت عزيزة برقة.
- [هذا أنت يا مسعود] كيف حالك؟
- أنا كما ترين لا ينقصني شيء، أنا بخير والحمد لله، وأنتِ؟[5].

---

(1) ينظر نسيج النص، للأزهر الزناد، ص: 118، وكذلك تحليل الخطاب، لبراون، ص: 230.

(2) ينظر المصدر السابق، ص: 119، وينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، لصبحي مبارك، ص: 70.

(3) ينظر السبك في العربيَّة المعاصرة، لمحمد سالم أبو عفرة، ص: 4-5.

(4) معاني النحو، لفاضل السامرائي: 90/1.

(5) الأرامل والولي الأخير، لخليفة حسين مصطفى، ص: 26.

فاسم الإشارة (هذا) عنصر إحالي يشير إلى خارج النصّ، وهو الخبر الَّذي أتى به مسعود، ولم يصرح به، وكذلك وجود عنصر إحالي آخر، وهو ضمير المخاطب [أنت][1].

وفي موضع آخر نقرأ:

- "وما علاقتي أنا بما وعدك به الوالي السابق؟
- لما تتفاجأ بالسؤال، وكل ما هناك أنَّهَا رفعت الوشاح عن وجهها، وهمست بصوت أبح"[2].

فالإجابة باسم المكان [هناك] الذي يحيل إلى وجه الأرملة وهو عنصر إشاري يقع خارج النصّ، والذي أكدَّ ذلك ضمير المتكلم [أنا][3].

وتظهر الإحالة خارج النصّ كثيراً في الحوارات بين الشخصيات، ومن ذلك ما نلاحظه في هذا القول: "لقد ترحمتم عليّ بالطبع، ولكني كما ترون كنت مطلوباً لشيءٍ آخر غير الموت لمصيبةٍ نزلت عليّ كالصاعقة، وبما أنَّكم أقرب النَّاس إِلَي نفسي، فقد دعوتكم لتقاسموني إيَّاها"[4].

حيث نجد عنصراً إحاليّاً، وهو [يا لمتكلم في تقاسموني] والمتكلم خارج النصّ الضمير [أنا][5].

وأيضاً قولهُ: "ولكنك لم تستدعنا وإنما جلبتنا إلى القلعة مقيدين بالحبال يا أخي يوسف"[6]، [نا] من الضمائر المتصلة للمتكلم مع غيره، أو للمتكلِّم المفرد مُعَظِماً نفسه"[7].

---

(1) ينظر معاني النحو، لفاضل السامرائي: 42/1.

(2) الأرامل والولي الأخير، لخليفة حسين مصطفى، ص: 54.

(3) ينظر معاني النحو، لفاضل السامرائي: 42/1.

(4) الأرامل والولي الأخير، رواية خليفة حسين مصطفى، ص: 66.

(5) ينظر معاني النحو، فاضل السامرائي: 42/1-43.

(6) الأرامل والولي الأخير، رواية خليفة حسين مصطفى، ص: 66.

(7) ينظر معاني النحو، لفاضل السامرائي: 42/1.

وهذه الإحالة تعمل على ربط السِّياق اللُّغوي في النصّ بالسِّياق الحالي خارج النصّ، ومن ذلك أيضاً: "وبكت ولم تكف عن البكاء حتَّى أبكت أمهَّا معها..."[1].

فالضمير المستتر في [لم تكف] هي، والتاء [في أبكت وبَكَتْ] هُمَا عنصرا إحالة خارج النصّ؛ لأنَّهما يحيلان إلى المتكلم والمخاطب[2].

ومن أمثلة الإحالة باسم الإشارة منها:

"... وأنا لعلمك يا مسعود لم أرث هذه الولاية عن أبي وجدي..."[3].

"وهل هذا كل شيء..."[4].

"لا هذه ولا تلك يا سيدي المحترم..."[5].

ولأَهميّة هذا النوع من الإحالة، فإنَّه يبدو في مواضع كثيرة على طول الرواية؛ لأَنَّهُ يحقق الترابط بين النصّ والمقام، وبين السِّياق اللُّغوي، وسياق الموقف بعناصره المتعدِّدة[6].

2- الإحالة داخل النصّ:

وهذا النوع من الإحالة يتم بين عناصر النص ذاته، وله صورتان: إحالة على السابق، وإحالة على اللاحق[7].

أ - إحالة على السابق:

وهذه الإحالة كثيرة جداً، فلا تكاد تخلو منها عبارة، ومن أمثلتها في الرواية: في المقطع السادس والعشرين: "وبتولي هذا العسكري المحترف، وهو في الخامسة والثلاثين من عمره دخل الصراع مع الثوار في طور جديد؛ إذ إنَّ القائد الجسور الَّذي كادَ أن يفقد رأسه في قضيّة غرامية، أنذر جنوده بحزم منذ البداية قائلاً لَهُم بأنَّهُ يفضل الموت على الهزيمة..."[8].

---

(1) الأرامل والولي الأخير، رواية خليفة حسين مصطفى، ص: 32.

(2) معاني النحو، لفاضل السَّامرائي: 44/1.

(3) الأرامل والولي الأخير، رواية خليفة حسين مصطفى، ص: 104.

(4) المصدر السابق، ص: 109.

(5) المصدر نفسه، ص: 109.

(6) نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية، عثمان أبو زنبد، ص: 230.

(7) ينظر المصدر السابق، ص: 106.

(8) الأرامل والولي الأخير، لخليفة حسين مصطفى، ص: 315.

في هذا النصّ تبدو عناصر الإحالة الداخليّة متعددة، ومتشابكة، ومنها ضمير الإشارة (هذا)، عنصر إحالي يعودُ على عنصر إشاري في النصّ، وهو [الحكم] المذكور قبل هذا النصّ بقليل، والهاء في [رأسه- أنَّهُ - جنودهُ] هذه الضمائر المتصلة تعود على العسكري إحالة على السابق، وضمير [الفصل هو] عنصر إحالي يعطي دلالة الاختصاص والتأكيد[1].

وفي المقطع الثلاثين نقرأ: "... لقد عانت في هذه المرحلة من حياتها في قرية الوادي..."[2]، فعنصر الإحالة في هذا النصّ العنصر الإشاري [هذه] عائد على سابق وهو عزيزة في النص قبله، وكذلك [تاء في [عَانَتْ] الهاء في حياتها] كل هذه العناصر، فهي عناصر ربط لا يستغني عنها أي نص.

ب- الإحالة على اللاحق:

وهذه يتأخر فيها العنصر الإشاري على العنصر الإحالي، فيحيل العنصر الإحالي على عنصر إشاري متأخر[3].

ومنه تقرأ في المقطع الحادي عشر: "... كما في هتافات الجماهير الَّتي تحيِّه كأخٍ أكبر، وصديق قديم، هذه اليد المراوغة الَّتي تصافحه هي بالتأكيد يد الوزير الأول..."[4].

فاسم الإشارة [هذه] يحيل على اللاحق [اليد]، ونقرأ أيضاً: "... أنَّ هناك احتفال سوف يُقام يوم الجمعة القادم لإنزال سفينة جديدة في البحر..."[5]، فقد أحيل على اللاحق باسم الإشارة [هناك]، وقد أدى دلالة التأكيد علاوة على الربط النصي[6].

---

(1) ينظر مجلة علوم اللغة [البنية الدلالية والإحالية لضمائر] ع[3]، أشرف عبد البديع، ص: 54.

(2) الأرامل والولي الأخير، لخليفة حسين مصطفى، ص: 364.

(3) ينظر نسيج النصّ، للأزهر الزناد، ص: 118-119.

(4) الأرامل والولي الأخير، لخليفة حسين مصطفى، ص: 131.

(5) المصدر السابق، ص: 135.

(6) ينظر الدلالة والكلام، محمد محمد داود، ص: 344.

"... تلك هي البداية، فمع إطلالة العام الميلادي الجديد حققت بحرية طرابلس نجاحات إضافية، وغير محسوبة..."[1].

حيث أُحيل باسم الإشارة (تلك) على عنصر إشاري متأخر [طرابلس]، والَّذي أكد عليها دلالة الضمير [هي]، فنقول [تلك هي طرابلس]، فقد أفاد ضمير الفصل دلالة الاختصاص[2].

ج- الإحالة النَّصية:

وتوصف بالإحالة المقطعيّة أيضاً؛ لأنَّهَا عبارة عن "إحالة عنصر معجمي على مقطع من الملفوظ، أو النصّ"[3]، والعنصر المعجمي قد يكون ضميراً، أو اسم إشارة، أو اسماً ظاهراً، وقد يكون جملة.

إذْ "تختصر هذه الوحدات الإحاليّة العناصر الإشارية، وتجنّب مستعملها إعادتها وتكرارها"[4].

والإحالة النصيَّة محدودة نسبياً في الإنجاز اللُّغوي قياساً بالإحالة المعجميَّة، أو الإحالة على اللَّفظ، فلا يلجأ إليهَا إلاَّ أحياناً، وقد وردت الإحالة النصيَّة في رواية الأرامل والولي الأخير في عدَّة مواضع نذكر منها: ففي المقطع الثالث عشر نقرأ: "... عندما وجدهُ صاحَ"،[5] فلفظ صاح بمعنى الصراخ، ويأتي هذا نتيجة الانفعال الشَّديد[6]، فهو يمثل عنصر إحالي يعود على مضمون النداء، والَّذي أكدَّهُ قوله: "...يا ألطاف الله إنَّني أراهُ كما أراك يا سيدي الباشا..."[7].

---

(1) الأرامل والولي الأخير، لخليفة حسين مصطفى، ص: 216.

(2) ينظر مجلة علوم اللغة [البنية الدّلالية والإحالية للضمائر]، ع3، أشرف عبد البديع، ص62-63. وينظر معاني النحو، لفاضل السامرائي: 44/1.

(3) نسيج النص، للأزهر الزناد، ص: 119.

(4) المصدر السابق، ص: 121.

(5) الأرامل والولي الأخير، ص: 167.

(6) الدلالة والكلام، لمحمد محمد داود، ص: 477.

(7) الأرامل والولي الأخير، ص: 167.

وهذه إحالة نصيَّة على السابق، وهو [صاح] والَّذي أكدها أداة النداء [يـــا][1]، فحقق الكاتب الاختصار الَّذي تقتضيهُ دلالة السِّياق.

وفي المقطع الثامن عشر "... كَمَا أنَّهُ كان مشهوداً له بالكفاءة، والنُّبل عكـــف هذا الْمَربِّي المثابر على تربيَّة ولي العهد، وإعداده كما يجب..."[2].

فاسم الإشارة هذا يعد عنصراً إحالياً نصيّاً يفسر [ما كان مشهوداً للمربي) في النصّ قبلهُ.

وفي المقطع التاسع عشر نجد عنصراً إحاليّاً نصيّاً، هو اسم الإشارة [ذلك] في قول زوجة المفتي: "لو أنَّ ذلك يحدث اليوم"[3]، في ردِّها على زوجهَا: "ومعنى ذلك أنَّه يأمر بقطع رأسه؛ لأنَّ سيِّدنا الباشّا حفظه الله لا يؤمن بحلول الوسط..."[4]، وقـــد حققت هذه الإحالة الاختصار، والتأكيد.

وفي المقطع الحادي والعشرين: "... لأنَّهُ لم يصادف في حياتـــه كـــل هـــذه الثروة النَّادرة من الزهور في مكان واحد، وقد يكون هذا بالتحديد ما دفعه إلـــى أن يعرض على مسعود الشحاذ مقاسمتَهُ في أرباح هذا الكنز الَّذي هو فوق ما يتخيَّـــل، ولكن هذا الأخير لم يُبَال بالعرض المغري"[5].

ويمكن ملاحظته في هذا النصّ تكرار اسم الإشارة [هذا- هذه]، وهو ما يؤكد دلالة التوكيد اللفظي[6]، وقوله: "... هو بعينه ذلك المتشرد"[7].

وقد اقتضى السِّياق هذه الإحالة لأداء دلالة الاختصاص، فاختص التشرد [بـــا مسعود الشحاذ]، وضمير الفصل كونه عنصراً إحاليّاً يفسر ما قبله، فإنه يؤدي أيضاً دلالة التوكيد كما يرى النحاة[8].

---

(1) ينظر شرح ابن عقيل، لمحيي الدين عبد الحمد: 255/3.

(2) الأرامل والولي الأخير، لخليفة حسين مصطفى، ص: 224.

(3) المصدر السابق، ص: 233.

(4) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(5) المصدر نفسه، ص: 257.

(6) ينظر شرح ابن عقيل، لمحيي الدين عبد الحميد: 206/3.

(7) الأرامل والولي الأخير، ص: 246، وينظر، ص: 242.

(8) ينظر مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري: 498/2.

ثانياً- الغموض:

أ- الغموض لغة:

تناولت المعجمات اللُّغوية بجذورها الاشتقاقيّة مادة: (غَمَضَ)، فذكرت طائفة من المعاني، كإغماض العين، والغامض المطمئن من الأرض، ويقال أمر غامض وكلام غامض غير واضح، وهذه المسألة غامضة: فيها غامض، ومعنى غامض: لطيف، وهذه لا شك أنَّها تدل على الخفاء، وعدم الوضوح، والبعد عن الظهور[1].

ويأتي الغموض بمعنى الإبهام (قال الفيروز آبادي: "أَغمض الكلام أبهمه، وهو بخلاف أوضحهُ"[2].

"والمبهم ما يصعب على الحاسة إدراكه إن كان محسوساً، وعلى الفهم إن كان معقولاً، والمبهم من الأشياء الخالص الَّذي في تميِّزه، ومن الأجسام المصمت، ومن الكلام الغامض لا يتحدد المقصود منه"[3].

وذكر الجوهري: "الغامض من الكلام بخلاف الواضح، وقد غَمُضَ غُمُوضَةً"[4].

واصطلاحاً: فقد اتفقت الدِّراسات الأصوليّة، واللُّغوية، والبلاغيَّة على أنَّ الغموض، ومرادفاتِه يعني "خفاء المعنى، أو عدم وضوحِه، أو تعدّدِه سواءً في المفردات، أم التراكيب"[5].

ومن المحدثين من يرى أنَّ معنى الغموض "أنَّك لا تحسم حَسْماً فيما تعنيه، أو تقصد إلى أن تعني أشياء عديدة، وفيه احتمال أنَّكَ واحداً آخر من شيئين، أو تعني كليهما معاً، وأنَّ الحقيقة الواحدة ذاتَ معانٍ عدّة"[6].

---

(1) ينظر لسان العرب لابن منظور: 1017/4 مادة [غ م ض].

(2) القاموس المحيط، للفيروز آبادي مادة (ب هـ م).

(3) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون: 74/1.

(4) صحاح اللُّغة وتاج العربيَّة، للجوهري: 318/3 مادة (غ م ض).

(5) العربية والغموض، لحلمي خليل، ص: 7.

(6) النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، هيمن ستانلي، ت: إحسان عباس، ص: 55.

والغموض جزء من التواصل اللُّغوي على مستوى النطق، وعلى مستوى الكتابة، إلاَّ أنَّهُ في الحدث اللُّغوي المنطوق أقل ظهوراً في الحدث اللُّغوي المكتوب، لما يتوافر للمستوى الأوّل من مصاحبات سياقيَّة غير لغوية، وحركيَّة، وصوتيّة، وإيمانية تعمل على رفع الإبهام، وهذا ما لا يتوافر في الكلام المكتوب إلاَّ موصوفاً، وحَتَّى مع الوصف، فإنَّهُ لا يرتقي إلى مستوى الأداء الفعلي، إلاَّ أنَّ التواصل اللُّغوي المنطوق غالباً ما يعتريه الغموض، واللبس، والَّذي يعبِّر عنه بعبارات مثل: ماذا تقصد؟ ماذا تعني؟ ماذا تريد أن تقول؟[1] وغيرها، وعلى الرغم من المصاحبات السِّياقية الَّتي أشرنَا إليها، فيما أسباب الغموض؟

ب أسباب الغموض:

للغموض أسباب عدّة من أهمها عدم إدراك، أو إهمال، أو غياب عناصر سياق الموقف، أو السِّياق الثقافي، أو السِّياق الحركي الإيمائي، أو السِّياق العاطفي؛ بمعنى غياب عنصر، أو أكثر من عناصر السِّياق الخارجي غير اللُّغوي، فإن الغموض، أو اللَّبس يقع غالباً نتيجةً لعزلهِ عن سياقهِ[2].

فاختلاف المستوى الثقافي مثلاً، أو المخزون المعرفي قد يكون سبباً في الغموض، كذلك غياب درجة الصوت، أو ملامح الوجه تكون سبباً في حدوث اللبس، وقد يحدث الغموض نتيجة لاستخدام المتكلِّم، أو الكاتب ألفاظاً غريبة غير مألوفة الاستعمال كما في هذه الجملة تناولها علماء الدلالة شاهداً على هذا اللَّون من الغموض: (الأفكار الخضراء عديمة اللون تنام بغضب)[3].

فالجملة صحيحة نحويّاً، ودلالات المفردات واضحة، ومع ذلك فهي مبهمة لا يبدو لها معنى.

---

(1) ينظر العربية والغموض، لحلمي خليل، ص: 17.

(2) ينظر المصدر السابق، ص: 37.

(3) ينظر المصدر نفسه، ص: 33.

ومن ذلك يتَّضح أنَّ الغموض يرجع في مجمله إلى مشاكل في السِّياق، سواء السِّياق الخارجي، ويشمل سياق الموقف، والسِّياق الثَّقافي، وكذلك السِّياق اللُّغوي بمكوناتِه النحوية، والصَّرفية، والصوتيَّة.

والعمل الأدبي لا يحدِّد مدلولهَ بمجموع الكلمات المفردة، أو حتى مجموع الجمل المكونَّةُ لَهُ، فكل جملة يتغير مدلولها بتغيرُّ السِّياق الَّذي ينتظمُهَا[1].

إلاَّ أن الغموض قد يكون مقصوداً من المتكلِّم، أو الكاتب لأغراض دلالية، ولكن أين يكون هذا النوع من الغموض؟

ج- الغموض في الأدب:

يؤدي الغموض في الأدب دَوراً مهمّاً، فهو يسمح بانفتاح النصّ على فضاءات دلالية رحبة، ويعمل على إثارتها في ذهن المتلقّي ليكون النصّ المنتج نطقاً، أو كتابةً عند المتلقي عبارة عن إعادة إنتاج النصّ، ومعرفة السِّياق الخارجي -فوق ذلك كلّه- تساعدنا في دراسة الأعمال الأدبيَّة المتكاملة[2].

"والمراسلة التي تشغل وظيفة جماليّة عندما تكون مبنيّة بشكل غامض، وتظهر كاستنباط ذاتي، أي: عندما تسعى لِلفتِ انتباه المرسل إليه (القارئ) إلى شكلها بالذات قبل أي شيء آخر"[3].

فمن أغراض الغموض في الأدب تحقيق الجمالية؛ "لأنَّ غاية الفن أن ينتقل الإحساس بالأشياء عندمَا تدرك، وليس عندما تعرف، وتقنية الفن هي جعل الأشياء (غربية)، وجعل الأشكال صعبة، ومضاعفة صعوبة لإدراك وطولِه؛ لأَنَّ عملية الإدراك غاية جماليَّة بنفسها، وينبغي أَن يطول أمدها"[4].

فصعوبة إدراك المعنى، والدّلالة هي من السِّمات الجماليَّة في العمل الأدبي بل من مميزاتِه، وهذا ما سبق إليه الجرجاني غيرهُ، "وهو أنَّ المعنى إذا أتاك ممثّلاً،

---

(1) ينظر اللغة والإبداع، لشكري عياد، ص: 128-129.

(2) ينظر دراسة الأدب العربي، لمصطفى ناصف، ص: 130.

(3) إشارة اللغة ودلالة الكلام، لموريس أبو ناصُر، من ترجمة المؤلف لفصل من كتاب (البنية الغائبة) (إمبرتوإيكو)، ص: 253.

(4) نظرية الأدب في القرن العشرين، نيوتن، ت: عيسى علي العاكوب، ص: 22.

فهو في الأكثر ينجلي لكَ بعد أن يحوجكَ إلى طلبه بالفكرة، وتحريك الخاطر له، والهمَّة في طلبه، وما كان منه ألطف كان امتناعه عليك أكثر، وإباؤه أظهر، واحتجابه أشد"[1].

وبذلك تكون القراءة معاناة مستمرة في ملاحقة المعنى وبلوغه، والغموض في المجال الأدبي يمثِّل مظهراً دلاليّاً يحقق من خلاله المنتج أغراضاً جماليّة، ودلاليّة معتمداً في ذلك على السياق بعناصره المختلفة، وهذا النوع من الغموض هو الّذي نقصد إلى تحليله في الرِّواية[2].

في المقطع الثاني: "فيما لا يزيد عن أربع ساعات تمكن مسعود الشحاذ الَّذي وضع الخبر في كفه كالماسة، وأخذ في عرضه على الناس بحجم المصيبة الَّتي حلَّت بالقهوجي..."[3].

فلفظ [المصيبة] يمثل عنصراً غامضاً، ويثير العديد من الاستفهامات في ذهن القارئ وغياب عنصر من عناصر سياق الحال، وهو المكان، فالمكان غير معروف، ثُمَّ يشرع في إزالة الإبهام عنها شيئاً فشيئاً من خلال السِّياق بمستوياته المختلفة اللُّغوية والحاليّة، والثقافيَّة، والنفسيَّة، والحركية[4].

وفي نفس المقطع نقرأ "تمكنت من الدخول على الوالي في قاعة الاجتماعات ثُمَّ لطمتها بفردة صندلها..."[5].

"كانت صغيرة إذ ذاك، فلم يغرها هذا العرض المفتوح على سماوات فسيحة تجوبها حمائم بيضاء، ونجوم وزغاريد تسمع في كلِّ أرجاء المدينة"[6].

---

(1) أساس البلاغة، لعبد القاهر الجرجاني، ص: 120.

(2) ينظر العربية والغموض، لحلمي خليل، ص: 17، وينظر: دراسة الأدب العربي، لمصطفى ناصف، ص: 130.

(3) الأرامل والولي الأخير، ص: 23.

(4) ينظر العربية والغموض، لحلمي خليل، ص: 17.

(5) الأرامل والولي الأخير، لخليفة حسين مصطفى، ص: 30.

(6) المصدر السابق، ص: 31. وينظر، ص: 44-93-117-124.

فلفظا [الصندل- الزغاريد] يمثلان عنصرين غامضين يختلف وضوحها من قارئ لآخر، وهذا الغموض لا ينكشف إلا بعد قراءة ثلاث صفحات.

وفي المقطع الثالث نقرأ: "ولكنّه سوف ينهض بها برغم ثقلها..."[1].

فقد تضمنت هاتان العبارتين أكثر من مجهول، فالعنصر الإشاري الّذي يحيل عليه الضمير (ها) لا نعرف عنه شيء سوى أنه عائد على مؤنث في كلمتي (ثقلها- يسرقها)، فالمؤنث العائد عليه غامض، وغير معروف.

ونقرأ أيضاً في المقطع الثالث: "وهو الّذي يقوم بترحيلهم إلى الدار الآخرة في أكياس من الخيش وفي جنازات ليليه صامته..."[2].

فلفظ (الخيش) يبدو في هذا الوضع غامضاً؛ لأنّ الجنازة تعدُّ لها أشياء خاصة، فاستُعْمِل أكياس الخيش في غير موضعه، فتختلف من حيث الغموض من قارئ لآخر.

وفي نفس المقطع نقرأ: "غادر قائد الحرس دون أن ينطق بشيء"[3]، فهذه العبارة لا تتضح دلالتها؛ لأنّها تعطي العديد من الاستفهامات (لماذا غادر) (إلى أين غادر)، وهذا الاستفهام، كأنّهُ لغز لا يتضح إلاّ بعد خمس صفحات.

وفي المقطع الرابع: "ثُمَّ صياحه بصوت أقرب إلى الاستغاثة"[4]، الغموض في هذه العبارة هو غياب أحد عناصر السياق الحركي، وهو انتقال الصوت من الصياح إلى الاستغاثة لا بُد له من وجود شيء غامض جعل هذا الانتقال، ويتضح هذا الغموض في آخر المقطع.

وفي المقطع الثاني نقف على قول مسعود الشحاذ: "وقد يكون في الأمر مكيدة"[5].

---

(1) الأرامل والولي الأخير، لخليفة حسين مصطفى، ص: 45.

(2) المصدر السابق، ص: 49.

(3) المصدر نفسه، ص: 50-56.

(4) المصدر نفسه، ص: 57، وينظر، ص: 60-71-75-79.

(5) المصدر نفسه، ص: 28.

وفي المقطع الثاني عشر نقف على قول قائد الحرس: "لقد أطلعه قائد الحرس على مؤامرة الشحاذ"[1].

وفي المقطع الرابع والعشرين قوله: "قد تكون مكيدة يا سيدي الباشا..."[2].

فلفظ (المكيدة- والمؤامرة) يكتنفه الغموض لغياب مضمونها، وحقيقتها المقصودة بخلاف معناها الأساسي (الفعل الماكر)، فدلالة المكيدة الَّتي قصد بها الكاتب، وهي مكيدة الشَّحاذ الَّذي أراد إزالة القهوجي من السلطة.

وفي المقطع السادس عشر قوله: "أتمنى لك رحلة طيبة ولكن متى ستعودين؟".

"سأَبْقي هناك عام، أو عامين لا أدري، وقد لا أعود أبداً..."[3].

[فعبارة متى ستعودين] يحمل هذا الاستفهام معنى التمني، وكذلك الاستدراك[4].

ثُمَّ يتضح الغموض بالعنصر الإشاري [هناك][5]، ثُمَّ يعود إلى الغموض في قوله (قد لا أعود أبداً).

وفي المقطع الحادي والعشرين: "أعرف كل شيء، بقع الدّم، والطفل المسكين الَّذي ما زال يتألم حتَّى، وهو ميِّت في قبرهِ لولا تلك الزهرة الحمراء لظلَّ يبكي إلى الأبد"[6].

نجد في قول [كل شيء] إبهاماً جديداً هو التركيب المضاف، وهذا الغموض لا ينكشف إلاَّ بعد قراءة ثلاث صفحات من المقطع.

وفي المقطع التاسع والعشرين نقرأ: "كيف؟ ونحن نقضي عمرنا في هذا الخن، وحتَّى الهواء شبه محرمٌ علينا؟؟".

---

(1) الأرامل والولي الأخير، رواية خليفة حسين مصطفى، ص: 148.

(2) المصدر السابق، ص: 303.

(3) المصدر نفسه، ص: 196.

(4) ينظر معاني النحو، لفاضل السامرائي: 285/1.

(5) ينظر المصدر السابق: 88/1.

(6) الأرامل والولي الأخير، لخليفة حسين مصطفى، ص: 249.

فلفظ [الخن] يحمل نوعاً من الغموض غير واضح الدّلالة، ثُمَّ يعمل سياق النصّ على كشف تلك الدلالة.

ومن خلال تناول مظهر الغموض كونه أحد المظاهر السّياقية في رواية (الأرامل والولي الأخير) ندرك أنَّهُ لم يظهر في الرواية عبثاً، أو مصادفة بل كان بقصد من الكاتب ليحقق به عناصر التشويق والمفاجأة، وقد أبْدَع الكاتب في ذلك لشدّ القارئ إلى النصّ، وجعله في حالة من التشويق المستمر لإدراك الدّلالة.

النتائـــج

تم بفضل الله، وعونه هذا البحث الذي خصصناه لدراسة الـسِّياق اللُّغـوي وأثره في دلالة النص عند خليفة حسين مصطفى من خلال رواية الأرامل والولي الأخير، وقد أحصت هذه الدِّراسة نتائج عدة هي:

- خليفة حسين مصطفى ولد في طرابلس عام 1944، وبها تلقى تعليمه الأول له العديد من الكتابات سواءً على مستوى الرواية، أو القصة، أو المقالـة، أو المسرحية.
- اتسم الكاتب بالعلم الغزير، والثقافة الواسعة، وقد تميّز أسـلوب الروائـي (خليفة حسين مصطفى) على السرد، والوصف، كما أنَّ أغلـب رواياتـه تتحدث عن الواقع؛ لأنَّ الكاتب واقعي.
- اهتمَّ خليفة حسين مصطفى، بالوصف المكاني وهذا ما نجدهُ فـي روايـة (الأرامل والولي الأخير).
- اعتمد الكاتب في روايته على ضمير الغائب، وهذا ما نجده عنـد نجيـب محفوظ.

وقد درس البحث الجانب الدلالي وتوصل إلى:

- اهتمام الإنسان منذ القديم بالدّلالة على مر العصور، حتى العصر الحديث، ولقد كان لعلماء المسلمين دور بارز، فاهتمّ بها اللُّغويين، وعلماء البلاغـة، وعلماء الأصول، وغيرهم.
- علماء اللغة ربطوا بين النحو والدلالة، فجعلوا العلامة الإعرابيّة دالة علـى المعنى.
- تقسيم الدّلالة على ثلاثة أنواع:

أ – دلالة لفظيّة.

ب– دلالة معنويّة.

ج– دلالة صناعيّة.

- اهتمام علماء البلاغة بدراسة علم الدّلالة، فنظروا في اللّفظ، وعلاقته بالمعنى، وفي التركيب، وأدائِهِ للمعنى من حيث الحقيقة والمجاز، والأساليب الخبريَّة، والإنشائية.
- ربط علماء البلاغة بين ثلاثة عناصر: المعنى، والصورة، والشيء في الذِّهن، ووضعوا هذه العلاقة في شكل سمي (بالمثلث الدّلالي).
- اهتمام علماء الأصول، والمفسرين ببعض القضايا اللُّغوية المرتبطة بالأحكام الأصولية مثل: (المشترك اللّفظي، الأضداد).

تقسيم علماء الأصول الدّلالة إلى ثلاث أنواع:

أ – دلالة المطابقة.

ب– دلالة التضمين.

ج– دلالة الالتزام.

وقد دُرس في هذا البحث أيضاً نظرية (السِّياق):

- فمن الظواهر اللُّغوية الّتي حظيت بعناية واسعة عند علماء الغرب (ظاهرة السِّياق)، حيث وضعوا نظريّة تهتم بتحليل الكلام ودلالتِهِ عرفت (بالنظرية السِّياقيّة).
- فالسِّياق يمتد على مساحة واسعة من الركائز تبدأ باللُّغة من حيث مبانيها، وعلاقاتها النحَّوْيّة، ويشمل هذا السِّياق على العناصر غير اللُّغوية، مثل: ظروف المتكلِّم، والمخاطب، وعلى المقام، والقرينة الاجتماعية من تقاليد، وعادات، فالكلام تتحدَّدُ دلالته المقصودة، وتتضح في ضوء السِّياق المصاحب لَهُ.
- فالسِّياق بجميع مستوياتِه اللُّغوية، والغير لُغويّة يكمِّل أحدهُمَا الآخر فلا يمكن الاستغناء عن أحدهما في فهم معنى النصّ.
- والسِّياق يعطي الشكل التَّركيبي للعبارة بحيث يكون هناك تفاعل أكيد بينهما، وكلَّمَا أتيح لنا رصد السِّياقات الّتي تحيط بعَمليّة الإبداع استطعنا تفهم الكثير من العلاقات التركيبيّة بين أجزاء الكلام.

- إنَّ العلماء المسلمين تنبَّهُوا لظاهرة السِّياق منذ ما يقرب من ألف عام حينما درسوا فكرتي المقام، والمقال، ومنهم اللُّغويون، والبلاغيون، وعلماء أصول الفقه.
- إنَّ السِّياق الخارجي يرتبط بالنصّ، ويتفاعل معه، ويكشف دلالاته.

وقد عالجنا في هذه الدِّراسة السِّياق على مستوى التحليل، ويتكون من عدَّة عناصر، السِّياق اللُّغوي، وهو السِّياق الدَّاخلي، وسياق الموقف، والسِّياق العاطفي، والسِّياق الثَّقافي الاجتماعي، والسِّياق الحركي الإيمائي الصَّوتي، وهذه السِّياقات تندرج تحت السِّياق الخارجي.

- فقد كان الكاتب لرواية (الأرامل والولي الأخير) دور بارز في وصف السِّياق، وإبراز دلالات النصّ، حيث جعله مبدعاً، ووصف أجزاء السِّياق، وأشار إلى أبسط الأشياء باعتبارها عناصر سياقية لها أثر مُهِمٌ في الدَّلالة.
- وأخير وصلنا إلى مظاهر السِّياق، فَهُنَا حاول البحث أن يتلمس دلالاتها بعد حصرها، وتقسيمها إلى مباحث:

الأوَّل: تَأثر البنيَّة النصية في المواقف الحوارية في الرِّواية بالسِّياقات المختلفة، فيبدو ذلك واضحاً في الحذف، والتنغيم بدرجاته المختلفة، والتقديم والتكرار، فيكسب النصّ بذلك قيمة وجاملاً.

- الحذف باعتباره مظهراً سياقياً على مستوى اللَّفظ، والتركيب، فأعطى لسِّياق جمالاً، وإثراءاً للدّلالة، وبعداً عن الركاكة.
- ومن مظاهر السِّياق التنغيم، وقد تفطن له العلماء في وقت مبكِّر من بينهم سيبويه، وابن جني، وابن سينا، وغيرهم، وقد كان التَّنغيم في الرِّواية واضح المعالم، وبخاصة في وصف درجة الصوت، حيث كان لها أثر كبير في توجيه الدَّلالة، والإفصاح عن حالة المتكلِّم النفسيِّة.

الثاني: اعتمد خليفة حسين مصطفى على مظهر التكرار بشكل واضح في أغلب ألفاظ الرِّواية من خلال مقاطع مختلفة على مستوى اللَّفظ، أمَّا على مستوى التركيب، فقد كان التكرار أقل، فمن خلال هذا المظهر تحققت آثار دلاليَّة متعدِّدة.

الثالث: الإحالة والغموض:

- تعدُّ الإحالة مظهراً سياقياً تعمل على ربط السِّياق النصِّي، بالسِّياق الخارجي، فتجسد عدَّة دلالات في ذهن القارئ، فتعمل على ربط أجزاء النصّ ببعضه البعض.
- الغموض من مظاهر السِّياق، ولكن الكاتب في هذه الرواية لم يكن غامضاً، إلاَّ في أجزاء بسيطة من مقاطع الرِّواية سواءاً على مستوى اللَّفظ، أو التركيب، فالغموض يحقق عنصر التشويق، والمفاجأة داخل النصّ.

تلك كانت أهم نتائج البحث، ولا ندّعي القول إنَّنا أحطنا بكل جزيئات ظاهرة السِّياق وحدودهَا، ولا أنَّنا وقفنا على جميع مظاهرها وآثارها فهي -بلا شك- ظاهرة متعدِّدة الأركان، ومتشعّبة المسالك تحتاج منَّا إلى أبحاث عدَّة، وأخيراً فإنَّ الباحثة لا تزعم أنَّهَا قد أعطت البحث حقَّهُ من البحث والدِّراسة، وما هذا إلاَّ محاولة متواضعة في ذلك الطريق قد تفتح هذا الدِّراسة مفتاحاً لدِّراسات لُغوية أخرى فما التوفيق إلاَّ بإذن الله، وذلك لا يبرئ الباحثة من الوقوع في الخطأ، فكلُّنا بشر، نخطئ ونُصيبُ، وأخيراً نَدْعُو الله أن يلهما الصواب.

وما توفيقي إلا بالله

الباحثة

الفهـــارس

أوّلاً : فهـرس الآيـــات القرآنيـــة

السورة	الآيـــــــــة	رقمها	الصفحة
الفاتحة	﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾	5	136
البقرة	﴿ وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾	43	32
البقرة	﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾	73	110
البقرة	﴿ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾	165	112
البقرة	﴿ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ ﴾	237	ج
آل عمران	﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾	7	أ
الأنعام	﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾	27	112
الأعراف	﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ ﴾	160	106
الرعد	﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ ﴾	31	105

الأنبياء	﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ ﴾	30	18
النمل	﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴾	5	127
النمل	﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴾	29	105
الأحزاب	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ﴾	56	32
الزمر	﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾	73	105
الدخان	﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾	49	48
المجادلة	﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ ﴾	21	108
الحشر	﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾	9	أ
الصف	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾	10	15
المدّثر	﴿ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾	19 20	130
القيامة	﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴾	34 35	130

الضحى	﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾	3	108
التكاثر	﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾	3، 4	126

ثانياً: فهـــرس الأحاديث

م	بدايـــــة الحديـــث	الصفحة
1-	"لا يشكر الله من لا يشكر الناس"	ج

ثالثاً: فهـــرس الأشعار والأقوال المأثورة

م	البيت	الصفحة
1-	وصكَّت وجها بِيمينهـــا أبَعْلي هذا بالرحَى المتقاعِـــــسُ!	44

رابعاً: فهـــرس الأعلام

م	العلـــم	الصفحة
1.	أبا هلال العسكري.	26
2.	إبراهيم أنيس.	36
3.	ابن الأثير	130-127
4.	أحمد مختار.	36
5.	أرسطو.	18
6.	الأزهر الزناد.	143
7.	أفلاطون.	18
8.	أوجدن.	34-16
9.	أومر.	40
10.	برونسلا.	50
11.	تشومسكي.	35
12.	تمام حسان.	36
13.	الثعالبي.	20
14.	الجاحظ.	26
15.	ابن جني	19، 44، 45، 104
16.	الجوهري.	114-103- 151-142
17.	حلمي خليل.	36
18.	حازم القرطاجني.	46-31-29- 143-47
19.	ابن خلدون	15
20.	خليفة حسين مصطفى.	76-65-11- 112-94-77
21.	الخليل بن أحمد الفراهيدي.	19
22.	دور كايم.	50
23.	ابن رشيق	**27**

م	العلـــم	الصفحة
.24	ريتشارد.	34-16
.25	الروماني.	105
.26	الزمخشري.	112-106-29
.27	ستيفن أولمان.	51-34-17
.28	سبنس.	41
.29	سعد مصلوح.	123-68
.30	سيبويه.	-45-22-21 116
.31	ابن سينا	117-23
.32	السيوطي.	25
.33	الشاطبي.	48
.34	عبد السلام المسدي.	36-16
.35	عبد القاهر الجرجاني.	-108-28-27 134
.36	ابن فارس	126-23-20
.37	فيرث.	61-17
.38	الفيروز آبادي.	151
.39	ابن قيم الجوزية	48
.40	الكسائي.	22
.41	لاينز.	51
.42	محمد حسنين أبو موسى.	103
.43	محمود السعران.	36
.44	هالدي.	50
.45	ابن هشام الانصاري	109-103
.46	وانتوش.	50

خامساً: فهـــرس الأماكن

م	المكان	الصفحة
1-	أمريكا.	35
2-	بنغازي.	9
3-	سبأ.	105
4-	طرابلس.	9
5-	لندن.	9

سادساً- فهـــرس المصـــادر والمراجـــع

أوّلاً- الكتب والمعاجم:

- القرآن الكريم بالرسم العثماني، رواية حفص عن عاصم، دار بدر للطباعة والنشر.

1- أحكام أهل الذمة، الإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية، (751هـ)، تحقيق: سيد عمران، دار الحديث، القاهرة.

2- الأرامل والولي الأخير، خليفة حسين مصطفى، دار الجماهيرية للطباعة والنشر (رواية) (ط1)، 2005ف.

3- أساس البلاغة، جار الله أبي القاسم محمود عمر الزمخشري، (ت467هـ)، دار صادر، بيروت، (لا.ط)، 1979.

4- أسرار العربيَّة، تأليف: أبو البركات الأنباري، تحقيق: محمد بهجة البيطار، مطبعة الترقي، دمشق، 1985م.

5- الأسلوبية والأسلوب، د. عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، (ط)، تونس.

6- إشارة اللُّغة ودلالة الكلام، موريس أبو ناضر، دار المختارات لنشر، بيروت، (ط1)، 1990م.

7- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، أبو محمد عبد الله بن هشام الأنصاري، (ت761هـ)، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت (لا.ط).

8- البحث اللُّغوي عند الهنود، أحمد مختار عمر، دار الثقافة، بيروت، (ط1)، 1972م.

9- بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، دار الشرق، بيروت، (لا.ط).

10- بغية الوعاة في طبقات اللغويين، للحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، بالقاهرة.

11- بلاغة الخطاب وعلم النصّ، صلاح فضل، كتاب عالم الفكر، الكويت، (لا.ط)، 1992م.
12- البنى التصورية واللسانيات المعرفية، بو شعيب راغبن، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2011م.
13- بنية العقل العربي، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، (ط2)، 1987.
14- بنية النصّ السردي من منظور النقد الأدبي، حميد الحمداني، (ط2)، 1993، المركز الثقافي، بيروث.
15- البيان والتبيين، عمر بن بحر بن عثمان الجاحظ، (ت255هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، (لا.ط).
16- تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، 1999م.
17- تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار، دار المعارف، (ط4).
18- التصور اللُّغوي عند علماء أصول الفقه، السيد أحمد عبد الغفار، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، (لا.ط)، 1995م.
19- التطبيق النّحوي، عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (لا.ط)، 1988م.
20- التعريفات الشريف علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، 1998م.
21- تفسير النصوص في الفقه الإسلامي، محمد أديب صالح، المكتب الإسلامي، بمصر القاهرة، (ط3)، 1372هـ.
22- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (القرطبي)، تحقيق: محمد بيومي، مكتبة الإيمان، (لا.ط).
23- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت395هـ)، تحقيق: محمد النجار، دار الهدي للطباعة والنشر، بيروت، (ط1)، 1993.

24- دراسة الأدبي العربي، مصطفى ناصف، دار الأندلس، (ط3)، 1983م.
25- دراسات في القرآن، السيد أحمد خليل، دار المعارف، بمصر، القاهرة، (لا.ط)، 1992م.
26- دراسات لغوية وتطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، (لا.ط).
27- دراسة الصوت اللُّغوي، أحمد مختار عمر، عالم الكتب القاهرة، (لا.ط)، 1991م.
28- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، (ط1)، 1979م.
29- دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (ط4)، 1980م.
30- الدلالة والكلام، محمد محمد داود، دار غريب للطباعة والنشر، (لا.ط)، 2002م.
31- دليل المؤلفين العرب واللِّيبيين، دار الكتب الوطنية، ط1، 1977.
32- السَّبك في العربية المعاصرة، محمد سالم أبو عفرة، مكتبة الآداب، (ط1)، القاهرة، 2010ف.
33- الشاطبي ومقاصد الشريعة، حمادي العبيدي، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، (ط9)، 1992م.
34- شرح ابن عقيل، على ألفية ابن ماك، بهاء الدين عبد الله بن عقيل، (ت769هـ)، تحقيق: محمي الدين عبد الحميد (ط2).
35- الشفاء (الخطابة) ابن سينا أبو علي الحسين بن عبد الله، تحقيق: محمد سليم سالم، وزارة المعارف، القاهرة، (لا.ط)، 1954م.
36- الشفاء (العبارة)، ابن سينا، تحقيق: محمود الخضيري، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، (لا.ط)، 1970م.
37- الصاحبي في فقه اللُّغة، ابن فارس، تحقيق: عمر فاروق الطّباع، مكتبة المعارف، بيروت، (ط1)، 1993.

38- صحيح مسلم، لابن الحاج (ت216هـ)، المطبعة المصرية، القاهرة، 1949م.
39- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، 1995م.
40- الطريف في علم التصريف، عبد الله محمد الأسطى، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1992م.
41- ظاهرة التأويل وصلتها باللُّغة، السيد أحمد عبد الغفار، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (لا.ط).
42- العربيّة وعلم اللُّغة البنيوي، حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية (لا.ط)، 1988م.
43- العربية وعلم اللُّغة الحديث، محمد محمد داود، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، (لا.ط).
44- العربية والغموض، حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988م.
45- علم الأصوات، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو، 1990، (ط3).
46-علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، أحمد نعيم الكراعين، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، (ط1)، 1993م.
47-علم الدّلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، (ط4)، 1993م.
48- علم الدلالة دراسة وتطبيق، نور الهدى لوشن، منشورات جامعة قاريونس.
49-علم الدّلالة والمعجم العربي، أبو شريفة وآخرون، الأردن، عمان، 1981م، (لا.ط).
50- علم اللغة (الأصوات)، كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، (ط6)، 1980م.
51-علم اللُّغة مقدِّمة للقارئ العربي، محمود سعران، دار النهضة العربية، بيروت، (لا.ط).

52- علم لغة النصّ المفاهيم والاتجاهات، سعيد بحيري، (ط1)، الشركة المصرية العالمية للنشر، 1997م.
53- علم اللُّغة النَّصي بين النظرية والتطبيق، صبحي مبارك، المؤسسة العربية للدِّراسات والنشر، بيروت، (ط1)، 2000م.
54- العمدة في محاسن الشعر، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت456هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، 1987م.
55- في أصول النحو، سعيد الأفغاني، المكتب الإسلامي، بيروت، 1984م.
56- في علم اللُّغة، غازي مختار طليمات، دار طلاس للنشر، (ط2)، 2000م.
57- في معرفة النصّ، يمني العيد منشورات، دار الآفاق، بيروت، لبنان، (ط3)، 1985م.
58- القاموس المحيط، للفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط1)، 1986م.
59- قضايا السرد، بخيت محفوظ، وليد النجار، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (ط1)، 1985م.
60- الكتاب، أبو بشر عمر بن عثمان سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، (ط1).
61- كتاب الحيوان، عمرو بن بحر بن عثمان الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، (لا.ط)، 1947م.
62- كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبي الفضل، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، (لا.ط)، 1971م.
63- كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي (175هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي، فاضل السامرائي، منشورات الأعلمي، 1988.
64- الكشاف، محمود بن عمر الزمخشري، (ت538هـ)، تحقيق: مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت، (لا.ط).
65- لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي، (ت 911هـ)، تحقيق: بديع السيد اللحام، دار الهجرة، بيروت، (ط1)، 1990م.

66- لسان العرب، محمد بن منظور الأنصاري، قدّم له العلاّمة، الشيخ: عبد الله العلايلي، دار الجيل، بيروت، (لا.ط)، 1988م.
67- اللّغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، (لا.ط).
68-اللغة والإبداع، شكري عياد، (ط1)، 1988م.
69-المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتح نصر الدين، محمد عبد الكريم بن الأثير، (ت637هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الدار النموذجية، بيروت، (لا.ط)، 1990م.
70- مختارات من الرواية المغاربية المعاصرة، بوشوشة بن جمعة، بيت الحكمة قرطاج، تونس، 1992م.
71- مدارس النقد الأدبي الحديث، محمد عبد المنعم خفاجي، الدار المصرية اللبنانية، (ط1)، 1995م.
72-المزهر في علوم اللُّغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل وآخرون، المكتبة العصرية، بيروت، (لا.ط)، 1987م.
73- مسند الإمام بن حنبل الشيباني، (ت 241هـ)، دار الفكر، بيروت، (ط2)، 1978م.
74- معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، الأردن، (ط4)، 2009م.
75- معجم الأدباء والشعراء الليبيين، عبد الله سالم مليطان، دار المداد للطباعة والنشر، طرابلس، (ط1)، 2001م.
76- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، (لا.ط).
77- معجم الرائد، جبران مسعود، دار العلم للملايين، (ط5)، 1986م.
78-معجم القصاصين الليبيين، عبد الله سالم مليطان، دار مداد للطباعة والنشر، طرابلس، (ط1)، 2001م.
79- معجم المؤلفين وعمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (لا.ط).

80-معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، المؤسسة العربية لناشرين المتحدين، تونس، (ط1)، 1980م.
81-المعجم المفصل في علوم اللُّغة، محمد التونجي، راجي الأسمر، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، 1993م.
82- المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، مجمع اللُّغة العربية، القاهرة، (ط3).
83- معيار العلم في فن المنطق، أبو حامد الغزالي، (ت505هـ)، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، (لا.ط)، 1969.
84- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، أبو محمد عبد الله بن هشام الأنصاري، (ت761هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الشام للتراث، (لا.ط).
85- المقدِّمة، ابن خلدون، دار الكتاب العربي، بيروت، (ط2)، 1998م.
86- مناهج البحث في اللُّغة، تمام حسان، دار الثقافة للنشر، الدار البيضاء، (لا.ط)، 1985م.
87- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تحقيق: محمد بن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، (لا.ط)، 1966م.
88- مواد البيان، علي بن خلف الكاتب، تحقيق: حسين عبد اللطيف، منشورات جامعة الفاتح، (لا.ط)، 1982م.
89- الموافقات في أصول الشريعة، أبو إسحاق الشاطبي، تحقيق: الشيخ عبد الله درّاز وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، (لا.ط).
90-الموسوعة العربية الميسرة، محمد شفيق غربات، دار إحياء التراث العربي.
91- نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية، عثمان أبو زنيد، عالم الكتب الحديث، (ط1)، 2009م.
92- نحو النص بين الأصالة والحداثة، أحمد عبد الراضي، مكتبة الثقافة الدينية، (لا.ط).

93- نسيج النصّ، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، بيروت، (ط1)، 1993.
94- النكت في إعجاز القرآن، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، (ت386هـ)، تحقيق: محمد خلف، محمد زغلول، طبعة دار المعارف، (ط2)، 1968م.
95- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي، تحقيق: بكري شيخ أمين، (ط1)، بيروت، 1985م.
96- الوجيز في علم الدّلالة، علي حسن مزبان، دار شموع الثقافة، الزاوية، (ط1)، 2004م.
97- وصف اللُّغة العربية دلاليّاً، محمد محمد يونس، منشورات جامعة الفاتح، (لا.ط)، 1993م.

ثانياً- الكتب الأجنبيّة المترجمة إلى العربيَّة:

1- أسس علم اللُّغة، لماريوباي، ترجمة: أحمد مختار، (ط2)، 1983، عالم الكتب.
2- تحليل الخطاب، جورج براول، ترجمة: محمد الزليطني، د. منير التريكي، جامعة الملك سعود، الرياض، (لا.ط)، 1997م.
3- دور الكلمة في اللُّغة، ستفين أولمان، ترجمة: كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر، بيروت، (لا.ط)، 1987م.
4- علم الدّلالة، ستيفن أولمان، ترجمة: كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر، بيروت، (لا.ط)، 1980م.
5- علم اللُّغة الاجتماعي، هدسون، ترجمة: محمود عياد، (لا.ط)، دار عالم الكتب، القاهرة، 1990م.
6- اللُّغة، جورج فندريس، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (لا.ط)، 1950م.

7- اللُّغة والمعنى والسِّياق، جون لاينز، ترجمة: عباس صادق عبد الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (لا.ط)، 1987م.
8- النصّ والخطاب والإجراء، روبرت بوجراند، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، 1998م.
9- نظرية الأدب في القرن العشرين هـ.م، نيوتن، ترجمة: عيسى علي العاكوب، دار عين للدِّراسات والبحوث الإنسانية، (ط1)، 1996.
10- النقد الأدبي ومدارسهُ الحديثة، هيمن ستَانلي، ترجمة: إحسان عباس، ومحمد يوسف نجم، دار الثقافة، بيروت، (لا.ط)، 1960م.

ثالثاً- أهم الدّوريات العربيّة:

1- بحث في دراسة النصّ، د. عبد الجبار المطلبي، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، [ع16]، 1999م.
2- علم النصّ، أسسه المعرفيّة وتحليلاته النقديَّة، جميل عبد المجيد حسين، مجلة عالم الفكر، الكويت، مجلة [32]، [ع2]، 2003م.
3- في علوم اللُّغة (البنية الدلالية والإحالية للضمائر) أشرف عبد البديع، المجلد التاسع، [ع3]، 2006م، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة.
4- من النصّ إلى النصّ المترابط، د. سعيد يقطين، مجلة عالم الفكر، الكويت، مجلة [32]، [ع2]، 1996م.
5- نحو أجرومية النصّ الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، د. سعد مصلوح، مجلة الفصول الأربعة، مجلة [10]، [ع1]، 1996م.

رابعاً- أهم الكتب الأجنبية:

1- Firth- J.R. papers in linguistics 1934-1951 Ox ford, university, press, 1957, London.

قائمة المحتويـــــات

الموضـــوع	الصفحة
الآية	أ
الإهـــــــداء	ب
شكر وتقديـــر	ج
المقدمـــــــة	د
التمهيـــــــد	8
أوّلاً- خليفة حسين مصطفى.	9
أ- حياته.	9
ب- نتاجه الأدبي.	10
ثانياً- أسلوب الكاتب.	11
ثالثاً- التعريف بالرواية.	12-11
الفصل الأوّل **الدلالة والسّياق**	**13**
المبحث الأوّل- الدلالة.	14
الدلالة لغةً.	15
الدلالة اصطلاحاً.	16
الدلالة عند القدماء.	18
الدلالة عند المحدثين.	34
المبحث الثاني- السّياق.	39
تمهيد.	40
السّياق لغةً.	41
السّياق اصطلاحاً.	41

الموضـــوع	الصفحة
السِّياق عند القدماء.	43
السِّياق عند المحدثين.	50
السياق والنص.	52
الفصل الثاني **عناصر السِّياق ودلالته النصية في رواية الأرامل والولي الأخير**	**54**
المبحث الأوّل- مدخل نظري.	56
1- ملخص الرواية.	57
2- عناصر السِّياق.	61
المبحث الثاني- تطبيقات سياقية ودلالية على رواية الأرامل والولي الأخير.	66
أوّلاً- السِّياق اللُّغوي.	67
أثر السِّياق اللغوي في الدلالة.	74
ثانياً- سياق الحال.	76
ثالثاً- السِّياق الثقافي الاجتماعي.	85
رابعاً- السِّياق العاطفي.	89
خامساً- السِّياق الحركي.	94
سادساً- تظافر السِّياقات.	98
الفصل الثالث **مظاهر السِّياق في رواية الأرامل والولي الأخير**	100
المبحث الأوّل- الحذف والتنغيم.	101
الحذف لغةً واصطلاحاً.	103
أنواع الحذف.	104
صور من الحذف في الرواية.	106
ثانياً- التنغيم.	114

الموضـــوع	الصفحة
التنغيم لغةً واصطلاحاً.	115
التنغيم عند القدماء.	116
صور من التنغيم في الرواية.	117
وصف التنغيم.	123
المبحث الثاني- التكرار والتقديم.	125
أوّلاً- التكرار لغةً واصطلاحاً.	126
صور من التكرار في الرواية.	127
ثانياً- التقديم.	134
التقديم لغةً واصطلاحاً.	134
تقديم اللفظ.	134
تقديم الجملة.	136
تقديم مقطع من النص.	139
المبحث الثالث- الإحالة والغموض.	141
الإحالة لغةً واصطلاحاً.	142
أنواع الإحالة.	143
صور الإحالة في الرواية.	145
ثانياً- الغموض.	151
الغموض لغةً واصطلاحاً.	151
أسباب الغموض.	152
الغموض في الأدب.	153
النتائج	158
فهرس الآيات القرآنية.	163
فهرس الأحاديث.	165
فهرس الأشعار والأقوال المأثورة.	166

الموضـــوع	الصفحة
فهرس الأعلام.	167
فهرس الأماكن	169
فهرس المصادر والمراجع.	170
فهرس المحتويات	179

SUMMARY OF THE RESEARCH

Title : Linguistic context and its effect in the guidance of the text at/ Khalifa Hussain Mustafa(Novel of the widows and the last guardian).

IN THE NAME , MOST GRACIOUS , MOST MERCIFUL

Thanks to God, God of worlds, blessing and peace on the most honest prophets and messengers, the most better of the creation all And who followed him and marched on his method up to the doomsday.

From aspects which are effected in the speech, the phenomenon the context, the beginnings of that importance was on the hand of the lingual (Ci Swair) and the research contained on three chapters.

-The first chapter was specified to study the guidance and context where the importance of the human being with guidance since old days and on passing of the ages, the scientists of Islam have prominent role in the semantics and hey took attention for context phenomenon since of almost thousand years when they studied the ideas of (situation and essay) some of them the linguals, rhetoricals, critics, scientists of philosophy, scientists of philology origins and others . Also the creators of Arab scientists who have put a theory for analysis of speech and its guidance depends on context was known with (context theory).

The context is the evidence of the speech and its space in which it return. So, it is absurd to imagine a complete guidance speech to be apart from the context because it becomes in its time a obscure speech may bear more than guidance.

- The second chapter was specified for the applied study regarding the novel of (Widows and the last guardian) that the context on the analysis level be multiple to linguistic context, context of situation, cultural and social context, dynamic and gestic context and emotional context.

Relation between these contexts, the linguistic context effects in the guidance within the total text which its parts tightness, as he pointed to it with the simplest things as it is considered the context elements has important effect in the guidance .

- The third chapter was specified for study of the context's aspects and its effect in the novel, that the text structure in the dialogue situations with different contexts, it seem in the elision, humming, presentation and repeat will cast on the text a beauty and prosperity in the evidence.

Elision as it is considered an element of the linguistic context elements at the pronunciation level and on the level of structure, it gave the text a beauty and skill in the guidance .

Also, the humming, the scientists took attention to it since old days as it considered one of the aspects of the sonic context and the degree of the humming description in the novel, its degrees were multiple from whisper, laughing and crying .... Etc.

For repeat, it was prominent with clear form in several images n the pronunciation level and on the sentence level of what achieve several guidance effects.

Also, transfer is an aspect of the linguistic context aspects. The transfers was multiple within the demonstrative name and multiple of the pronouns, relative names, those transfers binding of the text parts do each other. For obscurity, the novel of (Widows and the last guardian) was clear guidance, the obscurity wasn't in it as main element but was inside of simple parts of the text, it may be temporary obscurity, then it shows in other sectors of the novel. After that we reached to some of the results, the most import of them :

- Language scientists tied between the grammar and guidance, they made the syntax mark as guidance on the meaning.
- The divided the guidance to three types:

A- Phonetic Guidance
B- Moral Guidance
C- Artificial Guidance

- Care of the rhetoric scientists for three elements: Meaning, image and thing in the mind, they have put the relation on shape of triangle called with(guided triangle).
-The context with all of its linguistic levels and non linguistic that completes each other .
-Aspects of context have large effect in the direction the guidance and expression about psychological speaker state.
-The transfer embodies several guidance in the mind of the reader, for obscurity, it achieves the element of thrill and surprise inside the text.